المدارس الرمضانية

محمود حسن حجازي

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

الإهـداء

إهداء إلى روح أبي العزيز،،،

إهداء إلى أمي الغالية،،،

إهداء إلى زوجتي الحبيبة،،،

إهداء إلى ابني الحبيب،،،

إهداء إلى كل من أحبني،،،

إهداء إلى رسول الله ﷺ،،،

إهداء إلى كل الصحابة رضي الله عنهم،،،

إهداء إلى كل التابعين رضي الله عنهم،،،

إهداء إلى كل السلف الصالح رضي الله عنهم،،،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣

ولرمضان منزلة كريمة في نفوس المسلمين ففيه أنزل القرآن.. وهو بالنسبة لنا كالمطر ينزل على الأرض الجدباء فيحي به الله ﷻ الأرض بعد موتها.. ويحمل لها الخير والنماء.. وهو كريم ومبارك خاصة لمن قد انحرفوا عن طريق ربهم ﷻ أو أفرطوا في أنفسهم..

والنفوس تذوب في رمضان.. جماحُ المعصية يُلجم.. العين تنكسر.. الأذن لا تسمع الخنا.. الموسيقى والأعواد تسكت.. ليتكلم القرآن.. والسر في رمضان أنه تقوى.. لأننا في رمضان نشعر برقة القلوب واتصالها بعلام الغيوب.. تتلى علينا الآيات، فتخشع القلوب وتدمع العيون..

وهو شهر البركة والخيرات، واكتساب الفضل والحسنات والزيادة في الدرجات، فهو للمتقين روضة وأنسَ وللغافلين قيد وحبس.

فإنما هي فرصة:

فرصة لنتذوق حلاوة الإيمان، ولنعرف حقيقة الصيام.. لنتذوق لذة الدمعة، وحلاوة المناجاة في السحر.. فرصة لنصلي صلاة من جعلت قرة عينه في الصلاة.. ولننفق نفقة من لا يخشى الفقر..

شعارك الرمضاني...

رائع أن يكون لك شعار في رمضان تقلد به روحك، وترفع معنوياتك حتى إذا ما أحست نفسك بالفتور ذكرتها بهذا الشعار، فترفع همتك وتستيقظ أهدافك التي رسمتها فتكون في رحلة تحدي مع نفسك الأمارة بالسوء والشيطان... تنتهي بانتصارك وتحقيق شعارك، ونيل مرادك بحول الله ﷻ وقوته...

وليكن شعارك دائماً

"رمضاني انطلاقتي، وعجلت إليك ربي لترضى، فلن يسبقني أحد إلى الله ﷻ، فرمضان بدايتي في التغيير، ونقطة إشراقة في حياتي، رمضاني طريقي إلى الجنة والفوز بجنة ذا المنّة."

إهـــداء من رمضان

إلى كل من يأس من التغيير...

إلى كل من استسلم للضعف والتحقير...

إلى كل من قال إنه أمر عسير...

إهداء من رمضان ورسالة عبر الأزمان يرسلها لنا هذا الشهر الجليل محدثاً:

إذا كنت ممن فقد الثقة في تغيير نفسه فقدومي عليك وصيامك لي أكبر دليل على قدرتك وتحملك لتبعات التغيير، فالتغيير في عادات نومك ومواعيد يومك بل في دقائق حياتك تضيء لك أول شمعة في طريق تغيير العادات وأنك إذا كنت ممن استسلم لسلسلة ضعف النفس والانهزامية لقلة الهمة وندرة العزيمة فاستقواؤك على أداء فرائض رمضان بركعاته وسجداته وكافة عباداته.

تضيء شمعة ثانية في طريق التغيير.. طريق رمضان للتغيير.. فإن الاستطاعة تستجلب ـ لو استعنا بالله ﷻ ثم بنفسك ـ التركيز على نقاط القوة فيك وأن الله ﷻ لم يأمرنا بما هو أكثر من استطاعتنا، قال ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٦

ولكن اعترانا نحن المكلفين بعض المشقة وقد يكون حوارك النفسي.. سلبي... بأنك مريض أو ضعيف لا تستطيع فعل كل هذا! فجاء رمضان ليؤكد لك أنك إن شاء الله قادر وأن الرسائل المنخفضة العزيمة هي ما تبعث عليك الفتور والكسل وعدم المقدرة بل يقودك إلى رفع الهمة والإرادة حتى أنه يفوت على الصائم في أحد لياليه

السحور فيكمل صيامه على خلاف ردة فعل البعض في تأخر موعد غذائه أو عشاءه.

ولكنه مع رمضان وجده أمراً يسيراً؛ لأنه نوى الاستعداد له والانصياع له ولتكاليفه، وتلك شمعة ثالثة يضيئها لك رمضان في طريق التغيير.

والآن .... لماذا لا تنوي التغيير الحقيقي لسلوك أو خلق أنت غير راض عنه؟؟؟ حدده الآن .....

خاطب نفسك بمقدرتك على تغييره وأنه ليس مستحيلاً

عش مع البديل وكأنه واقع بمقدرة الله ﷻ ثم عزيمتك وإرادتك التي منحها الله ﷻ لك إياها وقوتك التي وهبها الله ﷻ لكل إنسان حتى يواجه تحديات نفسه.

لماذا لا يكون لك ملف ذكريات مع رمضان تكتب فيه ذكريات كل عام حتى يكون وثيقة إصلاحية للنفس؟

لماذا لا يكون لك معاهدة مع رمضان في استبدال سيء أو إضافة حسن؟

لماذا لا تتبنى العادة ألا تكون لك عادة تستمدها بل تستمر بها بعد رمضان؟

فمرونتك مع نفسك وفي تفاصيل حياتك تضمن لك سعادة ونجاح مع الآخرين

لذلك فأنا أهديك ثلاث شمعات...

شمعة التفاؤل ضد اليأس...

شمعة الإرادة ضد الضعف ...

شمعة الثقة ضد تكبيل النفس بعقد وهمية...

فلك مني أيها الصائم.. تغيير قريب.

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الحشر: ١٨

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..

نحن مقبلون على شهر عظيم، شهر الصبر شهر الله ﷻ، شهر الصوم، شهر تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين، فهو شهر الخير، وشهر المغفرة، وشهر التوبة، وشهر الطاعة، وشهر العتق من النيران.

رمضان أتى ليؤكد لنا حب الله ﷻ لعباده على الرغم من إعراضهم عنه، ومخالفتهم لأوامره، وانتهاكهم لحرماته، فهو ﷻ يريد الخير للجميع، ويتيح لهم الفرصة تلو الفرصة، ويهيئ لهم الجو المناسب لاتخاذ قرار العودة إليه والصلح معه...وها هو رمضان قد أتى ليحمل لنا هذه الرسالة ﴿ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ القصص: ٣١، فيا لفرحتنا، ويا لسعادتنا ببلوغنا رمضان.

رمضان هدية من رب العباد تحمل في طياتها كل ما يعيدنا إليه ويقربنا منه... فماذا عسانا أن نفعل معه؟!

إنها فرصة لا تتكرر إلا مرة كل عام، وما يدرينا أين سنكون في العام القادم!!

فهيا بنا نُحسن الاستفادة من هذه المنحة...

هيا بنا نغتنم الفرصة، ونتعرض للنفحة، ونتسابق في الخيرات.

شهر رمضان من أعظم مواسم الطاعة والغفران، وقد جعل الله ﷻ فيه من أسباب الخير والسعادة وإحسان العبادة ما يجعل المؤمن ينتظر قدوم هذا الشهر العظيم لعله يخالف نفسه وهواه، ويتقرب فيه إلى مولاه ﷻ.

فإن مكانة شهر رمضان عظيمة في القلوب، والنفوس تترقب بشوق قدومه، ترقب الحبيب لحبيبه، فهو موسم الخيرات والقربات، ونزول الرحمات من رب السماوات ﷻ

معاشر المسلمين:

بشراكم جميعاً بشهر المغفرة والرحمة، والتوبة والرجوع إلى الله ﷻ، أهلَّهُ الله ﷻ علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام.

عباد الله:

يحق لنا أن نفرح فرحاً شديداً بهذا الضيف العزيز والكريم على قلوبنا بعد طول انتظار، وبعد رحلة شاقة في دروب الحياة الدنيا، والإسراف في الذنوب، لتغفر لنا هذه الذنوب وتطهر القلوب، وتسمو النفس، ولنفوز بالجنان.

حقاً إن رمضان مدرسة الأخلاق، ومجمع المكارم، وملتقى الفضائل، فأنت فرصة وفرحة العمر الغالية التي لا تعوض، نفرح بلقياك ونحزن لفراقك ووداعاك.

كم نتمنى أن تكون معنا طول العام لما فيك من الخير الكثير والبركات الغزيرة، والنفحات الربانية التي لا تعادلها في غيرك من الشهور، يا شهر الرحمة والمغفرة، والتوبة والإنابة والرجوع إلى الله ﷻ، والتقوى والمحاسبة والمراقبة والإخلاص.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ

وآله وصحبه أجمعين

كتبه

محمود حسن حجازي

أبو حازم

أيها الشهر الكريم والضيف العزيز أنت مدرسة كاملة متكاملة من الأخلاق، سنتعلم من مدرستك هذه الأخلاق الكريمة والفضائل الحميدة.

فلنبدأ الآن بالدخول إلى باب المدرسة العظيمة مدرسة رمضان ولنبدأ في الحصة الأولى...

هيا بنا.....

مدرسة التقوى

أنَّ الهدف الأساسيَّ من تشريع العِبادات من صلاةٍ وصوم وزكاةٍ وحجٍّ، هو تطهيرُ القلب وإيجادُ التَّقوى فيه، فعن الصوم يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣، وعن الصلاة يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ٤٥ ﴾ العنكبوت: ٤٥، فالصلاة تُورِث في قلب المصلِّي التقوى، التي تمنعه من الفحشاءِ، وتَحول بينه وبين والمنكَر، فأسند الفعل إلى الصلاة إسنادًا مجازيًّا لعلاقة السببيَّة؛ فالذي يصلِّي ليلَ نهارَ ولكن صلاته لا تؤثِّر بإيجاد تقوى الله ﷻ في قلبِه، يجب أن يعلَم أنَّ صلاته هذه لم تَرْق إلى مستوى الصلاة الشرعيَّة المطلوبة منَّا، وبالتالي لا يكون لها تأثيرٌ في إيجاد التَّقوى أو دخولِ الجنَّة مهما كثرَت، وكذلك كلُّ العبادات؛ فإنَّ التَّقوى التي تحمل العبدَ على فِعل العبادةِ مهما تكن صعبةً، هي روحُها، ومدار ثوابِها وجزائها، فالنَّجاة من النَّار ليست مشروطةً بكثرةِ الأعمال الصالحة وحدَها؛ بل بدرجة التَّقوى المترتِّبة عليها، ولا هي مشروطة بالإيمانِ وحده بدون التَّقوى؛ فإنَّ الإيمان قَد لا يمنع دخولَ المؤمن النَّار، إنَّما يمنع خلودَه فيها مَهما يكن ضعيفًا، فالذي يمنع دخولَها هو التَّقوى، فالإيمانُ والتَّقوى ليس بينهما تلازم؛ بل بينهما العمومُ والخصوص المطلَق؛ فالإيمان أعمُّ من التَّقوى، والتَّقوى أخصُّ منه، قد يكون العبدُ مؤمنًا بالله ﷻ، ومع ذلك لا يتَّقي اللهَ ﷻ فيرتكب كثيرًا من المعاصي والذنوب تَحُول بينه وبين دخولِ الجنَّة ولو مؤقتًا، أمَّا التَّقِي فلا يكون إلاَّ

مؤمنًا بالله ﷻ، فإنَّ التقوى هي أساس الدِّين كله وعماده.

من آثار الصيام ونتائجه وأجل معانيه وأنفعها وأعظمها تحقيق التقوى، كما بين ﷻ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣، هذا تعليل لكتابة الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله ﷻ بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالاً لأمره واحتساباً للأجر عنده، فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه.

لتكون التقوى لكم صفة راسخة فتكونوا ممن جعلت الكتاب هدى لهم، والصيام طريق موصل للتقوى ومن ثَم الانتفاع والاستفادة من هداية القرآن!

التقوى هي الغاية المنشودة والدرة المفقودة، وجمعت فيها خيرات الدنيا والآخرة فجعلت تحتها، وأهل التقوى هم ملوك الدنيا والآخرة، وأهل السعادة الحقيقية والشرف العظيم، لذلك **يقول إبراهيم بن أدهم** ﷺ: "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف."[1]

فالصوم سبب عظيم موصل للتقوى؛ لما فيه قهر النفس وكبح جماحها وكسر شهواتها، وامتثال أمر الله ﷻ واجتناب نهيه، ولأن الصائم مُقبل بكليته على الله ﷻ مستثمر لخصال الخير وأعمال البر، فتكثر الطاعة ويزيد الإيمان.

[1] الضياء اللامع من الخطب الجوامع (2/ 387)، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (2/ 122)، موارد الظمآن لدروس الزمان (266/4)، فصل الخطاب في الزهد والأخلاق والآداب (297/5)، مجموع رسائل ابن رجب (2/ 801).

يقول ابن القيم رحمه الله: "وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى."[1]

فالصيام وسيلة ناجعة وطريق قصير وسبب هام ومقدمة عظيمة لتحقيق التقوى، التي تزيل الخوف والحزن وتجلب الأمان والأنس في الآخرة، والتقوى دافع للعبد لعمل الخير واجتناب الشر. فالتقوى أنفع زاد وخير لباس، ورأس كل شيء وجماع كل خير، وصاحبها أكرم الناس، ثمراتها عظيمة ونتائجها كبيرة، فالعاقبة والفلاح والنصر لأهلها، والنور ملازم لأصحابها، والنجاة يوم القيامة ودخول الجنة لمن حققها، من فرّط بها ندم، ومن خالف طريقها خسر خسراناً مبيناً.

التقوى وصية الله ﷻ للناس أجمعين، يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴿١٣١﴾﴾ النساء: ١٣١، يقول الحسن البصري رحمه الله عن المتقين: "اتَّقوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَدَّوْا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ."[2]، وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله ﷻ إيماناً واحتساباً، أمراً ونهياً، فيفعل ما أمر الله ﷻ به إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعده، ويترك ما نهى الله ﷻ عنه إيماناً بالنهي وخوفاً من وعيده، كما قال طلق بن حبيب رحمه الله: "إذا وقعت الفتنة فاطفئوها بالتقوى." قالوا: وما التقوى؟ قال: "أن تعمل بطاعة الله ﷻ على نور من الله ﷻ ترجو ثواب

[1] زاد المعاد في هدى خير العباد (2/ 28).
[2] الهداية إلى بلوغ النهاية (11/ 7120)

الله ﷻ، وأن تترك معصية الله ﷻ على نور من الله ﷻ تخاف عقاب الله ﷻ."[1]،

وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ: "لَيْسَ تَقْوَى اللَّهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ وَلا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ."[2]، فمن دفعه الصيام إلى العمل بطاعة الله ﷻ، وأداء ما افترض وترك ما حرم، فقد حقق الثمرة المرجوة من الصيام.

قال ميمون بن مهران ﷺ: "لا يكون الرجل تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، وحتى يعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه."[3]

والصوم يعد نفس الصائم لتقوى الله ﷻ بترك الشهوات الطبيعية الميسورة التناول عليه والعزيزة إليه بحيث لولا تقوى الله ﷻ وحسن مراقبته لما تركها، ولو كان تركها بأنفس الأثمان ولكن تقوى الله ﷻ جعلته يعي أمانة الله ﷻ في حال خفائه عن الناس واختلائه بنفسه، وأن الصائم يعلم أن له رباً يطلع عليه في خلواته، وقد حرم عليه أن يتناول شهواته المجبول على الميل إليها في الخلوة، فأطاع ربه ﷻ وامتثل أمره واجتنب نهيه، خوفاً من عقابه ورغبة في ثوابه.

من كان صيامه الجوع في النهار فحسب، وإشباع البطن في الليل، وتفنن بأطايب الطعام وألوان الموائد، مبذراً ومسرفاً، فهل حقق معنى التقوى؟!!

شهر رمضان هو منحة ربانية للأمة الإسلامية، ومحطة من محطات مراجعة النفس والخلوة مع كتاب الله ﷻ، وحسن الالتجاء لله ﷻ وصدق التضرع، فشتان بين من

---

[1] فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (5/ 9).

[2] الزهد الكبير للبيهقي (1/ 351)، مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه (1/ 531)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (5/ 28).

[3] محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (1/ 25)، سير أعلام النبلاء (74/5).

يصوم عن الطعام والشراب فحسب، ومن يحقق تقوى الله ﷻ ويبذل وسعه وجهده ويستغل وقته ويجتهد في طاعة الله ﷻ بعيداً عن الملهيات ومضيعة الأوقات، فلا تجعل من رمضان شهر نوم وكسل وخمول. لو اجتهد المسلم لتحصيل فائدة واحدة هي تحقيق التقوى، في شهر رمضان وبذل جهداً كبيراً لذلك لكفته فضلاً وشرفاً وثمرة! لأنه من لم يتقِ الله ﷻ في رمضان ويتعاهد قلبه ويوطن نفسه، فمتى يفعل؟!! ومن أبرز علامات التقوى؛ تحري الحلال واجتناب الحرام، والحرص على مرضاة الله ﷻ والتسليم لأوامره بكل صغيرة وكبيرة، والإخلاص والورع والزهد، والابتعاد عن مواطن الشبهات، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، وشكر النعماء.

فغاية الصيام تقوى الله ﷻ. تقوى يتمثل فيها الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل. تقوى صادقة دقيقة يترك فيها الصائم ما يهوى حذرًا مما يخشى. ولئن كانت فرائض الإسلام وأحكامه وأوامره ونواهيه كلها سبيل التقوى، فإن خصوصية الارتباط بين الصيام والتقوى شيء عجيب.

يقول الحسن البصري رضي الله عنه: "ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام."[1]، وقال **سفيان الثوري** رضي الله عنه: "إنما سموا المتقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى."[2]، **وقال عبد الله بن المبارك** رضي الله عنه: "لو أن رجلاً اتقى مائة شيء ولم يتق شيئاً واحداً، لم يكن من المتقين."[3]، **وقال موسى بن أعين** رضي الله عنه: "المتقون تنزَّهوا عن

[1] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (61/1)، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (1/ 189)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (12/5).
[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (61/1)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (12/5). مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه (1/ 531).
[3] اتحاف السادة المتقين (6/ 25)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (2/ 486)، صفة الصفوة (2/ 326)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (4/ 439).

أشياء من الحلال مخافة أنْ يقعوا في الحرام، فسماهم الله متقين"[1]، **وقال الإمام أحمد** رحمه الله: "التقوى هي ترك ما تهوى لما تخشى."[2]

إنَّ تقوى الله ﷻ نور في القلوب تظهر آثاره على الجوارح، إنها سبب للفلاح والنجاح ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠ ﴾ المائدة: ١٠٠ ، ومنبع للصلاح والإصلاح ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ٢٩ ﴾ الأنفال: ٢٩، التقوى عماد للمؤمن في الدنيا وأنيسه في القبر، ودليله إلى جنات ونهر.

تقوى الله ﷻ حصن حصين في الأزمات، وذخيرة عند الشدائد والملمّات، وتثبت الأقدام في المزالق، وتربط القلوب في الفتن، إنها أعظم كنز يملكه يحمله العبد في الدنيا، وأعظم زاد يرد به على الله ﷻ يوم المعاد ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ١٩٧ ﴾ البقرة: ١٩٧.

أفلا تستحق بضاعة تلك بعض صفاتها وآثارها أن يُسعَى لها؟ فهذا أوانها وذلك الشهر خير معين على تحقيقها، كم يدخل علينا من رمضان ولم نمتحن أنفسنا على اكتساب التقوى، إنه كسب عظيم وتجارة رابحة.

مساكين من دخل عليهم رمضان وخرج ورصيد التقوى جامد لا يتحرك، أو يتحرك ببطء لا يكاد يُرى، إنني أدعو نفسي وإياكم إلى تحقيق التقوى.

إن التقوى شيء عظيم ومنزلة سامية، وهي أساس الدين ولا حياة إلا بها بل إن

---

[1] تفسير ابن رجب الحنبلي (1/ 362)، جامع العلوم والحكم (1/ 401)، الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية (1/ 89)، مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه (1/ 531)، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (1/ 189).

[2] بلوغ الغاية من تهذيب بداية الهداية (1/ 24)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (5/ 13).

الحياة بغيرها لا تطاق، فليس صلاح للإنسان إلا بالتقوى، هي منزل عزيز، وخير كثير، وفوز كبير.

أن في الصيام تربية للمسلم على تقوى الله ﷻ، ومراقبته في السر والعلن، فإن شهر رمضان موسم لزيادة رصيد التقوى في نفوس المسلمين الصائمين الذين لا رقيب عليهم في صيامه إلا الله ﷻ وحده.

فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي التي تؤدي فريضة صيام رمضان، طاعة لله ﷻ وإيثاراً لرضاه، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية.

قال الراز ي: "الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهوى فإنه يردع عن الأشر والبطر والفواحش ويهون لذات الدنيا ورياستها ، وذلك لأن الصوم يكسر شهوة البط ن والفرج ،وإنما يسعى الناس لهذين، كما قيل في المثل السائر: المرء يسعى لعارية بطنه وفرجه؛ فمن أكثر الصوم هان عليه أمر هذين وخفت عليه مؤنتهما ، فكان ذلك رادعًا له عن ارتكاب المحارم والفواحش، ومهوناً عليه أمر الرياسة في الدنيا وذلك جامع لأسباب التقوى, فيكون معنى الآية فرضت عليكم الصيام لتكونوا به من المتقين الذين أثنيت عليهم في كتابي."[1]

فالتقوى يا عباد اللهِ صلاح في القلبِ وحساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرّة، وخوفٌ دائم، وحذر دائب وتوق لأشواك الطريق، من الرغبات والشهوات والشبهات والمطامع والمخاوف والوساوسِ وغيرها.

[1] تفسير الرازي (5/ 240).

ومن فوائد التقوى أنها تكفير للذنوب وتعظيم الأجر، والنجاة من العذاب والعقوبة، ومحبة الله ﷻ للمتقين، والخروج من الهم والمحنة والوعد بالرزق الواسع، والعون والنصرة من الله ﷻ للمتقين، واليسر والسهولة في الأمر، والبشرى بالتكريم للمتقين، والوعد بالمغفرة وزوال الخوف من النفوس، والفوز بالجنة.[1]

فاتقوا الله ﷻ في أنفسكم في هذا الشهر الكريم، وجعلوها خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة التقوى مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة الامتياز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (4/ 1120).

مـدرسـة الإخـلاص

يعتبر الإخلاص من وجوب قبول الله ﷻ للعِبادات، فالله ﷻ ينظر إلى ما في القلوب من صدقٍ وإخلاصٍ، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ۝٥ ﴾ البينة: ٥، وفي هذه الآية دلالةٌ واضِحةٌ على أنَّ الله ﷻ أمر عباده بإخلاص النيّة له عند القيام بأية عباداتٍ أو طاعاتٍ فعلاً أو قولاً، ومن الصَّعب تواجد الإخلاص مع الرّياء، فمن كان يوجد في قلبه مثقال ذرةٍ من حبّ الدنيا وقبول الناس والبحث عن الرِّضا والمدح من الناس فمستحيلٌ أن يحمل في قلبه الإخلاص؛ لأن في الإخلاص عدم الاهتمام لرأي الناس بل قد تصِل في بعض الأحيان إلى مخالفة ما يحبّون ويرغبون.

ولا يعتبر الإخلاص من الأمور السهلة التي يمكن تحقيقها بسهولة، فهي تتعاكس مع رغبة النفس وهواها، فالنفس البشرية تحب رؤية نتائج عملها وقولها بشكلٍ واقعي ومباشر وسريعٍ، وتحب أن تشعر بالمديح وإعجاب الناس، ويعتبر القضاء على هذه الرغبة من الأمور الشاقة التي تحتاج إلى إرادةٍ قوية وإيمانٍ صادِقٍ.

فالإخلاص أمره عظيم؛ لأن بوجوده في العمل يعطي الله ﷻ على القليل الكثير، وبتركه لا يعطي الله ﷻ على الكثير من العمل شيئاً، **قال ابن تيمية** رحمه الله: "والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه لله ﷻ فيغفر الله ﷻ به كبائر الذنوب"[1]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن الله سيخلص رجلاً من أمتي، له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مد

[1] منهاج السنة النبوية (6/ 218).

البصر، فيقول له: أتنكر من هذا شيئاً، أظلمك كبتي الحافظون، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندي حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فتثقل البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء"[1]

ولعظم الإخلاص وأهميته فقد كان الصحابة والسلف ﷺ من أشد الناس خوفاً على أعمالهم أن يخالطها الرياء أو يشوبها شائبة الشرك، فكانوا ﷺ يجاهدون أنفسهم في أعمالهم وأقولهم لتكون خالصة لوجه الله ﷻ.

إن الإخلاص لله ﷻ وإرادة وجهه رأس مال العبد وملاك أمره، وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه، وقرة عينه؛ ولذلك خُلق وبه أمر، وبذلك أُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، ولا صلاح للقلب ولا نعيم إلَّا بأن تكون رغبته إلى الله ﷻ وحده، فيكون هو وحده مرغوبه ومطلوبه ومراده، ومن كان كذلك كفاه الله ﷻ كل مهمّ، وتولاه في جميع أموره، ودفع عنه ما لا يستطيع دفعه عن نفسه، ووقاه وقاية الوليد، وصانه من جميع الآفات، ومن كلن لله ﷻ كان الله ﷻ له، حيث لا يكون لنفسه.

فالإخلاص أصل العبادات، وأعمال الجوارح تبعٌ للقلب، فالنية بمنزلة الروح للعمل، ومما خاف النبي ﷺ علينا عدم الإخلاص، ومرآة الناس في أعمالنا، فعن محمود بن لبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، إن الله يقول: "يوم تجازى العباد

[1] المعجم الأوسط (5/ 79).

بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء"[1]

فأعز شيء في الدنيا الإخلاص، وإذا اجتهد العامل في إسقاط الرياء عن قلبه أتاه الشيطان بلون آخر من الرياء، فالعاقل يصرف جُلَّ همه في تصحيح نيته، وتخليصها من الشوائب، فاهتمامه بالإخلاص فوق كل اهتمام، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: " أيها الناس اتقوا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال: من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه يا رسول الله، وهو أخفى من دبيب النمل؟ قال: قولوا: "اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً تعلمه ونستغفرك لما لا نعلم"[2]

قال ابن القيم ﷺ: "لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص، فأقبل على الطمع أولاً، فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء، فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع، والزهد في الثناء والمدح، سهل عليك الإخلاص"[3]

الإخلاص هو لب العبادة وروحها، **قال ابن حزم** ﷺ: "النية سر العبودية وهي من الأعمال بمنزلة الروح من الجسد، ومحال أن يكون في العبودية عمل لا روح فيه، فهو جسد خراب"[4]

---

[1] مسند أحمد (39/ 43)، شعب الإيمان (9/ 154).
[2] مسند أحمد (32/ 383)، المعجم الأوسط (4/ 10).
[3] الفوائد لابن القيم ص 149.
[4] فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (2/ 40).

والإخلاص هو أساس قبول الأعمال وردها فهو الذي يؤدي إلى الفوز أو الخسران، وهو الطريق إلى الجنة أو إلى النار، فإن الإخلال به يؤدي إلى النار وتحقيقه يؤدي إلى الجنة.

وإن للصوم أثرًا عظيمًا في تربية النفوس على فضيلة الإخلاص، وألا يراعى في الأعمال غيرُ وجه الله ﷻ، ذلكم أن الصائم يصوم إيمانًا واحتسابًا، ويدع شهوته وطعامه وشرابه من أجل الله ﷻ، وأيُّ درسٍ في الإخلاص أعظمُ من هذا الدرس!! فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه"[1]

قال ابن حجر: "قوله (إيمانًا) أي تصديقًا بوعد الله ﷻ بالثواب عليه، و(احتسابًا) أي طلبًا للأجر، لا لقصد آخر من رياء ونحوه"[2]

وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لَخُلوف فمِ الصائمِ أطيبُ عند الله من ريح المسك؛ يترك طعامه وشرابه، وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها."[3]

هكذا يربينا الصوم على فضيلة الإخلاص؛ فالصومُ عبادةٌ خفيةٌ، وسِرٌّ بين العبد وربه ﷻ؛ ولهذا قال بعض العلماء: "الصوم لا يدخله الرياء بمجرد فعله، وإنما يدخله الرياء من جهة الإخبار عنه بخلاف بقية الأعمال؛ فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها."[4]

---

[1] رواه البخاري (3/ 26)، السنن الكبرى للنسائي (3/ 124)، سنن النسائي (4/ 155).
[2] فتح الباري لابن حجر (4/ 251).
[3] رواه البخاري (3/ 24)، السنن الكبرى للبيهقي (4/ 502).
[4] فتح الباري لابن حجر (4/ 107)، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (10/ 259).

ثم إن للإخلاص آثارَهُ العظيمةَ على الأفراد بخاصة، وعلى الأمة بعامة؛ فللإخلاص تأثير عظيم في تيسير الأمور، فمن تعكست عليه أمورُه، وتضايقت عليه مقاصدُه، فليعلم أنه بذنبه أصيب، وبقلة إخلاصه عوقب.

والإخلاص هو الذي يجعل في عزم الرجل متانةً، ويربط على قلبه؛ فيمضي في عمله إلى أن يبلغ الغاية.

فإن الله ﷻ بدأ آيات الصوم بنداء المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣، ثم أتبعها بحكم الصيام، فقال: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣، ومقتضى الإيمان أن يخلص الصائمون نيتهم في صومهم لله ﷻ الذي فرض عليهم هذه العبادة كغيرها من العبادات.

والأصل في كل عبادة يؤديها المسلم لربه ﷻ، أن يكون مخلصاً فيها له، ولا يشوبها شيء من إرادة غير الله ﷻ؛ لأن إرادة الله ﷻ يعتبر نوعاً من أنواع الشرك، إما شركاً أكبر، كالسجود للأصنام أو القبور، ومثله إراقة دم الحيوان لغير الله ﷻ على سبيل العبادة، وإما شركاً أصغر كالرياء، ويشمل ذلك كله قوله ﷻ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ النساء: ٣٦

وكثير من الناس قد يظن أن الإخلاص لله ﷻ أمر سهل لا صعوبة فيه، وهو ظن مبالغ فيه؛ لأن إخلاص العمل لله ﷻ يحتاج من العامل إلى مجاهدة نفسه، حتى يُصفّي عمله من شوائب إرادة غير الله ﷻ.

إذ النفوس البشرية ترغب في ثناء الناس عليها، وعلى ما تقوم به من أعمال الخير، وقد يغلب حب العبد لذلك على الإخلاص لله ﷻ، وذلك من أهم عوامل القدح في إخلاصه لربه ﷻ.

وورد كثير من الآيات القرآنية في ذم الرياء في الأعمال، وكذلك تشبيه صاحبه بمن لا يؤمن بالله ﷻ واليوم الآخر، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾

البقرة: ٢٦٤

فعلى المسلم أن يجاهد نفسه في أن يكون صيامه وقيامه وقراءته لكتاب الله ﷻ، وصدقاته، وكل أعمال الخير التي يقوم بها، مراداً بها وجه الله ﷻ، الذي لا ينفعه ولا يضره إلا الله ﷻ، ولا يثيبه ويجزيه على عمله إلا الله ﷻ، وأنه ﷻ مطلع على السر وأخفى.

ومن مدرسة رمضان يتعلم المؤمن الإخلاص، وصلاح النية والطوية، فصومه لله ﷻ في رمضان سر بينه وبين الله ﷻ، وفيه يتجلى معنى الإخلاص في أوضح معانيه.. ولذلك كان جزاء الصوم عند الله ﷻ عظيمًا؛ لأنه سر بين العبد وبين ربه ﷻ، قال ﷻ في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلا الصيام؛ فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم

أحب عند الله من ريح المسك."[1]

فالجزاء العظيم الذي أخفاه الله ﷻ للصائم إنما هو بسبب إخلاصه لله ﷻ، وكونه ترك شهوته وطعامه لله ﷻ، ولو شاء أن يفطر ويتظاهر بالصيام لفعل، ولما علم بحاله أحد إلا الله ﷻ، لكنه لما أخلص وراقب الله ﷻ وحده في صيامه، نال ما ناله من الجزاء والثواب بغير حساب. وفي هذا المشهد درس للصائم يتعلمه من مدرسة الصيام؛ ليجعل عبوديته لله ﷻ بكل مفرداتها وأنواعها وأشكالها خالصة لله ﷻ وحده، قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ ، وكما قال ﷻ: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) ﴾ الزمر: ١٤

والعبادة تشمل كل الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة التي يرضاها الله ﷻ ، فكما أن بالإخلاص ينال الصائم ذلك الأجر العظيم، فكذلك إخلاصه في سائر العبادات في رمضان وغيره سبب لعظم الأجر وجزيل الثواب عند الله ﷻ، وهذا الخلق القلبي الإخلاص الذي لا تصح العبادة إلا به يعد من أبلغ الدروس التي يتعلمها الصائم من دروس رمضان، وأكثرها أهمية ونفعًا لدينه ودنياه.

ومن فوائد الإخلاص أنه هو الأساس في قبول الأعمال والأقوال، يرفع منزلة العبد في الدنيا والآخرة، يبعد عن العبد الوساوس والأوهام، يحرر العبد من عبودية غير الله ﷻ، يحقق الطمأنينة لقلب العبد ويجعله يشعر بالسعادة، يقوي إيمان العبد ويكره إليه الفسوق والعصيان، ويقوي عزيمة العبد وإرادته في مواجهة الشدائد،

[1] رواه البخاري (3/ 24)، السنن الكبرى للبيهقي (4/ 502).

وحصول كمال الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.[1]

فأخلصوا لله ﷻ في أقوالكم وأعمالكم في هذا الشهر الكريم، واجعلوه خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة الإخلاص مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (2/ 140).

مدرسة التوبة

إن التوبة إلى الله ﷻ إن فضلت في زمان دون زمان فهي باقية صمام الأمان لمن ابتغى الأمن ورضا الرحمن ﷻ، ولست تدري متى يحين الرحيل فتنتقل من دار الفناء إلى دار المقام والبقاء.

إن الإنابة إلى الله ﷻ ليست محدودة بزمان ولا مكان، بل دعيت إليها قبل حلول العذاب، وحينها يعزُّ الناصر وتنتهي فترة الإمهال، وإذا أنبت بها صادقاً فأظهر من الذل والافتقار بين يديه ما يشهد بعبوديتك لله ﷻ، **قال ابن تيمية** رحمه الله: "من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية."[1]

فالتوبة هي العودة إلى الله ﷻ بقلبٍ نادمٍ على معصيته، راجياً مغفرته ورضاه، باكياً خوفاً من عقابه، مصراً على عدم الرجوع إلى معصيته مهما حدث، بالإضافة إلى العزم على أداء جميع فرائضه بأكمل وجه، وأن يقوم بالأعمال الصالحة لكي يؤكد توبته ويبدل سيئاته بالحسنات، ويجب على التائب أن يكون مؤمناً قولاً وفعلاً واعتقاداً، وتؤدّى التوبة دون اتخاذ أي وسيط بينه وبين الله ﷻ فيجب أن تُطلب من الله ﷻ بشكل مباشر.

التوبة الصادقة إلى الله ﷻ هي واجبة على كل مسلم ومسلمة، ولا يصلح إيمان العبد إن لم يتب عن المعاصي التي قام بها واستبدلها بالطاعات والأعمال الصالحة، ومن لم يتب إلى الله ﷻ قبل موته أو شروق الشمس من مغربها لن يغفر الله ﷻ ذنوبه ولن ينال الجنة.

---

[1] مدارج السالكين (1/ 429).

ومن رَحمةِ اللهِ بِعبادهِ أن تَركَ لهم باباً للتّوبة مفتوحاً لا يُغلقُ حتَّى ترجعَ الرُّوح إلى خالِقها، وطريقاً للعودةِ إلى طريق الله ﷻ مُمَهّداً مهما بلغَت النَّفسُ من الذُّنوب والآثام.

فالتوبة تركُ الذّنب لقبحه والنَّدمُ على فعله، وبذلُ الجهدِ للتّكفير عنه والعزيمة على الإقلاع عنه، وإبداله بالأعمال الصَّالحة؛ تقرُّباً إلى الله ﷻ واستِدراكاً لمغفرته ورضوانه، والتّوبة أبلغ وجوه الاعتذار وأسمى درجاته، وفيها اعتِرافٌ باقتراف الذّنب أو المخالفة والنَّدمُ عليها، والعزيمة على الإقلاع عنها دون تبرير أو إنكار، قال ﷻ:

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ ﴾ النساء: ١٧

فيجب على العبد أن يكون من الثابتين على التوبة، ويكون الثبات على التوبة باعتزال المعاصي والعزم على هجرانها، ومحاسبة النَّفس، وصدقُ النيَّة في تحقيق التَّوبة وإخلاصها لله ﷻ وحده دونما طمعٍ في مصلحة دنيويّةٍ أو ماديّةٍ، ثم تذكير النَّفسِ بِعظَمة الله ﷻ وجميلِ نِعمِهِ، وتدبُّرِ عواقب الذّنوب ومصير المذنبينَ، وإشغال النَّفسِ بما يَنفعُ من أعمالِ الآخرة وواجباتِها ومتطلَّباتِ الدّنيا المشروعة رغبةً في الأجر، وهروباً من الفراغ ومواطِنِ الشَّيطان.

ومن الطرق التي يُمكن أن يَتَّبِعُها المسلم التائب للثبات على توبته:

1. استشعار الأجر العظيم؛ فقد أعدّ الله ﷻ للتائب أجراً عظيماً إذا تَابَ توبةً صادقةً، ونَدم على جَميع الذّنوب والمعاصي التي ارتَكبها سابقاَ.

2. هجر الذنوب والمعاصي التي اعتاد على ارتكابها فوراً؛ فالحَزم في ترك الذنوب والمعاصي من دواعي الثبات على التوبة، وعدم التّردد بها، ثم عدم العودة بعد ذلك لهذه الذنوب والمعاصي.

3. هجر كلّ ما يُمكن أن يُعيد التائب إلى المعاصي والذنوب، ومن أهمّ ما يَجبُ على التائب الذي يَرغب بالثبات على التوبة بصدق أن يهجره كلّ الأسباب التي يمكن أن تُعيده لطريق الضياع ومعصية الله ﷻ، كأصدقاء السُوء، وأماكن الفساد والفُجور، وأيُّ سببٍ قد يُزعزِعُ التوبة أو يُؤثر على التائب سلباً، فتُرديه في طريق الضلال، والهلاك.

4. التيقّن بأنّ الله ﷻ إن تاب التائب، وثَبَت على توبته، وحافظ عليها، واستمر عليها، وابتعد عن الكبائر فإنّ الله ﷻ سيُبدل سيئاته السابقة للتوبة إلى حسنات، وهذا من رحمة الله ﷻ، وفضله، وكرمه.

5. استعانة التائبُ على كلّ ما سبق بالله ﷻ ، بأن يَمنَحه العَزم، والقُوّة للثباتِ على التوبة.

إن الله ﷻ يفرح بعودة العبد عن الذنب الذي ارتكبه قال ﷺ: " لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"[1]

[1] رواه مسلم (4/ 2104).

وباب التوبة مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها ووقتها لا قبول للتوبة ، لقول ﷻ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٨، كما أن التوبة لا تُقبَل من الإنسان حين خروج الروح من الجسد لقول ﷻ: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ النساء: ١٨، فالله ﷻ يبسُط يده في النهار ليتوب مسيء الليل كما أنه يُعطي مسيء النهار فرصة في التوبة، قال رسول الله ﷺ: "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها."[1]

والتوبة إلى الله ﷻ لا تحتاج إلى وسيط ليقبلها منه ويغفر له، وإنما إذا توافرت شروط التوبة عند العبد، قبِلها الله ﷻ منه وفرِح بها.

ومن الشروط الواجب توافرها في التوبة يجب أن يُخلص العبد في توبته وأن يكون قاصداً وجه الله ﷻ لوحده طامعاً في أن يغفر له، ولا أن يكون هُناك أسباب أخرى قادته إلى التوبة مثل الخوف من الفضيحة أو رجال الشرطة، ويجب توفُّر الصِّدق في التوبة، فلا تكون صادرة من اللسان والقلب ما زال متعلقاً بالذنب، والابتعاد فوراً

[1] رواه مسلم (4/ 2113).

عن المعصية وتركها في الحال، والصدق في النية لعدم العودة إلى ارتكاب المعصية مجدداً.

وإذا كان الذنب واقعاً في حقوق العِباد، فإنه يجب أن يَرُّد التائب الحقوق إلى أصحابها لتُقبَل توبته، لقول النبي ﷺ: "من كانت له مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه."[1]

* شروط التوبة:

1- ترك الذنب لقبحه.

2- والندم على ما فرط منه.

3- والعزيمة على ترك المعاودة.

4- وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة.

فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شروط التوبة.

قال القرطبي: "شروط التوبة أربعة وهي: الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على ألا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياء من الله ﷻ لا من غيره؛ فإذا اختل شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة."[2]

وقال سفيان بن عيينه رحمه الله: "التوبة نعمة من الله ﷻ، أنعم الله ﷻ بها على هذه الأمة دون غيرها من الأمم وكانت توبة بني إسرائيل القتل"[3]

---

[1] رواه البخاري (3/ 129).
[2] تفسير القرطبي (5/ 91).
[3] تفسير القرطبي (1/ 401)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (29/ 199)

حكم التوبة:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨ ﴾ النساء: ١٧ - ١٨

قال القرطبي: " إذا تاب العبد فالله ﷻ بالخيار إن شاء قبلها، وإن شاء لم يقبلها، وليس قبول التوبة واجباً على الله ﷻ من طريق العقل كما قال المخالف؛ لأن من شرط الواجب أن يكون أعلى رتبة من الموجب عليه، والحق ﷻ خالق الخلق ومالكهم، والمكلف لهم؛ فلا يصح أن يوصف بوجوب شيء عليه، تعالى عن ذلك، غير أنه قد أخبر ﷻ وهو الصادق في وعده بأنه يقبل التوبة عن العاصين من عباده بقوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥ ﴾ الشورى: ٢٥[1]

اتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين؛ لقوله ﷻ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾ النور: ٣١، وقوله ﷻ:

[1] تفسير القرطبي (5/ 90)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴿٨﴾ ﴾ التحريم: ٨ ، أمر بالتوبة وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وكل الأزمان.

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴿٨﴾ ﴾

التحريم: ٨، **قال القرطبي**: "وأصل التوبة النصوح من الخلوص؛ يقال: هذا عسل ناصح إذا خلص من الشمع. وقيل: هي مأخوذة من النصاحة وهي الخياطة. وفي أخذها منها وجهان: أحدهما: لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه. والثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم؛ كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض."[1]

وقال سهل بن عبدالله ﷺ: "الجاهل ميت، والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصر هالك، والإصرار هو التسويف، والتسويف أن يقول: أتوب غداً؛ وهذا دعوى النفس، كيف يتوب غداً لا يملكه!"[2]

قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٥

قال القرطبي: قال علماؤنا: "الباعث على التوبة وحل الإصرار إدامة الفكر في كتاب الله العزيز الغفار، وما ذكره الله ﷻ من تفاصيل الجنة ووعد به المطيعين، وما وصفه من عذاب النار وتهدد به العاصين، ودام على ذلك حتى قوي خوفه ورجاؤه

[1] تفسير القرطبي (18/ 199).
[2] تفسير القرطبي (4/ 211)، شعب الإيمان (9/ 384)، سير أعلام النبلاء (13/ 331)، نظرة النعيم (9/ 3896).

فدعا الله ﷻ رغباً ورهباً؛ والرغبة والرهبة ثمرة الخوف والرجاء، يخاف من العقاب ويرجو الثواب، والله ﷻ الموفق للصواب."[1]، وقد قيل: إن الباعث على ذلك تنبيه إلهي ينبه به من أراد سعادته؛ لقبح الذنوب وضررها إذ هي سموم مهلكة. قلت: وهذا خلاف في اللفظ لا في المعنى، فإن الإنسان لا يتفكر في وعد الله ﷻ ووعيده إلا بتنبيهه؛ فإذا نظر العبد بتوفيق الله ﷻ إلى نفسه فوجدها مشحونة بذنوب اكتسبها وسيئات اقترفها، وانبعث منه الندم على ما فرط، وترك مثل ما سبق مخافة عقوبة الله ﷻ صدق عليه أنه تائب، فإن لم يكن كذلك كان مصراً على المعصية وملازماً لأسباب الهلكة."[2]

وقال سهل بن عبد الله ﷺ: "علامة التائب أن يشغله الذنب على الطعام والشراب؛ كالثلاثة الذين خُلِّفوا."[3]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم."[4]

التوبة النصوح هي التي اجتمع فيها خمسة شروط:

الأول: الإخلاص لله ﷻ؛ بأن يقصد بها وجه الله ﷻ وثوابه والنجاة من عذابه.

الثاني: الندم على فعل المعصية؛ بحيث يحزن على فعلها ويتمنى أنه لم يفعلها.

الثالث: الإقلاع عن المعصية فوراً؛ فإن كانت في حق الله ﷻ تركها، وإن كانت في فعل محرم، وبادر بفعلها إن كانت ترك واجب، وإن كانت في حق مخلوق بادر بالتخلص منها إما بردها إليه أو طلب السماح له وتحليله منها.

---

[1] تفسير القرطبي (4/ 211).
[2] تفسير القرطبي (4/ 212).
[3] تفسير القرطبي (4/ 212).
[4] رواه مسلم (4/ 2106).

الرابع: العزم على ألا يعود إلى تلك المعصية في المستقبل.

الخامس: أن لا تكون التوبة قبل فوات قبولها؛ إما بحضور الأجل أو بطلوع الشمس من مغربها؛ قال ﷻ: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ النساء: ١٨، وعن أبي هريرة ﷺ قال: النبي ﷺ: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه"[1]

اختلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على اثنين وعشرين قولاً:

1. هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع.
2. وروي عن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل ﷺ ورفعه معاذ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال قتادة ﷺ: "النصوح الصادقة الناصحة."[2]
3. قيل الخالصة؛ يقال: نصح أي أخلص له القول. وقال الحسن ﷺ: "النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره."[3]
4. قيل: هي التي لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها.
5. قيل: هي التي لا يحتاج معها إلى توبة.
6. قال الكلبي: "التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع عن

---

[1] رواه مسلم (4/ 2076).
[2] تفسير القرطبي (18/ 197)، تغليق التعليق (5/ 136).
[3] تفسير القرطبي (18/ 197)، اللباب في علوم الكتاب (19/ 211)، فتح القدير للشوكاني (5/ 303)، فتح البيان في مقاصد القرآن (14/ 217)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (9/ 177).

الذنب، والاطمئنان على أنه لا يعود."[1]

7. قال سعيد بن المسيب ﵁: "توبة تنصحون بها أنفسكم."[2]

8. قال القرظي ﵁: "يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، وإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الخلان."[3]

9. قال سفيان الثوري ﵁: "علامة التوبة النصوح أربعة: القلة والعلة والذلة والغربة."[4]

10. وقال الفضيل بن عياض ﵁: "هو أن يكون الذنب بين عينيه، فلا يزال كأنه ينظر إليه."[5]

11. قال ابن السماك ﵁: "أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله ﷻ أمام عينك وتستعد لمنتظرك."[6]

12. قال أبو بكر الوراق ﵁: "هو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك؛ كالثلاثة الذين خلفوا."[7]

13. قال أبو بكر الواسطي ﵁: "هي توبة لا لفقد عوض؛ لأن من أذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلباً لرفاهيتها في الآخرة؛ فتوبته على حفظ نفسه لا لله ﷻ."[8]

14. قال أبو بكر الدقاق المصري ﵁: "التوبة النصوح هي رد المظالم، واستحلال

---

[1] تفسير القرطبي (18/ 198)، اللباب في علوم القرآن (19/ 211).
[2] تفسير القرطبي (18/ 198)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (9/ 350).
[3] تفسير القرطبي (18/ 198).
[4] الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (9/ 350)، تفسير القرطبي (18/ 198)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (7/ 87).
[5] تفسير القرطبي (18/ 198).
[6] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (569/4)، تفسير القرطبي (18/ 198).
[7] الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (9/ 350)، تفسير القرطبي (18/ 198)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (5/ 453)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص 215.
[8] تفسير القرطبي (18/ 198).

الخصوم، وإدمان الطاعات."[1]

15. وقال رويم ﵁: "هو أن تكون لله ﷻ وجهاً بلا قفاً، كما كنت له عند المعصية قفاً بلا وجه."[2]

16. قال ذو النون ﵁: "علامة التوبة النصوح ثلاث: قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام."[3]

17. قال شقيق ﵁: "هو أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة، ولا ينفك من الندامة؛ لينجو من آفاتها بالسلامة."[4]

18. قال سري السقطي ﵁: "لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين؛ لأن من صحب توبته أحب أن يكون الناس مثله."[5]

19. قال الجنيد ﵁: "التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبداً؛ لأن من صحت توبته صار محباً لله ﷻ، ومن أحب الله ﷻ نسي ما دون الله ﷻ."[6]

20. قال ذو الأذنين[7] ﵁: "هو أن يكون لصاحبها دمع مسفوح، وقلب عن المعاصي جموح."[8]

21. قال فتح الموصلي ﵁: "علامتها ثلاث: مخالفة الهوى، وكثرة البكاء، ومكابدة الجوع والظمأ."[9]

22. قال سهل بن عبدالله التستري ﵁: "هي التوبة لأهل السنة والجماعة؛ لأن

---

[1] تفسير القرطبي (18/ 198)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص 216.
[2] الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (9/ 350)، تفسير القرطبي (18/ 198).
[3] الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (9/ 350)، تفسير القرطبي (18/ 198).
[4] الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (9/ 350)، تفسير القرطبي (18/ 198).
[5] تفسير القرطبي (18/ 198)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (7/ 87)
[6] تفسير القرطبي (18/ 198).
[7] ذو الأذنين: لقب أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ذلك قيل: معناه الحض على حسن الاستماع والوعي. وقيل: إن هذا القول من جملة مزحه ﷺ.
[8] تفسير القرطبي (18/ 199).
[9] تفسير القرطبي (18/ 199).

المبتدع لا توبة له؛ بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب."[1]

وإذا كان الله ﷻ يدعو عباده إلى التوبة النصوح الصادقة في كل زمان، فإن التوبة في رمضان أحرى وأولى، فهو شهر تسكب فيه العبرات، وتقال فيه العثرات، ويحصل به العتق من النار، ليس حريّاً بنا في رمضان أن نتخفف من الأوزار، ونقلع عن المعاصي والموبقات فيستشعر لذة رمضان ونحس بأثره في نفوسنا وسلوكياتنا، ولا يكن رمضان وغيره سواء.

توبوا إلى ربكم ﷻ واستغفروه، واستفيدوا من شهر التوبة والمغفرة، ولا تتعاظموا على الله ﷻ ذنباً، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أحدنا يذنب، قال: يكتب عليه، قال: ثم يستغفر منه، قال: يغفر له وتاب عليه، قال: فيعود فيذنب، قال يكتب عليه، قال: ثم يستغفر منه ويتوب، قال: يغفر له وتتاب عليه، ولا يمل الله حتى تملوا."[2]

ومع التوبة تجنبوا الموبقات، وأكثروا من الطاعات، عسى ربكم ﷻ أن يرحمكم ويغفر لكم، إن في ذلك لذكرى لمن عقل شهر التوبة، وأدرك ما فيه من الخيرات الكثيرة والأجور الكبيرة.

ومن أهمية التوبة تكفير الذنوب، ودخول الجنة والنجاة من النار، ونيل التوفيق من الله ﷻ في الدنيا والآخرة، وكسب محبة الله ﷻ، ومحبة رسوله ﷺ، ويبارك الله ﷻ بأموال وأبناء التائبين، ويمحو الله ﷻ سيئات التائبين ويبدلها بالحسنات.

---

[1] تفسير التستري (1/ 171)، تفسير القرطبي (18/ 199).

[2] المعجم الكبير للطبراني (17/ 287)، شعب الإيمان (9/ 307).

ومن فوائد التوبة أنها من كمال الإيمان وحسن الإسلام، وتسبب ذهاب الضيق وإزالة الهم، أنها جلاء الذنوب والمعاصي، وعموم وشمول مغفرة الله ﷻ ورحمته لكل ذنب تاب العبد منه وإن كان شركاً.[1]

فتوبوا إلى الله ﷻ توبة نصوح في أقوالكم وأعمالكم في هذا الشهر الكريم، واجعلوها خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة التوبة مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (4/ 1295).

مـدرسـة الـقـرآن

لقد امتنَّ الله ﷻ علينا بنعمة جليلة، حين أنزَل القرآن الكريم على عبده ونبيِّه محمد ﷺ فهو نعمة عظيمة، حُقَّ لنا أن نفرحَ بها، ونُعلن اغتباطنا بها، ألَم يقل الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ يونس: ٥٧ - ٥٨

ولو تأمَّلنا فيما ورَد من الفضائل لهذا الكتاب العزيز، لرأينا عجبًا، فهو الكتاب الذي لو أُنزِل على الجبال الرواسي، لتصدَّعت وخَشَعت؛ قال ﷻ: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ الحشر: ٢١

وهو الكتاب الذي تكفَّل الله ﷻ بحِفظه، ولَم يَكِل حِفْظَه إلى مَلكٍ أو نبيٍّ؛ قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ الحجر: ٩

وهو الكتاب المهيمن على ما عداه من الكتب التي أنزَلها الله ﷻ، قال ﷻ:

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا ٤٨ ﴾ المائدة: ٤٨

وقال النبي ﷺ: "إنَّ هذا القرآن سببٌ، طرفه بيد الله وطرَفه بأيديكم، فتمسَّكوا به؛ فإنكم لن تَضلُّوا ولن تَهلِكوا بعده أبدًا."[1]

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: "ألا وإني تارِكٌ فيكم ثَقَلين: أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله، ومَن اتَّبعه، كان على الهدى، ومَن تركه، كان على ضلالة."[2]

فمَن أراد النجاة والفلاح، فعليه بكتاب الله سبحانه وتعالى ، ومَن أرادَ الخير الكثير والأجر الوافر، فليَقرأ كتاب الله سبحانه وتعالى ؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ فاطر: ٢٩ - ٣٠

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثلُ الأُترجَّة؛ رِيحها طيِّب، وطعمها طيِّب، ومثلُ المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، كمثل التمرة؛ لا ريحَ لها، وطعمها حُلو."[3]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي ﷺ: "مَن قرَأ حرفًا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول" :ألم "حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف."[4]

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (22/ 188).
[2] رواه مسلم (4/ 1874).
[3] رواه مسلم (1/ 549)، سنن أبي داود (4/ 259)، السنن الكبرى للنسائي (6/ 253).
[4] سنن الترمذي (5/ 175).

ومَن قرأ القرآن ماهرًا به، فهو يوم القيامة مع الملائكة السَّفرة الكرام البَررة؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به، مع السَّفرة الكرام البَررة، والذي يقرأ القرآن، ويَتتعْتَع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران."[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "أيحبُّ أحدكم إذا رجَع إلى أهله، أن يجدَ فيه ثلاث خَلِفات[2] عِظام سِمانٍ؟، قلنا: نعم، قال: "فثلاث آيات يَقرأ بهنَّ أحدكم في صلاة، خيرٌ له من ثلاث خَلِفات عِظام سِمانٍ."[3]

وهذا قتادة رضي الله عنه يقول: "اعْمُروا به قلوبَكم، واعْمُروا به بيوتكم."[4]؛ أي: القرآن

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: "إن البيت ليتَّسع على أهله، وتَحضُره الملائكة، وتَهجُره الشياطين، ويَكثُر خيرُه؛ أن يُقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليَضيق على أهله، وتَهجُره الملائكة، وتَحضُره الشياطين، ويقلُّ خيرُه؛ ألاَّ يُقرَأ فيه القرآن."[5]

وللقرآن الكريم مع أهله يوم القيامة مواقفُ عجيبة؛ فعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"اقرَؤُوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه."[6]

وعن النوَّاس بن سَمْعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتَى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تَقْدُمه سورة البقرة وآل عمران، تُحاجَّان عن صاحبهما."[7]

---

[1] مسند أحمد (40/ 256).
[2] (خلفات) الخلفات الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدها ثم هي عشار والواحدة خلفة وعشراء.
[3] رواه مسلم (1/ 552).
[4] سنن الدارمي (4/ 2106).
[5] سنن الدارمي (4/ 2085).
[6] رواه مسلم (1/ 553).
[7] رواه مسلم (1/ 554).

وعند تلاوة القرآن ومدارسته، تتنزَّل الملائكة والسكينة والرحمة؛ فعن البراء بن عازب ﷺ قال: "كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرسٌ مربوط بشَطَنين[1]، فتَغشَّته سحابةٌ، فجعَلت تَدنو، وجعَل فرسُه يَنفِر منها، فلمَّا أصبَح، أتى النبيَّ ﷺ فذكَر له ذلك، فقال: "تلك السكينة[2] تنزَّلت للقرآن."[3]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "ما اجتمَع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويَتدارسونه بينهم إلاَّ نزَلت عليهم السكينة، وغَشِيتْهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكَرهم الله فيمَن عنده."[4]

وفي تلاوة القرآن الكريم أمان بإذن الله ﷻ من الغفلة؛ قال النبي ﷺ: "من قام بعشر آيات، لَم يُكتب من الغافلين، ومَن قام بمائة آية، كُتِب من القانتين، ومَن قام بألف آية، كُتِب من المقَنطِرين."[5]

ومما يؤكِّد المكانة السامية لهذا القرآن، أن خيرَ الناس مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه؛ كما أخبر بذلك النبي ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه."[6]، وأن أحقَّ الناس بالإمامة في الصلاة، أقرَؤُهم، بل إن أهل القرآن لهم المكانة والرِّفعة؛ قال النبي ﷺ: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين."[7]

إن القلب يَصْدَأ ويَقسو، والنفس تَضعُف، وتَهبط بها دواعي الشهوات ومشاغل الدنيا، وما أحوجنا إلى ما يُصلح نفوسنا، ويُلِيّن قلوبنا، ويَربطنا بخالقنا ﷻ وما

---

[1] بشطنين: هما تثنية شطن وهو الحبل الطويل المضطرب وإنما ربطه بشطنين لقوته وشدته.

[2] تلك السكينة: هي ما يحصل به السكون وصفاء القلب وقال النووي قد قيل في معنى السكينة هنا أشياء المختار منها أنها شيء من مخلوقات الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة.

[3] رواه مسلم (1/ 547).

[4] سنن أبي داود (2/ 71).

[5] سنن أبي داود (2/ 57)، صحيح ابن حبان (6/ 310).

[6] مسند أبي داود الطيالسي (1/ 73)، رواه البخاري (6/ 192)، سنن أبي داود (2/ 70).

[7] رواه مسلم (1/ 559)، سنن الدارمي (4/ 2118)، سنن ابن ماجه (1/ 79).

تقرَّب عبدٌ إلى ربِّه ﷻ بأفضل من تلاوة كتابه، والوقوف عند معانيه، والتدبُّر في آياته.

وقد كان من هَدْي السلف المستقر لديهم، تلاوة وِرْدٍ يومي من كتاب الله ﷻ ، بأن يَجعل أحدهم له قدرًا يَقرأه يوميًّا، ويَتعاهد نفسه عليه، بحيث يختم القرآن في كلِّ شهر أو عشرين يومًا، أو أقل من ذلك.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، أن النبي ﷺ قال له: "اقرَأ القرآن في كلِّ شهر، قال: قلت: يا نبيَّ الله، إني أُطيق أفضلَ من ذلك، قال: فاقْرَأه في كلِّ سبعٍ، ولا تَزِدْ عن ذلك."[1] ، وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "مَن نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرَأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كُتِب له كأنَّما قرأه من الليل."[2]

فالقرآن هو أشرف كتاب أنزله الله ﷻ، نزل به أشرف ملك هو جبريل عليه السلام، في أشرف شهر هو شهر رمضان، في أشرف ليلة هي ليلة القدر، في أشرف بقعة على الأرض هي مكة المكرمة، وبأشرف لغة اللغة العربية، وعلى أشرف خلق الله ﷻ، هو الحبيب النبي ﷺ، وإلى خير أمة هي أمة خاتم النبيين، قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥

القرآن أنزله الله ﷻ ليكون آية وبرهانًا على صدق نبوة ورسالة محمد ﷺ، وليكون منهاجاً للأمة وشفاءً لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وهداية للناس أجمعين،

---

[1] رواه مسلم (2/ 813).

[2] رواه مسلم (1/ 515)، سنن ابن ماجه (1/ 426)، سنن أبي داود (2/ 34)، سنن النسائي (3/ 259).

أنزله الله ﷻ لنتلوه حق تلاوته ونتبعَه حق اتباعه، ولنتدبر آياته ونتفكر في معانيه، أنزله الله ﷻ لنقفَ عند حدوده فنُحلُّ حلاله ونحرم حرامه ولا نحرفه عن مواضعه.

وقد تكفل الله ﷻ لمن اتبعه حق اتباعه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، قال ﷻ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ طه: ١٢٣، فهو عصمة لمن اعتصم به، ونجاة لمن تمسك به، ونور لمن استنار به.

فعلى كل من تمسك بهذا القرآن الذي هو حبل الله ﷻ المتين، عليه أن يعلم أنه ربح الربح الذي ليس بعده ربح، وفاز الفوز الذي ليس بعده فوز، ونجَح وأفلح في دنياه وأخراه، عليه أن يعلم أنه استحق الرفعة والشرف والإعزاز والتكريم من العلي الكريم ﷻ.

وكل من جافى القرآن وتنكر له وأعرض عنه، عليه أن يعلم أنه سقط قدره وانحطت منزلته من عند العلي القدير ﷻ كيف ما كان نسبه أو جاهه في أهله وعشيرته .

قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤

القرآن سماه الله ﷻ روحًا ونوراً، فقال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ٥٢

إن المكانة والمنزلة التي أعدها الله ﷻ لأهل القرآن الذين يشتغلون به تلاوة وتدبراً وتعلماً وتعليماً وعملاً ودعوة وتطبيقاً لهي من أسمى المنازل، بل أرقى وأعلى وأشرفُ ما يمكن أن ينالَه المسلم بعمل من الأعمال التي يرجو بها القرب من الله ﷻ.

فأمة الحبيب النبي ﷺ من أوصافها أنها خير أمة أخرجت للناس، والنبي ﷺ وهو يعلم عن ربه ﷻ خيرية أمته وأفضليتها على سائر الأمم ويعلم خيرية وأفضلية الصالحين العاملين من أمته، يجعل هذه الخيرية والأفضلية مخصوصة بالمرتبط والمتمسك بالقرآن، فعن عثمان ﷺ عن النبي ﷺ قال: "أن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه."[1]

فاعلم أيها المؤمن.. أن صاحب القرآن، المرتبط المتمسك به تعليماً وتعلّماً في المكانة العليا والمنزلة الرفيعة.

صاحب القرآن مُقدم في أعظم الأمور وأشرفها، مقدم في الصلاة التي هي عماد الدين وأعظم العبادات، يقول النبي ﷺ: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله."[2]

بل صاحب القرآن مُقدم على غيره حتى بعد الموت في الدفن، فعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول: "أيّهم أكثر أخذاً للقرآن، فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد، ويقول: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة."[3]

فانظر إلى مقامك وقدرك يا صاحب القرآن، فمهما كنت موصوفاً بنقص عند الناس، فأنت المقدّم المشرف بشهادة النبي ﷺ، شرف يُذهب نقصك ويَرفع قدرك ومقامك عند الله ﷻ.

---

[1] رواه البخاري (6/ 192).
[2] رواه مسلم (1/ 465)، سنن النسائي (2/ 77)، سنن ابن ماجه (1/ 313).
[3] رواه البخاري (2/ 93).

وحتى ننال هذا الشرف ونكون من أهل القرآن الذين جعلهم الله ﷻ أهلَه وخاصته، ونال القرب منه ﷻ، لا بد من الإكثار من تلاوة القرآن والمداومة على ذلك وفهم آياته ومعانيه وتعلمه وتعليمه والاستماع إليه وحفظه والعمل به وتعليمه لأولادنا.

أن لشهر رمضان الكريم شهر الصيام والقيام خصوصيةً بالقرآن؛ فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن الكريم هدًى للناس؛ يقول ﷻ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥

فأخبر ﷻ بخصوصية شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهنَّ لإنزال القرآن العظيم فيه، بل لقد ورد في الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تتنزّل فيه على الأنبياء عليهم السلام، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أُنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستٍ مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الزّبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأُنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان."[1]

فهذا الحديث يدل على أن شهر رمضان هو الشهر الذي كانت تنزل فيه الكتب الإلهية على الرُّسل عليهم السلام إلا أنها كانت تنزل على النبي ﷺ الذي أنزلت عليه تنزل عليه جملة واحدة، وأما القرآن الكريم، فلمزيد شرفه وعظيم فضله وجلالة مكانته، فإنما نزل جملةً واحدة إلى بيت العزّة من السماء الدنيا، وكان ذلك في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك؛ قال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا

[1] المعجم الأوسط (4/ 111).

مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ الدخان: ٣، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ القدر: ١، وقال ﷻ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ البقرة: ١٨٥، فدلَّت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن الكريم أُنزل في ليلة واحدة، توصف بأنها ليلة مباركة وهي ليلة القدر، وهي من ليالي شهر رمضان المبارك، ثم بعد ذلك نزل مفرَّقًا على مواقع النجوم يتلو بعضه بعضًا بحسب الوقائع والأحداث، هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من غير وجه، فعن سعيد بن جبير ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ﷻ ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض."[1]

إن الحكمة في هذا النزول هي تعظيم القرآن الكريم، وتعظيم أمر من نُزل عليه، وهو رسول الله ﷺ، وتعظيم الشهر الذي نُزل فيه، وهو شهر رمضان المبارك الذي نعيش أيامه الفاضلة ولياليه الكريمة، وفي ذلك أيضًا تفضيل لليلة التي نُزل فيها، وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر؛ يقول ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ القدر: ١ ـ ٥

ثم إنّ ما تقدَّم ليدل أعظم دَلالة على عِظم شأن شهر الصيام، شهر رمضان المبارك، وأنّ له خصوصية بالقرآن؛ إذ فيه حصل للأمة من الله ﷻ هذا الفضلُ العظيم نزول وحيه الكريم، وكلامه العظيم المشتمل على الهداية والنور، والسعادة

[1] إعراب القرآن للنحاس (5/ 166).

والفلاح في الدنيا والآخرة؛ ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ البقرة: ١٨٥ ، والهداية لمصالح الدين والدنيا، وفيه تبيين الحق بأوضح بيان، وفيه الفرقان بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والظلمات والنور .

فحقيق بشهر هذا فضله، وهذا إحسان الله ﷻ على عباده فيه أن يعظمه العباد، وأن يكون موسمًا لهم للعبادة وزادًا عظيمًا ليوم المعاد، ويدلُّ أيضًا على استحباب دراسة القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك، والاجتهاد في ذلك، والعناية بهذا الأمر أتمَّ العناية، والإكثار من تلاوة القرآن فيه، وعرض القرآن على مَن هو أحفظ له، والزيادة في مدارسته؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، فيدارسه القرآن، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، كان رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة."[1]، وقد كان ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان في الليل أكثر من غيره، وهذا أمر يشرع لكل من أراد أن يزيد في القراءة ويطيل، وكان يصلي لنفسه فيطيل ما شاء، وكذلك مَن صلى بجماعة يرضون بإطالته، وأما سوى ذلك فالمشروع التخفيف؛ **قال الإمام أحمد** رضي الله عنه لبعض أصحابه وكان يصلى بهم في رمضان: "هؤلاء قوم ضعفاء اقرأ خمسًا، ستًّا، سبعًا، قال: فقرأت فختمتُ ليلة سبع وعشرين، فأرشده رضي الله عنه إلى أن يراعي حال المأمومين، فلا يشق عليهم ."[2]

[1] رواه البخاري (1/ 8)، سنن النسائي (4/ 125).
[2] نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان (1/ 208).

وكان السلف ﷺ يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها، وتزيد عنايتهم به في هذا الشهر العظيم، فكان الأسود ﷺ يقرأ القرآن في كل ليلة من رمضان.

وكان النخعي ﷺ يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر يختمه في كل ثلاث.

وكان قتادة ﷺ يختم في كل سبعٍ دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كلَّ ليلة[1].

وكان الزُّهري ﷺ إذا دخل رمضان، قال: "فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام."[2]

وكان مالك ﷺ إذا دخل رمضان يفرُّ من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم ويُقبل على تلاوة القرآن من المصحف[3].

وكان سفيان الثوري ﷺ إذا دخل رمضان، ترك النوافل، وأقبل على قراءة القرآن.[4]

إنّ العناية بالقرآن قراءة وحفظًا تعلُّمًا وتعليمًا، مدارسة ومذاكرة، تدبُّرًا وتفهُّمًا، عناية وتطبيقًا، دعمًا ومساندة، إن ذلك كله لمِن سمات الأخيار وعلامات الأبرار، وكلما ازدادت الأمة وازداد المسلمون تمسُّكًا بكتاب الله ﷻ وعناية به ومحافظة عليه تعلُّمًا وتعليمًا، زادت فيهم الخيرية ونمى فيهم الفضل، وكثر فيهم الخير.

فالخيرية مرتبطة بالقرآن؛ فكلما ازدادت الأمة تمسُّكًا بالقرآن قراءة وحفظًا، تلاوة وتدبُّرًا، عملاً وتطبيقًا، زاد الخير فيهم، ونمى الفضل، وعظم النُّبل بحسب تمسكهم بكتاب الله ﷻ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال:

---

[1] فقه الأدعية والأذكار/ عبد الرزاق البدر ص 72.
[2] فقه الأدعية والأذكار/ عبد الرزاق البدر ص 72, التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (6/ 111).
[3] فقه الأدعية والأذكار/ عبد الرزاق البدر ص 72.
[4] فقه الأدعية والأذكار/ عبد الرزاق البدر ص 72.

"عليكم بالقرآن، فتعلموه وعلموه أبناءكم؛ فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظًا لمن عقل[1]."

إن شأن القرآن عظيم ومكانته عالية؛ فهو سبيل عزِّ الأمة، وأساس سعادتها، وطريق فوزها وفلاحها في الدنيا والآخرة، فالواجب علينا أن تَعْظُم عنايتنا بالقرآن، وأن يزداد اهتمامنا به، ولا سيَّما وأننا نعيش شهر القرآن، شهر رمضان المبارك.

فللقرآن ارتباط وثيق بالصيام عموماً وبرمضان خصوصاً، فكلاهما يصفي الروح ويجلو القلب والعقل، والقيام بهما معاً له شأن من الحلاوة والراحة، وقد جمع رسول الله ﷺ بين الصيام والقرآن فقال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان."[2]

أيها الصائمون، ما أحسن قراءة القرآن للصائم في رمضان، وما ألذ حروفه في اللسان، وألطف وقعها على القلوب، حينما يفرغ البطن ويصفو العقل من كدر المأكولات والشهوات يكون للقرآن طعم آخر؛ فالطعام والشراب والشهوة تكسب القلب قسوة، والنفس غفلة، والجوارح ثقلاً وكسلاً، فيأتي الصيام ليقدح الفكر، ويذهب الغفلة، وينقل القارئ الصائم إلى التفهم والتدبر، والمعرفة ورقة القلب، وهذه الحالة التي يمكن للقارئ الاستفادة منها.

فالعين ترى في تلك الصفحات المشرقة نوراً يهديها إلى الطريق المستقيم، والأذن تسمع أحلى كلام يصل الأسماع، والقلب يتنعم بتلك المعاني المؤثرة التي تزرع فيه

---

[1] فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص 52.

[2] مسند أحمد (11/ 199).

حب هذا الكتاب وحب منزله العظيم، فيعظم رجاؤه لما عند الله ﷻ من الخير، ويشتد خوفه أن يصل إليه غضبه أو تناله عقوبته، والعقل يتدبر ذلك الكلام البديع الذي لا يدرك من أسراره إلا الشيء اليسير، وكلما زادت قراءته وتأمله انكشفت له حقائق ودقائق لم تكن مرت عليه من قبل.

إن القرآن الكريم لا ينفع قارئه إلا إذا تدبره، والصوم زمان خصب لتحقيق هذه الغاية الحميدة، ومن الخطأ الكبير أن يكون الهم الأكبر للقارئ في رمضان وفي غير رمضان الوصول إلى نهاية السورة أو نهاية المصحف بإسراع القراءة وأكل الحروف والكلمات .

قال محمد بن كعب القرضي رضي الله عنه: "لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ "إذا زلزلت" " والقارعة"، لا أزيد عليهما أتردد فيهما، وأتفكر أحب إلي من أهذ[1] القرآن ليلتي كلها[2]."

والقرآن إنما أُنزل للتدبر الذي يعقبه العمل به، قال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩، تدبر القرآن يفتح لصاحبه آفاقاً رحبة من الخير العاجل والآجل، فهو يُريه طرق الخير وأهلها، وسبل الشر وأصحابها، فيدعوه إلى الطريق الأولى وصحبة سالكيها، ويحذره من الطريق الأخرى والهالكين فيها.

---

1 أهذ: أي أن أقرأه بسرعة.

2 غاية النهاية في طبقات القراء (2/ 233)، النشر في القراءات العشر (1/ 209)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (9/ 372)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (26/ 345).

ويريه حكمة المشرع المعبود ﷻ في نهيه وأمره، وعظمتَه في خلقه، وفضلَه في إكرامه، وعدله في عقابه، وقوته في مؤاخذته، ورحمته بعباده، وسعةَ علمه في مخلوقاته، وجبروته في قهر أعدائه، ونصرته لأنبيائه وأوليائه، وعزته ومنعته أن يناله أذى المؤذين، وقدرتَه أن يفوته أحد المخلوقين، وسمعه الواسع في إدراك نطق الناطقين، وبصره النافذ العظيم أن تخفى عليه حركة أو سكون من خلقه أجمعين.

أيها الصائمون، ما ملَّ القرآنَ من تدبر ألفاظه ومعانيه، وما نسي لذة القرآن من تدبر أحكامه وحكمه، وما هجر القرآن من ذاق طعمه وخالطت بشاشته قلبه.

إن القرآن متدبَراً ما تلاه لسان إلا طاب وحلا، ولا وصل أثره قلباً إلا صلح وصفا، ولا حل صدراً إلا انبسط وانشرح، ولا تأمل فيه عقل راجح إلا اتسع وانفسح.

وهل هملت الدموع الصادقة عند تلاوته أو سماعه إلا بتدبره، وخشعت القلوب بعد أن كانت قاسية كالحجارة إلا بتعقله، وهل عرفت علوم الشريعة إلا بالنظر فيه، والتفكر فيما يحويه.

قال بن مسعود ﷺ: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون."[1]

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 129)، المنهاج في شعب الإيمان (3/ 392)، مصنف ابن أبي شيبة (7/ 231)، صفة الصفوة (1/ 155)، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (1/ 401)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (7/ 84)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (2/ 262).

وقال الفضيل بن عياض ﷺ: "حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو؛ تعظيما لحق القرآن[1]."

فالقرآن القرآن – يا عباد الله – حافظوا على تلاوته وتدبره، وتحكيمه والعمل به، وأكثروا من قراءته هذه الأيام؛ فإنها أيام فاضلة وموسم خير فسيح، فأروا الله ﷻ من أنفسكم مع كتابه خيراً؛ فالسعيد من كان القرآن حجة له لا عليه.

فعلى الصائم أن يدارس القرآن كما كان رسول الله ﷺ يدارسه، وأن تكون معايشته للقرآن في رمضان أكثر من غيره؛ فرمضانُ هو شهر القرآن، فليكن همك وهمتك أن تختم القرآن أكثر من مرة في رمضان، فشهر رمضان هو شهر القرآن فينبغي أن يكثر العبد المسلم من قراءته ، **قال ابن رجب**: "إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك ، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان."[2]

ومن قراءة القرآن في رمضان يأخذ الصائم الصادق دروسًا بليغة تهديه إلى الحق، وتدله على أبواب الخير، وتزيد من إيمانه بالله ﷻ، فإذا تذوق من تلاوة كتاب الله ﷻ تلك الثمرات أحب التلاوة، وجعلها وردًا لا يخل به بعد رمضان؛ لأنه أدرك تأثيرها على روحه، واستقامته، وهداه، فرمضان كما هو موسم يتفرغ فيه المؤمن

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 92)، كشاف القناع عن متن الإقناع (1/ 434)، مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى (1/ 608)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (7/ 84).

[2] لطائف المعارف لابن رجب ص 171.

لتلاوة القرآن، فهو أيضًا فرصة، مدرسة تذكر المؤمن بحاجته الماسة إلى وسائل التذكير التي تذكره بالله ﷻ، وأولها وأسماها كتاب الله ﷻ: قال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩، فليست قراءة المؤمن للقرآن منحصرة على رمضان، وإنما هي ممتدة إلى ما بعده باقية ما بقيت حاجته إلى التذكير، وهل حاجته إلى ذلك تزول؟!

فرمضان مدرسة القرآن، وفيه أنزل كما قال ﷻ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥، ولذلك كان رسول الله ﷺ يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام في رمضان، لكنك لو تأملت في سيرة النبي ﷺ وحاله مع القرآن لوجدته ﷺ أكثر الناس حرصًا على تلاوته، وتدبره، وحينما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه قالت: "كان خلقه القرآن."[1]، فلم يكن حاله العناية بمدارسة القرآن في رمضان فقط، وإنما كان في شهر رمضان أكثر مدارسة وتلاوة للقرآن من غيره.. أفلا نجعل نحن أيضًا من رمضان منطلقًا لتدبر القرآن.. وبداية للحرص على ورده، والمداومة على تلاوته، والتخلق بأخلاقه أوليس قد أمر الله ﷻ بتلاوته وتدبره في رمضان وفي غيره فقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩

[1] مسند أحمد (43/ 15).

فلماذا يجتهد معظم الناس في التلاوة في رمضان ثم يهجرون القرآن بعده طيلة السنة؟!

ومن ثمرات قراءة القرآن إن قارئ القرآن في مصاف العظماء ومن أفضل الناس، وأعلاهم درجة، كما يكتسب قارئ القرآن عن كل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، كما تشمل القارئ ظلة الرحمة ويحاط بالملائكة وتتنزل عليه السكينة، ويضيء الله ﷻ قلب قارئ القرآن ويقيه ظلمات يوم القيامة ويبعد عنه الشدائد، ورائحة قارئ القرآن زكية ومذاقه حلو كالأترجة، وقارئ القرآن لا يحزنه الفزع الأكبر لأنه في حماية الله ﷻ ولأن القرآن يشفع له، وقارئ القرآن سبب في رحمة والديه وإغداقهما بالنعيم ويمدهما الله ﷻ بالأنوار المتلألئة جزاء قراءة ابنهما، وقارئ القرآن يرقى إلى قمة المعالي في الجنَّة ويصعد إلى ذروة النعيم، كما تدعو له الملائكة الكرام بالرحمة والمغفرة، وقارئ القرآن مستمسك بالعروة الوثقى، ويتمتع بالشفاء الناجع ويعصم من الزيغ وينجو من الشدائد، كما أن قارئ القرآن من أهل الله ﷻ وخاصته المتقربين إليه، ومن العاملين الشغوفين بطاعة الله ﷻ والقانتين له، ويكتب قارئ القرآن عند الله ﷻ من الذاكرين والقانتين، وقارئ القرآن ممن يشهد لهم رسول الله ﷺ يوم القيامة، وتبتعد الشياطين عن قارئ القرآن وتخرج من بيته، ويستنير عقل قارئ القرآن ويمتلئ قلبه بالحكمة وتتفجر منه ينابيع العلم، وبالقرآن تعمر القلوب والبيوت، وقراءة القرآن تورث القلب خشوعاً والنفس صفاءً، وفي القرآن غنى لأهله تسعد به قلوبهم كما يسعد صاحب الأموال بماله وهو غنى لا دخل فيه،

وأهل القرآن يذكرهم الله ﷻ فيمن عنده وكفى بذلك فضلاً وشرفاً.[1]

1 نظرة النعيم (4/ 1182-1183)

ومن فوائد تلاوة القرآن أنها تهدي المؤمن إلى صراط مستقيم، وأن القرآن عصمة لمن اعتصم به وحرز من النار لمن عمل بما جاء به، وأن القرآن حبل الله ﷻ المتين فمن تمسك به وتلاه حق تلاوته فاز بنعيم الدنيا والآخرة، سبب من أسباب انشراح الصدر، فيه الشفاء من أدواء الجسم والنفس.[1]

أكثروا من تلاوة القرآن وتدبروا فيه في هذا الشهر الكريم، واجعلوه خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة القرآن مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

1 نظرة النعيم (4/ 1229)

مـدرسـة الـقـيـام

قيام الليل سنّة مؤكّدة وقربة عظيمة من الله ﷻ، وقد ورد في القرآن الكريم والسنّة النبويّة ما يبيّن أهميّتها، ويحثّ على الترغيب فيها، وتعد صلاة الليل أفضل صلاة بعد الصلاة المكتوبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: "أفضلُ الصَّلاةِ بعدَ الصلاةِ المكتوبةِ، الصلاةُ في جَوفِ الليلِ."[1]

إنّ قيام الليل من خصال الخير والتقوى وهو من صفات عباد الله المتقين فكيف بقيام الليل في رمضان وهو شهر الطاعات والعبادات والقربة من الله ﷻ، والأجر فيه مضاعف عن باقي أيام السنة لذلك يعد القيام في شهر رمضان من الشعائر العظيمة التي سنها الرسول ﷺ بقوله وفعله فقد قال: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه."[2]

إنّ قيام رمضان شامل للصلاة في أوله وآخره وتعد صلاة التراويح من قيام رمضان، وهي سنّة مؤكدة يبدأ وقتها من بعد صلاة العشاء ويفضّل أن تؤتى في المسجد جماعة ويجوز للنساء أن تؤديّها في المسجد، فمن قامها في جماعة فكأنما قام ليلة كاملة، أما إذا أخرها صاحب الصلاة إلى الثلث الأخير من الليل فإن له فضل قيام الليل وصلاته مشهودة ومسموعة، وفيها يستجاب الدعاء ويغفر الذنب وتقضى الحوائج وذلك من فضل الله ﷻ حيث ينزل إلى السماء الدنيا وهو أعلم بعظمة نزوله ويسأل العباد فيجيب الدعاء ويغفر الذنب.

---

[1] رواه مسلم (2/ 821).

[2] رواه البخاري (1/ 16)، رواه مسلم (1/ 523)، سنن أبي داود (2/ 49)، سنن النسائي (3/ 201).

إن أوقات شهر مضان من أفضل الأوقات وأعظمها وهي أيام مباركة، لذلك ينبغي اغتنامها في القرب من الله ﷻ والإلحاح عليه بالطلب من خيري الدنيا والآخرة والتوفيق منه فإنه الرحمن المستعان وعليه التوكل، ومما يزيد من فضل هذا الشهر أن القرآن الكريم نزل فيه في ليلة القدر، وهي ليلة مباركة خيرها عظيم وفضلها جليل، حيث يعطي الله ﷻ من قامها إيماناً واحتساباً من الأجر الكبير والثواب العظيم، وفيها تقسم الأرزاق والمعاد إلى مثلها في العام المقبل وغير ذلك من أمور متعلقة بأمر العباد، وفيها تنزل الملائكة إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة لأهل الإيمان وفيها السلامة من العذاب.

تعتبرُ صلاة قيام الليل من أفضلِ النوافل بعدَ أداء الصلوات المكتوبة، ولها أجرٌ كبير وفضلٌ أكبر في الأيّام العاديّة، فكيف وإنْ كانت في شهر الصوم والرحمة والمغفرة، فهي مَقربة منه ﷻ، ومكفرة للسيئات؛ لذا فهي فرصةً لا تُقدّر بثمن لمن أراد التقرّب من الله ﷻ لطلب العفو والرحمة؛ كما يعتبرُ وقوف المسلم بين يديّ ربّه ﷻ في خلوةٍ وظلمة الليل سمةً من سماتِ الصالحين التائبين لله ﷻ.

ففي قيامِ الليلِ جلاءٌ للحزن والخوف، وتوالٍ للخير والبركات على المسلم، وتيسير لأمور ومصالح الدنيا التي تَشغل فكر العبد، كما تعتبر سبباً في استجابة الدعاء، فالمسلم الذي يتركُ النوم لله ﷻ مصلّياً، وقارئاً للقرآن يُعصم من الفتن، وينجو من النار، ويفوز بأعالي الجنان، وقد وصف الله ﷻ عباده القائمين لليل بالمتقين، وإن دلَّ ذلك على شيء فهو يدلّ على عِظم فضل القيام، حيثُ يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ

﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الذاريات: ١٥ - ١٧ وأنّ أفضل الأوقات لقيامِ الليل هو الثلث الأخير من الليل؛ حيث ينزلُ الله ﷻ إلى السموات الدُنيا نزولاً يليق بجلال وجهه منادياً المستغفرين والتائبين ليغفرَ لهم، ويتوب عليهم، ولكن هذا لا يعني أنّ باقي الأوقات غير محبّبة، فقد يستطيعُ المسلم وإن خاف ألاّ يقوم الثلث الأخير بأن يُصلّيَها بعد تفرغه من صلاة العشاء، فقد جاء عن الرسول ﷺ أنّ صلاة الليل مثنى مثنى، فعن ابن عمر رضي الله عنه: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل، فقال رسول الله ﷺ: "صلاة الليل مثنى مثنى[1]، فإذا خشي أحدكم الصبح[2] صلى ركعة واحدة توتر[3] له ما قد صلى."[4]، فله أن يُصلّي من ركعتين إلى العشرين أو إلى المئة وغير ذلك، فالله ﷻ لا يُكلِّف نفساً إلاّ وسعَها.

فإن قيام الليل هو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، وعمل الفائزين، وهو عبادة جليلة، وقربة عظيمة، ومنحة ربانية يهبها الله ﷻ للصالحين من عباده، به تسمو النفوس وتزكو، ولقد أثنى الله ﷻ على الصحابة رضي الله عنهم بقوله ﷻ: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الذاريات: ١٧ - ١٨

وهو من أعظم القربات التي يتقرب بها إلى الله ﷻ في شهر رمضان، وله فضائل كثيرة منها:

1. أنه شعار الصالحين، قال ﷺ: "عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم

---

[1] مثنى مثنى: ركعتين ركعتين، أي يصلي كل ركعتين بتشهد وسلام.
2 خشي أحدكم الصبح: خاف أن يطلع الفجر دون أن ينتبه.
3 توتر: تجعل صلاته وتراً
[4] رواه البخاري (2/ 24).

وقربة الى الله ﷻ، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد"[1]

2. أنه من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: "يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام."[2]

3. إنه من أسباب النجاة من الفتن والسلامة من دخول النار، عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول ﷺ أستيقظ ليلة فقال: "سبحان الله؟!ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا فتح الليلة من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة"[3]

4. أنه أفضل الصلاة بعد الفريضة، لقول النبي ﷺ: "أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل."[4]

5. أنه سبب لاستجابة الدعاء ونزول العطايا وقضاء الحوائج، فقد قال ﷺ: "أن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة." [5]

إن قيام الليل عبادة لا ينالها إلا من جاهد نفسه، فأصلحها، ودافع دنياه وودعها، وهيّأ نفسه، باتخاذ الأسباب المعينة عليه.

واعلم أن في الليل ساعات لإجابة الدعاء ولذة المناجاة، فمن صلى بالليل حسن عمله بالنهار، وصلاة الليل تجوز في أول الليل ووسطه وآخره ما دامت الصلاة بعد صلاة العشاء، ولقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالتهجد بالليل فقال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ

[1] صحيح ابن خزيمة (2/ 176)، المعجم الكبير للطبراني (6/ 258)، السنن الكبرى للبيهقي (2/ 707).
[2] سنن ابن ماجه (2/ 1083).
[3] رواه البخاري (2/ 49)، سنن الترمذي (4/ 487).
[4] مسند أبي يعلي الموصلي (11/ 280).
[5] رواه مسلم (1/ 521).

فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء: ٧٩،

فاستجاب الرسول ﷺ لهذا الأمر فقام الليل حتى تفطرت قدماه ورق لحاله قلب عائشة رضي الله عنها فكانت تقول له: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: "يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً."[1]

وحين دخل رسول الله ﷺ المدينة أخذ يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق وإلى الصلاة بالليل والناس نيام، فقال ﷺ: "يأيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام."[2]

فمن أراد أن يدخل الجنة آمناً من عذاب الله ﷻ يوم القيامة فعليه أن يدرب نفسه على هذه الخصال الحميدة التي نادى بها رسول الله ﷺ.

وقد أثنى الله ﷻ على أقوام حافظوا على قيام الليل وبين أنهم المحسنون المستحقون لرحمته، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الذاريات: ١٥ – ١٨، وتارة يبين أنهم من عباده الأبرار حيث يقول ﷻ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الفرقان: ٦٣ - ٦٤

[1] رواه مسلم (4/ 2172).
[2] سنن ابن ماجه (2/ 1083).

فلم يشغلهم النوم عن السجود والقيام لله ﷻ لينالوا ما أعد الله ﷻ لهم من الجزاء الأوفى والنعيم المقيم يوم القيامة.

فمن أراد أن ينال الشرف عند الله ﷻ فعليه بركعات في جوف الليل، فإن أفضل الصلوات بعد المكتوبة ما كانت في جوف الليل الأخير، وأفضل الدعاء ما كان في جوف الليل الغابر.

ولقد كان الصحابة ﭫ يفرحون بالليل لخلوتهم بربهم ﷻ، فكانوا إذا هدأت العيون ونامت الجفون يسمع عند بيوتهم دوي كدوي النحل، فهذا أبو الدرداء ﭬ يقول: "لولا ثلاثة ما وددت أن أعيش في الدنيا ساعة: الظمأ بالهواجر، والسجود في جوف الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما تنتقى أطايب الثمر."[1]

وهناك آداب لمن أراد أن يحظى بشرف قيام الليل:

1. أن ينوي نية صادقة عند نومه أن يصلي بالليل، فمن فعل ذلك وغلبه النوم كتب الله ﷻ له ما نوى، فعن أبي الدرداء ﭬ أن النبي ﷺ قال: "من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه."[2]

2. أن يمسح النوم عن وجهه عند الاستيقاظ ويتسوك وينظر في السماء ثم يدعو بما جاء عن رسول الله ﷺ: "لا إله إلا أنت سبحانك، أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك. اللهم زدني علماً، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. ثم يقرأ

[1] الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (8/ 227).
[2] السنن الكبرى للنسائي (2/ 178)، صحيح ابن خزيمة (2/ 195)، السنن الكبرى للبيهقي (3/ 22)

الآيات العشر من سورة آل عمران :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ إلى آخر السورة. ثم يقول: اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت الله لا إله إلا أنت."[1]

3. يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين."[2]، ولقد كان ﷺ يفعل ذلك في صلاة الليل.

4. أن يوقظ أهله حتى تحظى بهذا الفضل، فطوبى لرجل أعان زوجته على الصلاة بالليل، وطوبى لزوجة أعانت زوجها على السجود في جوف الليل، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء."[3]

ولقد كان رسول الله ﷺ يتفقد أصحابه ﷺ بالليل ليرى من يحظى بشرف قيام الليل، فلقد طرق باب فاطمة رضي الله عنها ليلاً وقال: "ألا تصليان؟ قالت: يا

[1] صحيح ابن حبان (12/ 341).
[2] رواه مسلم (1/ 532).
[3] سنن أبي داود (2/ 70)، سنن النسائي (205/3).

رسول الله إن أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ الكهف: ٥٤ [1]

5. أن يترك الصلاة ويرقد إذا غلبه النعاس حتى يذهب عنه النوم، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن[2] على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع."[3]، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل المسجد فوجد حبلاً ممدوداً بين ساريتين[4] فقال: ما هذا الحبل، قالوا: لزينب[5] تصلي فيه فإذا فترت[6] تعلقت به[7] فقال: "حلوه حلوه ليصل أحدكم نشاطه[8]، فإذا فتر فليقعد."[9]

6. أن لا يشق على نفسه بل يقوم من الليل بقدر طاقته ويداوم على ذلك، فخير الأعمال أدومها وإن قلت، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "خذوا من الأعمال ما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا[10]."[11]

فيأيها المسلم لا تفوتك ركعات في جوف الليل، واحرص دائماً على الدعاء والتوبة والإنابة في هذا الوقت الطيب حتى تسعد بلذة المناجاة في وقت السحر، واغتنم التجارة الرابحة بتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار حتى تسعد بشفاعة القرآن يوم القيامة، واعلم أن من الأسباب المسهلة لقيام الليل قلة المأكل والمشرب، فمن أكل

---

[1] رواه البخاري (2/ 50).
2 فاستعجم القرآن: أي استغلق ولم ينطلق به لسانه لغلبة النعاس.
[3] رواه مسلم (1/ 543)، سنن ابن ماجه (1/ 436)، سنن أبي داود (2/ 33)، السنن الكبرى للنسائي (7/ 269).
4 بين ساريتين: أي أسطوانتين من أسطوانات المسجد.
5 لزينب: زوج النبي صلى الله عليه وسلم.
[6] فترت: أي كسلت عن القيام.
7 تعلقت به: أي بهذا الحبل ليذهب الفتور.
8 نشاطه: أي قدر نشاطه أو مدة نشاطه.
[9] سنن ابن ماجه (1/ 436)، سنن النسائي (3/ 218).
10 لا يمل حتى تملوا: لا ينقطع عن قبول أعمالكم وإثابتكم عليها ما دمتم نشيطين في القيام بها فإذا فعلتموها وفيكم سآمة وملل لم يقبلها منكم.
[11] رواه البخاري (7/ 155)، رواه مسلم (2/ 811).

كثيراً نام كثيراً وفاته خير كثير، والاستعانة بالقيلولة بالنهار، وكذلك ترك الذنوب والمعاصي، فإن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل ثم النوم مبكراً، فلا خير في ليلة لم يتزود فيها المسلم من طاعة الله ﷻ ولا خير في يوم لم يتزود فيه المسلم من تقوى الله ﷻ.

فقيام الليل هو دقائق الليل الغالية، وسَمِّه إن شئتَ مدرسة المخلصين، كيف لا وهو جنَّة الله ﷻ في أرضه للمؤمنين؟ الليل هو بداية الدعوات، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ المزمل: ١ - ٢، ومنه يَستمد الدُّعاة وقودَ دعوتهم.

في الليل تُسْكَب العَبَرات، وفي الليل يُتَقَرَّب إلى الله ﷻ بأحسن الطاعات، الليل للمُذنبين وللذين هم لِما عند ربِّهم ﷻ طامعين، فهو أنيسُ الطائعين، وأمَلُ المذنبين، وبالليل يتمُّ لقاء المحبِّين، الليل يَعشقه الراكعون والساجدون والذاكرون، والذين هم لربِّهم ﷻ مُستغفرون، الليل فيه آيات للذين هم يَسمعون، الليل للذين هم بالخيرات مُسارعون، وهو خلوة التائبين، في الليل أقربُ ما يكون الله ﷻ من عباده المؤمنين، بهذا نطَقَ سيِّد المرسلين ﷺ، وفي الليل يَغفر الله ﷻ للمُسيئين، ويُعطي المحتاجين والسائلين من خزائن السموَات والأرَضين، ويُجيب المضطرين، الليل فقط يَعرفه المتيقِّظون، ويَغفل عنه أصحاب المجون اللاهون، ولا يَستطيعه إلاَّ عباد الله المخلصون، هو كَنز المدَّخرين إلى يوم الدين، وبالليل يُحصَّل الأمانُ للخائفين، في الليل تَجري العيون، ويَتسابق فيه المتسابقون؛ ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ ﴾ المطففين: ٢٦، هو للذين عن النار يَبتعدون، وللجنان يتقرَّبون، قيام الليل

فَقِهه سلفُنا الأوَّلون، فأين الذين هم من بعدهم للسِّباق يهرعون، وعن الدنيا وزينتها يَتعدون، ومن الفتن لا يَقتربون، أصحاب الليل جُنوبُهم عن المضاجع تَجافَت، وقلوبهم عن مطامع الدنيا تناءَت، وهِمَمهم عن سفاسف الأمور ارْتَفَعت، تَراهم باكين مُخبتين.

هذا هو الليل، أمَّا عن أصحاب هذا الليل وصفاتهم وأحوالهم، فهي كما قال ﷻ مُبَيِّنًا سببَ دخولهم الجنات، ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ الذاريات: ١٦ – ١٨، فنالُوا بذلك جنات وعيونًا، وما كلُّ هذا إلاَّ لأنهم باتُوا لربِّهم ﷻ سُجَّدًا يتضرَّعون، فالليل هو من سمات الصالحين؛ قال النبي ﷺ : "عليكم بقيام الليل؛ فإنه دَأْبُ الصالحين قبلكم، وقُربة إلى ربِّكم، ومكفرة للسيِّئات، ومَنهاةٌ عن الإثم."[1]

هذه العبادة هي قُربة مُعظَّمة، حثَّت عليها نصوص الكتاب والسُّنة، ورُغِّب فيها وعُظِّم من شأْنها، وأُجْزِل في ثوابها، وما فُضِّلت صلاةُ الليل على غيرها من العبادات بعد الفرائض، إلاَّ لشرفها ولشَرف وقْتها، فأقرب ما يكون الله ﷻ من عباده في الليل؛ قال أبو هريرة رضي الله عنه: إنَّ رسول الله ﷺ قال: "يَنزل ربُّنا ﷻ كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثُلُث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستَجِيب له، مَن يَسألني فأُعطيه، مَن يَستغفرني فأَغفِر له."[2]

[1] صحيح ابن خزيمة (2/ 176)، المعجم الكبير للطبراني (6/ 258)، السنن الكبرى للبيهقي (2/ 707).
[2] رواه مسلم (1/ 521)، سنن الترمذي (5/ 404).

قيام الليل أهله من السابقين إلى الجِنان بغير حسابٍ؛ سئل رسول الله ﷺ، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: في الدرجات، والكفارات، فأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام."[1]

ومن فضائل الليل أيضًا أنه سببٌ في محبَّة الله ﷻ لعبده؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ثلاثة يحبُّهم الله، ويَضحك إليهم، ويَستبشر بهم، ذكَر منهم: الذي له امرأة حَسناء وفراشٌ حسنٌ، فيقوم من الليل، فيقول الله: يَذَر شَهوته، فيَذكرني ولو شاء رَقَد، والذي إذا كان في سفرٍ وكان معه رَكْبٌ، فسَهِروا ثم هجَعوا[2]، فقام من السَّحر[3] في ضرَّاءَ وسرَّاءَ."[4]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "عَجِبَ ربُّنا من رجلٍ ثار عن وِطَائه ولِحافه من بين أهله وحِبِّه إلى صلاته، فيقول ربُّنا ﷻ: يا ملائكتي، انظُروا إلى عبدي ثارَ من فراشه ووِطَائه من بين أهله وحَبِّه إلى الصلاة؛ رغبةً فيما عندي، وشفَقةً مما عندي."[5]

وقيام الليل من أعظم ما يُكفِّر الذنوب؛ كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "وقيام العبد في جَوْف الليل، يُكفِّر الخطيئة، ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ السجدة:

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (8/ 322).
2 الهَجْعة: النومة في وقت من الليل.
[3] السَّحَر: الثلث الأخير من الليل.
[4] صحيح الترغيب والترهيب (1/ 401).
[5] صحيح ابن حبان (6/ 298).

١٦[1]، وعن عائشةَ أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها أنَّها قالت لرجلٍ: "لا تَدَع قيامَ الليل؛ فإنَّ رسول الله ﷺ كان لا يَدَعه، وكان إذا مَرِض أو قالت: كَسِل صلَّى قاعدًا."[2]

هذا هو فضْلها، أمَّا عن أجْرها وما أعدَّه الله ﷻ لأصحابها، فقد أعدَّ الله ﷻ لأصحاب القيام ما لا عين رأَتْ، ولا أُذن سَمِعت، ولا خطَر على قلب بشرٍ؛ فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله ﷻ لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام."[3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله ﷻ: أعْدَدتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رَأَتْ، ولا أُذن سَمِعت، ولا خطَرَ على قلب بشرٍ، اقْرَؤوا إن شِئْتُم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ السجدة: ١٧ [4]

وبالقيام يكون لك خبيئة من العمل الصالح؛ قال ﷺ: "مَن استطاع منكم أن يكون له خبيئة مِن عملٍ صالح، فليَفعل."[5]

تراه حريصًا على القيام وصلاة التراويح في رمضان.. فإذا انقضى رمضان لم يغفل مع الغافلين.. وإنما بقي على حاله يحيي ليله – أو ما شاء الله ﷻ منه – في الصلاة والذكر والاستغفار؛ لأنه لما قام رمضان إيمانًا واحتسابًا تذوق حلاوة القيام.. وخرج منه بأطيب نفس.. وأشرح صدر.. فلم يكن ليزهد في خيره بعد ما تذوق

---

[1] مسند الحارث (1/ 157).
[2] سنن أبي داود (2/ 32)، صحيح ابن خزيمة (2/ 177).
[3] المعجم الكبير للطبراني (3/ 301).
[4] رواه البخاري (4/ 118)، سنن الدارمي (3/ 1868).
[5] مسند ابن الجعد (1/ 113)، مسند الشهاب القضاعي (1/ 267).

حلاوته.. ولم يكن ليتركه وهو يعلم أن فيه شرفه وعنده تقضي حاجته.. ويجاب سؤاله.. ويستغفر ذنبه.

فقيام رمضان.. علمه الحرص على القيام بعد رمضان.. فالقيام في رمضان وفي غيره شرف المؤمن وكفران لذنوبه، وسبب لنيل الدرجات العلا والمقام المحمود، كما قال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ الإسراء: ٧٩

فقيام الليل مدرسة الإيمان والتقوى، ومنبع التزكية والتطهير، به تحيا القلوب وتزداد إشراقاً، وبه تسمو النفوس وتمتلئ أشواقاً، فيه تذرف العيون دموع الخشية والندامة، وتلهج الألسن بدعوات التضرع والإنابة، وتتمرغ الجباه في سجود الذل والاستكانة.

ومن ثمرات قيام الليل:

1. أنه سبيل لزيادة الحسنات؛ فالمسلم حينما ينصب أقدامه في اللّيل لقيام ركعاتٍ يذكر فيها الله ﷻ ويتلو آياته فإنّه يتحصّل من وراء أداء تلك العبادة على المزيد من الحسنات التي تنفعه يوم القيامة.

2. عبادة تعبّر عن كمال الدّين والأخلاق؛ فقد ذكر الصّحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أمام رسول الله ﷺ فقال: "نعم العبد عبد الله لو أنّه يقوم اللّيل"، فدلّ ذلك على فضيلة قيام الليل وثمراته في الدّنيا وأنّه ممّا يكمل دين المرء ويزكي نفسه.

3. من الأعمال والعبادات التي تقرّب العبد إلى ربّه ﷻ؛ فالعبد الصّالح الحريص على قيام اللّيل تراه قريبًا من الله ﷻ، ففي الحديث القدسي الشّريف: "من تقرّب

إلي شبرًا تقرّبت إليه ذراعًا."[1]، ولا شكّ بأنّ قيام اللّيل هو من وسائل التّقرّب إلى الله ﷻ، وممّا يحقّق للعبد الحفظ في الدّنيا ويدفع عنه شرورها وفتنها.

4. سببٌ من أسباب دخول الجنّة؛ فالجنّة التي هي جائزة الله ﷻ لعباده المتّقين لها أسباب تؤدّي إلى دخولها، ومن بينها قيام اللّيل، فعن النّبي ﷺ قال: "يا أيّها النّاس أفشوا السّلام، وأطعموا الطّعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا والنّاس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام."[2]

5. يضفي النّور على وجه المؤمن ومحياه في الدّنيا، فقد سئل الحسن البصري رضي الله عنه ما بال المتهجّدين أحسن النّاس وجوها، قال: "لأنّهم خلوا بالرّحمن فألبسهم نورًا من نوره."[3]

6. الحرص عليه يكسب المسلم قوّةً في جسده، وسلامةً من الأسقام والآلام.

7. تعبيرٌ صادق عن الشّكر والحمد لله ﷻ على نعمائه الكثيرة، وبالتّالي هو سببٌ من أسباب زيادة الرزق في الدنيا، قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧

8. ينهي عن الفحشاء والمنكر؛ فقيام اللّيل هي صلاةٌ نافلة من شأن القيام بها والمحافظة عليها أن تصرف عن المسلم الفحشاء والمنكر.

ومن فوائد قيام الليل أنه سبب في دخول الجنة والبعد عن النار، وسبب في تكفير السيّئات ورفعة الدرجات عند الله ﷻ،كما أن صاحب الليل قريب لربه ﷻ وبهذا

---

[1] رواه مسلم (4/ 2102).
[2] سنن الدارمي (2/ 915).
[3] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (2/ 467)، إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 412)، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (2/ 504)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (8/ 651)، المستطرف في كل فن مستطرف ص13.

فدعاؤه مستجاب أكثر من غيره، ويصبح صاحبها أكثر خشية لربه ﷻ وخوفاً منه، فيحرص على طاعته، واجتناب معصيته، والحصول على الأجر العظيم، سواء كان ذلك في الدنيا أم في الآخرة، فمثلاً في الدنيا تيسير للأمور وكشف للكروب وتحقيق المطلوب، وفي الآخرة القرب من الله ﷻ ومن الرسول ﷺ وجنّة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وفيها اقتداء بالنبيّ ﷺ وإحياءً لسنّته، وسنة الخلفاء المهديين من بعده، الذين كانوا يحرصون كل الحرص على هذه السنة وكثيراً ما نجد بأنّ بعضهم كان يقيمن الليل إلى طلوع الفجر، أو نصفه ومنهم من كان يقيم الثلث الأخير بالقرآن ودموعهم سخية من خوفهم وخشيتهم لله ﷻ، وصاحب القيام يزيد الله ﷻ في إيمانه ويزيده قوة في الدين كما عند الصحابة والتابعين ﷺ، وسبب في الشفاء من الأمراض المستعصية وفتح للأبواب المغلقة وزيادة الرزق الوفير والكثير، وسبب في قوة البدن والعقل وسلامة الصدر.

يقول ابن الجوزي ﷺ: "يا من باع الباقي بالفاني، أما ظهر لك الخسران؟ ما أطيب أيام الوصال! وما أمرَّ أيام الهجر! ما طاب عيش القوم حتى هجروا الأوطان، وسهروا الليالي بتلاوة القرآن فيبيتون لربهم سجداً وقياماً."[1]

أكثروا من القيام في هذا الشهر الكريم، واجعلوه خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة القيام مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] بحر الدموع لابن الجوزي ص13.

مدرسة الدعاء

الدعاء من أشرف العبادات وأجلّ الطاعات لا يستغني عنه العبد في حال من الأحوال، وهو صلة بين العبد وربه ﷻ، وكلما كثر رجاؤه بالله ﷻ وحسن ظنه به كثر دعاؤه وأعرف الخلق بالله ﷻ أكثرهم دعاءً له.

وهو دليل على كمال افتقار العبد لربه ﷻ واستغنائه به ولذلك أمر به الشرع، قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾ غافر: ٦٠، وقال ﷻ: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴿٥٥﴾ ﴾ الأعراف: ٥٥ ، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة: ١٨٦،

وقال رسول الله ﷺ: "الدعاء هو العبادة"[1]

فالدعاء عبادة يتحقق بها التوحيد لله ﷻ، والله ﷻ أمرنا بالدعاء، ووعدنا بالإجابة، وهو فيه قطع العلائق عن الخلائق، وفيه اعتماد القلب على الله ﷻ والاستعانة به وتفويض الأمور إليه وحده ﷻ، بل إن الله ﷻ ليغضب حين يترك العبد سؤاله، قال ﷺ: "من لم يسأل الله يغضب عليه"[2]، وقال ﷺ: "إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديد أن يردهما صفراً خائبتين."[3]

[1] رواه الترمذي (5/ 211).
[2] سنن الترمذي (5/ 456).
[3] سنن الترمذي (5/ 556).

والدعاء سبب لانشراح الصدر وزوال الهموم والغموم، قال ﷺ: من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله، فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل."[1]

فالدعاء أنيس المؤمن عند الشدائد، ومسلّيه عند اشتداد الكرب ونزول المصائب، فما استجلبت النعم بمثله، ولا استدفعت النقم والبلايا بمثله، قال ﷺ: "لا يرد القضاء إلا الدعاء"[2]، وقال ﷺ: "من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر في الرخاء"[3]

فلقد قرن الله ﷻ الدعاء بالصيام عندما تحدث عن آيات الصيام؛ ليعلمنا أن للدعاء شأناً عظيماً في رمضان، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة: ١٨٦، فالروح في رمضان تسمو وتقبل، والقلب يرق ويخشع، والعين تبكي وتدمع، والنفس والهوى ووساوس الشيطان تقيم في هوة الانكسار والفتور، فحينما يصل الصائم إلى هذه الحالة من الاستقامة والإخبات بحيث اكتست جوارحه بالعمل الصالح والاستجابة والانقياد لربه ﷻ يكون إقباله على الدعاء بقوة يقين، وذل وإلحاح شديدين بين يدي ربه ﷻ، فيغدو عند ذلك

---

[1] سنن الترمذي (4/ 563).
[2] سنن الترمذي (4/ 448)، المعجم الكبير للطبراني (6/ 251).
[3] سنن الترمذي (5/ 462)، مسند أبي يعلي الموصلي (11/ 284

مسموع الدعوة، قريب الإجابة، قال ﷺ: "ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر"[1]

إن الدعاء يظهر عبودية العبد لربه ﷻ، ويعرف العبد بأنه مخلوق فقير لخالق غني، وأنه محتاج يطلب كفايته من سيده، وذلك حينما يرفع يديه إليه في ذل وانكسار، وخشوع ورجاء، ويقول: "يا رب يا رب"، عندما يشعر بعزة عبوديته لله ﷻ، ولذة مناجاته والإلحاح عليه، ويجد أنس النفس بالاقتراب من ربه ﷻ، وانشراح الصدر ببث ما فيه إلى مولاه ﷻ.

ما أحسن تلك اللحظات وأنت تناجي مولاك ﷻ وتبثه شكواك، وتطلب منه حاجاتك، فهو قدير ويقضي حاجات عباده المنكسرين والمحتاجين إليه، فهو قريب من عباده، ويجيب المضطرين، قال ﷻ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ النمل: ٦٢، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: "يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر"[2]

إن الدعاء عبادة عظيمة تحمل معها دلالات واضحة على صفات المدعو ﷻ، فالدعاء يدل على وجود الله ﷻ.

---

[1] السنن الكبرى للبيهقي (3/ 481).
[2] رواه مسلم (4/ 1994).

وشهر رمضان هو شهر الدعاء، وشهر الإجابة، وشهر التوبة والقبول والإنابة، وينبغي على المسلم عندما يدعو أن يكون على حال الانكسار والخضوع والتذلل لله ﷻ، وأن لا ملجأ منه إلا إليه، ولابد أن تكون على يقين وحسن ظن بالله ﷻ وثقة أن الله ﷻ سيستجيب دعائك ولو بعد حين، قال ﷺ: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه"[1]

فإن شأن الدعاء عظيم، ونفعه عميم، ومكانته عالية في الدين، فما استجلبت النعم بمثله، ولا استدفعت النقم بمثله، ذلك لأنه يتضمن توحيد الله ﷻ وعبوديته دون سواه، وهذا رأس الأمر، وأصل الدين، وإن شهر رمضان لفرصة سانحة، ومناسبة كريمة ومباركة يتقرب فيها العبد إلى ربه ﷻ بسائر القربات، وعلى رأسها الدعاء؛ ذلكم أن مواطن الدعاء، ومظان الإجابة تكثر في هذا الشهر.

فشهر رمضان شهر الدعاء والتضرع بامتياز لاسيما وأبواب الجنان مفتحة وأبواب النيران موصدة والشياطين مصفدة ومنح الرحمن تتنزل على الصائمين، والأجواء عامرة بالطائعين والخاشعين، والقرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، وأيادي أهل الخير تعم المساكين والمحتاجين.

قال **الربيع بن خثيم** رحمه الله: "إنّ الله ﷻ قضى على نفسه أنّ من آمن به هداهُ، ومن توكل عليه كفاهُ، ومن أقرضهُ جازاهُ، ومن وثق به نجّاه، ومن دعاهُ أجاب له، وتصديق ذلك قول الله ﷻ: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١١، وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴿٣﴾ ﴾ الطلاق: ٣، وقال ﷻ:

[1] سنن الترمذي (5/ 517).

﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ التغابن: ١٧، وقال ﷻ:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ آل عمران: ١٠١، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة: ١٨٦[1]

إذن الدعاء عبادة من أجل العبادات وأعظم الطاعات وأنفع القربات، عن النُّعْمانِ بْنِ بشيرٍ رضِي اللَّه عنْهُما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الدُّعاءُ هوَ العِبَادةُ."[2]

فالدعاء عبادة سهلة ميسورة مطلقة غير مقيدة أصلاً بزمان ولا مكان ولا حال فهي في الليل والنهار وفي البر والبحر والجو، والسفر والحضر، وحال الغنى والفقر، والمرض والصحة، والسر والعلانية، وكم من بلاء ردّ بسبب الدعاء وكم من مصيبة كشفها الله ﷻ بالدعاء وكم من ذنب ومعصية غفرها الله ﷻ بالدعاء، وكم من رحمة ونعمة استجلبت بسبب الدعاء وكم من عز ونصر وتمكين ورفع درجات في الدنيا والآخرة حصل بالدعاء.

والدعاء هو أساس العبادة وروحها وخالصها، وينبئ عن حقيقة العبودية لله ﷻ، وقوة الافتقار إليه، كما يوجب الدعاء للعبد خضوعه وخشوعه لربه ﷻ، وشدة الانكسار إليه، والدعاء الخالص من أعظم القرب إلى الله ﷻ، فهو سلاح المؤمن لا يصدأ ولا ينكسر ولا يلين، ولا يقف أمامه أي سلاح ويخترق كل الحصون.

فالدعاء كنز عظيم، وهو من أعظم وسائل الصلة الإيمانية، الجالبة لتقوى الله ﷻ، والتي تحقق استعانة العبد بربه ﷻ، وتيسر له قربه منه وتعرضه لرحمته، وتجعله في

---

[1] اللباب في علوم الكتاب (19/ 160)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (4/ 316)، روح البيان (10/ 35)، سير أعلام النبلاء (4/ 211).

[2] سنن ابن ماجه (2/ 1258)، سنن أبي داود (2/ 76)، سنن الترمذي (5/ 211)، السنن الكبرى للنسائي (10/ 244)، صحيح ابن حبان (3/ 172)، المعجم الكبير للطبراني (21/ 149).

موضع محبته، ومن خلال هذا الكنز العظيم يحقق العبد العبودية والخضوع والتذلل والانكسار والافتقار لله ﷻ، ويستشعر الخشية والخشوع، فالدعاء مفتاح السماء الذي يستمطر به رحمة ربه ﷻ.

ومن فوائد الدعاء سرعة الفرج وتفريج الكرب، وإلقاء الهم على الرب ﷻ لحسن الظن بالقرب، وسلاح يتَّقي به العدو وسوء القضاء، ويجلب المصالح ويدفع المفاسد، ويشغل العبد بذنبه وعيبه عن عيب غيره، ويدعو المسلم إلى التعرف على الآداب الشرعية، ويشعر المسلم بأنه في معية الحق دوماً.[1]

فأقبل على ربك ﷻ، وألح عليه في الدعاء، وأدمن الوقوف على باب الرجاء ولا تدع الفرص تفوتك فيفوتك بفواتها أرباح الدارين، أكثروا من الدعاء في هذا الشهر الكريم، واجعلوه خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة الدعاء مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (5/ 1944).

مدرسة الذكر

إن أزكى الأعمال وخير الخصال وأحبَّها إلى الله ﷻ ذكر الله ﷻ، فعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "ذكر الله ﷻ"[1]

الذّاكرون الله ﷻ هم السباقون في ميدان السير إلى الله ﷻ والدار الآخرة، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله، قال: الذاكرون الله كثيراً، والذاكرات"[2]

وهؤلاء عباد الله هم الذين أعدّ الله ﷻ لهم النزل الكريمة والثواب العظيم، قال ﷻ:

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٥

ذكر الله ﷻ هو حياة القلوب، فلا حياة لها إلا به، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت"[3]

[1] سنن الترمذي (5/ 459).
[2] رواه مسلم (4/ 2062).
[3] رواه البخاري (8/ 86).

وليس للقلوب قرار ولا طمأنينة ولا هناءة ولا لذة، ولا سعادة إلا بذكر الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨

ذكر الله ﷻ هو الفرج بعد الشدَّة، واليسر بعد العسر، والفرح بعد الغم والهم، وهو تفريج الكربات، وتيسر الأمور، وتحقق الراحة والسعادة في الدنيا والآخرة، وما عولج كرب ولا أزيلت شدَّة بمثل ذكر الله ﷻ، وقد كان نبينا ﷺ يقول في الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم"[1]، ويقول ﷺ أيضاً: "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لن يدعو بها مسلم في شيء قط إلا استجاب له"[2]

ذكر الله ﷻ جالب للنعم المفقودة، وحافظ للنعم الموجودة، فما استجلبت نعمة وما حفظت نعمة بمثل ذكر الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧

ذكر الله ﷻ محطُّ الأوزار وتكفير السيِّئات ورفعة الدرجات، وعلو المنازل عند الله ﷻ، فما حُطَّت الأوزار بمثل ذكره ﷻ، قال النبي ﷺ: "ما عمل آدمي عملاً

[1] رواه البخاري (8/ 75)، رواه مسلم (4/ 2092)، السنن الكبرى للنسائي (7/ 129)، المعجم الكبير للطبراني (12/ 158).
[2] السنن الكبرى للنسائي (9/ 243).

أنجى له من عذاب الله من ذكر الله ﷻ"[1]، وقال أيضاً: "من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر"[2]

وذكر الله ﷻ غراس الجنة فما غرست الجنة بمثل ذكره، يقول ﷺ: "من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة"[3]، وعن النبي ﷺ أيضاً أنه قال: "لقيت إبراهيم الخليل ليلة أسري بي فقال لي: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة قيعان وأنها طيبة التربة عذبة الماء وأخبرهم أن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"[4]

ذكر الله ﷻ كلمات خفيفة على اللسان لا تكلِّف العبد جهداً، ولا يناله منها مشقة، إلا أن لها ثواب عظيم وأجر جزيل، وهي حبيبة إلى الله ﷻ، فعن النبي ﷺ أنه قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم."[5]

وذكر الله ﷻ هو الطارد للشياطين والمخلِّص من وساوسها وشرورها وكيدها وحبائلها، قال ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ ﴾ فصلت: ٣٦

فإن القلب ملك الجوارح، ولذلك فهو أهم ما يجب الاعتناء به، وللقلوب صدأٌ لا يجلوه إلا ذكر الله ﷻ، ولها أقفالٌ مفتاحها لهج اللسان بحمده، وإدامة العبد لشكره، فالذكر جنة الله ﷻ في أرضه، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، قال

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (20/ 166).
[2] سنن الترمذي (5/ 512).
[3] المعجم الصغير للطبراني (1/ 181).
[4] رواه الترمذي (5/ 510)، المعجم الكبير للطبراني (10/ 173).
[5] رواه البخاري (8/ 86)، رواه مسلم (4/ 2072)، رواه ابن ماجه (2/ 1251)، السنن الكبرى للنسائي (9/ 305).

ابن القيم رحمه الله: "والذكر من أعطيه اتصل، ومن مُنعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به نار الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علاّم الغيوب، هو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون"[1]، وقال ابن تيمية رحمه الله: "الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء"[2]

فالذكر يوصل الذاكر إلى المذكور، حتى يصبح الذاكر مذكورًا، زين الله ﷻ به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار المبصرين، وهو باب عظيم مفتوح بين العبد وربه ﷻ ما لم يغلقه العبد بغفلته، ولقد امتدح الله ﷻ عباده المؤمنين الذاكرين فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ - ١٩١

وعن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله"[3]

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 395).
[2] الوابل الصيب من الكلم الطيب ص 42, غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (2/ 488)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (8/ 200).
[3] سنن الترمذي (5/ 457).

وقال ابن القيم رحمه الله: "ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الذِّكر، وهي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، والذِّكر منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا...، وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلَّما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبةً إلى لقائه واشتياقًا...، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته."[1]

وذكر الله عز وجل هو العبادة السهلة اليسيرة لجميع الأوقات، ومختلف الأحوال والمناسبات، وهو خير أعمال العبد وأزكاها عند ربه عز وجل، وهو قوت القلوب الذي متى فارقها، صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة الديار التي إذا تعطلت عنه صارت خراباً، هو السلاح الذي يقاتَل به قُطاع الطريق، والماء الذي يطفأ به لهب الحريق، به تستدفع الآفات، وتستكشف الكربات، وتهون المصائب والشدائد والملمات، وهو قوة للقلب والبدن، مجلبة للرزق، مشغلة للسان عن الغيبة والنميمة والزور والبهتان.

فرمضان شهر القرآن، شهر الخيرات والبركات والنفحات والتجليات، شهر يسارع فيه المسلم إلى مرضاة الله عز وجل واغتنام الأجر والثواب فيه، ومن أعظم الأعمال ذكر الله عز وجل، فذاكر الله سبحانه وتعالى في رمضان لا يخيب، وذاكر الله سبحانه وتعالى في رمضان مغفور له، وذاكر الله سبحانه وتعالى في رمضان أجره مضاعف فتسبيحة واحدة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة فيما سواه، **قال ابراهيم النخعي** رحمه الله: "صوم يوم من رمضان أفضل

[1] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 395).

من ألف يوم، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة"[1]

فينبغي للعبد الصائم أن يكثر في رمضان من ذكر الله ﷻ، أكثروا من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فهم أحب الكلام إلى الله ﷻ، قال النبي ﷺ: "من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك."[2]

فالإكثار من ذِكر الله ﷻ والاستغفار من أَحب الأعمال التي تزيد من أجرِ الصائِم، فالاستغفار والدعاء وخاصةً وقت الإفطار والثلث الأخير من الليل لا يحتاج من العبد الكثير من الجهد.

فلنتق الله ﷻ ولنكثر من ذكره ﷻ في هذا الشهر الكريم ولنغتنم ساعاته بل دقائقه وثوانيه في الإكثار من ذكر الله ﷻ ما بين تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وصلاة وسلام على رسول الله ﷺ وقراءة للقرآن فإن الذاكرين الله ﷻ كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ ﴾ الأحزاب: ٤١ - ٤٣

[1] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (1/ 454)، الترغيب والترهيب لقوام السنة (2/ 365)، لطائف المعارف لابن رجب ص151.
[2] رواه البخاري (4/ 126)، رواه مسلم (4/ 2071).

ومن فوائد الذكر أنه يطرد الشيطان ويقمعه، أنه يرضي الرحمن ﷻ، ويزيل الهم والغم عن القلب، ويجلب للقلب الفرح والسرور، وينور الوجه والقلب، ويجلب الرزق، ويكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنظرة، ويزيل الوحشة بين العبد وبين ربه ﷻ، ويحطُّ الخطايا ويذهبها، ويورث جلاء القلب من صدئه، وأنه قوت القلب والروح، ويورث حياة القلب، ويورثه الهيبة لربه ﷻ، وأنه غراس الجنة، أنه ينجِّي من عذاب الله ﷻ، وسبب في تنزيل السكينة وغشيان الرحمة، ويومِّن العبد من الحسرة يوم القيامة، ويفتح باب الدخول على الله ﷻ، وأنه ينبِّه القلب من نومه ويوقظه من ينته، ويذيب قسوة القلب، وأنه شفاء القلب ودواؤه، ويكسو العبد نضرة في الدنيا ونوراً في الآخرة، وأنه يجعل الدعاء مستجاباً.[1]

أكثروا من ذكر الله ﷻ في هذا الشهر الكريم، واجعلوه خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة الذكر مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (5/ 2010)

مـدرسـة الصـدقـة

الصدقة هي وجه من أوجه الخير التي يستطيع المسلم بواسطتها كسب الحسنات والتقرب من الله ﷻ، ويمكن أن تكون الصدقة شيئاً مادياً يقدم المسلم من ماله الخاص لمساعدة أخيه المسلم، ويمكن أن تكون بالسلوك الحسن، فالصدقة أخذت اسمها من الصدق في مساواة الفعل للقول والاعتقاد فعند القول بأن المجتمع الإسلامي مجتمع التكافل والتضامن، فيتحقق ذلك من خلال الزكاة المفروضة والصدقات غير المفروضة، وإنما يؤديها المسلم طواعيةً بمحض إرادته.

فلقد حث الدين الإسلامي على الصدقات فإنها تقرّب العبد من خالقه ﷻ، وتكفر الخطايا، فالصدقة تطفئ غضب الرب ﷻ كما يطفئ الماء النار، كما تنقي النفس من البخل والشح وتساهم في بناء روح المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي. كما وتُعَرّف الصدقة على أنها كل ما يتم إعطاؤه للمحتاجين من أجل التقرب لله ﷻ وطلباً لرضاه ولثوابه، فالمسلم وكل ما يملكه هو ملكٌ لله ﷻ فلا يجوز منع هذه الأملاك عن الأشخاص المحتاجين، وتركهم يعانون من عدم امتلاكهم لأقل احتياجاتهم اليومية، وحتى تكون الصدقة حقيقية لا يجب أن تكون بهدف الرياء بل يجب أن تكون بهدف التقرب لله ﷻ.

ومن أنواع الصدقة:

فلا تقتصر الصدقة على شيء واحد نقدمه للفقراء والمحتاجين وتتمثل هذه الأنواع بما يأتي:

1. **الصدقات المادية:** والتي تشمل تقديم الأموال، أو الغذاء والكساء، أو المواشي والأغنام، وكل شيء يستفاد منه بشكل مادي.

2. **الصدقات المعنوية:** والتي تشمل الابتسامة في وجه الآخرين، والحديث الجيد ورفع المعنويات.

3. **الصدقات الجارية:** وهي الصدقات التي تبقى حتى بعد موت المتصدق وتشمل بناء مسجد، أو مدرسة، أو تقديم العلم والكتب، أو بئر ماء في الطريق.

ومن أفضل الصدقات:

1. **الصدقة الخفية:** حيث إنها تحافظ على مشاعر الفقير، وتجنب الرياء.

2. **الصدقة في أوقات الصحة والعافية:** فهي تقدم المفهوم الأمثل للصدقة بمساعدة الفقراء.

3. الصدقة المقدمة زيادةً على الواجبات كالزكاة.

4. الصدقة التي يقدمها قليل المال للأقل منه، حيث إنه لا يملك المال الزائد لكنه يؤثر غيره على نفسه.

5. الصدقة التي يقدمها الرجل لأهل بيته.

6. الصدقة على الأيتام.

7. الصدقة التي تقدم للجار، فلا يجب أن يكون الجار محتاجاً ولا نقدم له ما يحتاجه.

8. الصدقة التي تقدم للأصدقاء.

9. الصدقة التي تقدم للجهاد في سبيل الله ﷻ.

10. الصدقة الجارية، والتي تعود بالخير على صاحبها حتى بعد موته.

فإن الصَّدقات من أفضل القربات التي ترضي الله ﷻ، والتي يحصل بها المسلم على الحسنات والأجر العظيم.

فإن رمضان هو الشهر الذي يتنافس فيه المتنافسون ويتسابق فيه المتسابقون، وقد كان من تنافسه ﷺ في شهر رمضان أنه كان جواداً كريماً رحيماً، وكان أجود ما يكون في رمضان، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.

وإن من أعظم وأفضل وأحب أنواع القربات والبر في هذا الشهر المبارك التقرب إلى الله ﷻ بإخراج شيء من أموالنا طيبة به نفوسنا كريمة به أيدينا، فالصدقة تطفئ غضب الرب ﷻ كما يطفئ الماء النار.

يقول النبي ﷺ: "أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كرباً أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً"[1]

أن الصدقة من ذوي الدخل المحدود أعظم أجراً وأكثر بركة من صدقة الأغنياء الميسورين، يقول النبي ﷺ: "أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى"[2]

فيعتبر شهر رمضان المبارك شهر الخيرات العظيم، ففي هذا الشهر تتنزل الرحمات على العالمين، وهو فرصة عظيمة إن اغتنمها المسلم، وأخلص في العبادة زاد قرباً من الله ﷻ، وبلغ أعلى الدرجات، وأفضل الأعمال التي يجدر على المسلم القيام بها في

[1] المعجم الكبير للطبراني (12/ 453).
[2] رواه البخاري (2/ 110)، رواه مسلم (2/ 716).

شهر رمضان المبارك الصدقة، إذ إنّ لهذا العمل المبارك فضل عظيم خاصة في هذا الشهر الكريم المبارك.

أبواب الصدقة في شهر رمضان:

1. الصدقة المباشرة: يحتاج الفقراء، والمحتاجون في كافة أوقات العام إلى من يحنو عليهم، ويأخذ بأيديهم، ويساعدهم على تجاوز الأوقات، والظروف المادية الصعبة التي يمرون بها، ومن هنا فإنّ أفضل أنواع الصدقات بالنسبة لهم الصدقات المادية المباشرة، والتي تقضي عنهم حوائجهم، وتفرج عنهم كرباتهم، وتفرح عائلاتهم، وتعينهم على أداء عبادة الصوم العظيمة، والتي يشعرون بصعوبتها أكثر من غيرهم نظراً لضيق أحوالهم.

2. تقديم وجبات الإفطار للصائمين: هناك العديد من الفقراء الذين لا يجدون ما يأكلونه سواءً في شهر رمضان المبارك، أم في غيره من العام. إلى جانب ذلك، فإنّ هناك بعض الناس ممن لا يستطيعون الوصول إلى منازلهم في أوقات الإفطار، فضلاً عن وجود فئة من الناس تتطلب طبيعة أعمالهم البقاء إلى وقت متأخر في أماكن عملهم مما يجعلهم غير قادرين على تناول طعام الإفطار مع أسرهم. ومن هنا، فإنّ تقديم وجبات الإفطار لكل هذه الفئات تعتبر من ضروب الصدقات العظيمة.

3. التصدق بالملابس: إن إدخال الفرحة إلى قلوب المحتاجين في شهر رمضان وغيره يعتبر من أعظم الأعمال، ولهذا فإن شراء الملابس الجديدة، وتقديمها للفقراء وخاصة الأطفال، وإدخال بهجة العيد إلى نفوسهم يعتبر من الصدقات التي ينال بها

المسلم الأجر والثواب من الله ﷻ، والتي تزيد تواصل، وتعاضد أبناء المجتمع مع بعضهم البعض.

4. تخصيص جزء من الوقت لأعمال الخير: إن تخصيص جزء من الوقت في شهر رمضان المبارك، لصلة الآخرين، وتفقد أحوال المحتاجين، والتقريب بين الناس، والمساهمة في حل المشكلات الاجتماعية، يعتبر من ضروب الصدقات العظيمة التي يخرجها الإنسان عن وقته، والذي يعتبر نعمة عظيمة منَّ الله ﷻ بها على الناس.

5. إدخال الفرحة إلى قلوب الأطفال الفقراء: في نهاية شهر رمضان المبارك، وحتى يشعر الأطفال ببهجة العيد، فإن إخراج الصدقات التي تفرحهم، وتدخل البهجة إلى قلوبهم يعتبر من أبواب الصدقة، كشراء الألعاب لهم، وإقامة الفعاليات الجميلة المبهجة، والعديد من الأمور الأخرى.

والصدقة في شهر رمضان شأنها أعظم وآكد ولها مزية على غيرها، وذلك لشرف الزمان ومضاعفة أجر العامل فيه، ولأن فيها إعانة للصائمين المحتاجين على طاعاتهم، ولذلك استحق المعين لهم مثل أجرهم، فمن فطر صائماً كان له مثل أجره، ولأن الله ﷻ يجود على عباده في هذا الشهر بالرحمة والمغفرة، فمن جاد على عباد الله ﷻ جاد الله ﷻ عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل، والصوم لابد أن يقع فيه خلل أو نقص، والصدقة تجبر النقص والخلل، ولهذا أوجب الله ﷻ في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، ولأن هناك علاقة خاصة بين الصيام والصدقة فالجمع بينهما من موجبات الجنة، فالصدقة أجرها عظيم عند الله ﷻ، وثوابها حاصل في رمضان وفي غيره، وإن كان حصوله في

رمضان مضاعفًا لبركة شهر رمضان، قال ﷺ: "إن في الجنة غرفاً، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها؛ أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام."[1]

وإن للصدقة في شهر رمضان فضل كبير، وطعم آخر، وهي برهان، كما قال ﷺ: "الصدقة برهان."[2]، أي تبرهن إيمان صاحبها وأدائه لحق الله ﷻ في المال، فلا تجعل يوم في رمضان إلا ولك فيه صدقة، كبرت أو صغرت، فلله الحمد والمنة كم في الصدقة من أجر عظيم وخير عميم، وتبعد صاحبها عن الجحيم، قال ﷻ:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ﴾ البقرة: ٢٦٢

والصدقة مدعاة لزيادة المال، ونزول الخيرات، وحلول البركات، وهي سبب للاستظلال في ظل عرش الرحمن ﷻ يوم لا ظل إلا ظله، كما أن لها تأثيراً في دفع البلايا، **قال ابن القيم** رحمه الله: "فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر، أو ظالم، بل من كافر، فإن الله ﷻ يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرُّون به؛ لأنهم جربوا."[3]

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (3/ 301).
[2] المعجم الكبير للطبراني (9/ 185).
[3] الوابل الصيب من الكلم الطيب ص 31.

والصدقة تشرح الصدر، وتفرح النفس، **قال ابن القيم** رحمه الله: "المتصدق كلما تصدق بصدقة انشراح قلبه، وانفسح لها صدره، وقوي فرحه، وعظم سروره."[1]

وشهر رمضان موسم عظيم للصدقة والإحسان وإيصال البر إلي الفقراء والمحتاجين والمساكين فهو فرصة سانحة للباذلين والمعطين.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ البقرة: ٢٦١، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة"[2]

وقال ابن حجر: "أجود الناس: أكثر الناس جوداً والجود الكرم وهو من الصفات المحمودة وقوله أجود بالخير من الريح المرسلة أي المطلقة يعني في الإسراع بالجود أسرع من الريح وعبر بالمرسلة إشارة إلي دوام هبوبها بالرحمة وإلي عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه."[3]

ومن فوائد الصدقة أنها مطهرة للنفس وقربة إلى الله عز وجل، وطريق موصل إلى محبة الله عز وجل ورضوانه، وتثمر سعادة الدين والدنيا، دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام،

---

[1] الوابل الصيب من الكلم الطيب ص 33.
[2] رواه البخاري (1/ 8).
[3] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (1/ 30).

وحفظ العبد في ماله وبدنه، ودليل على الزهد، وطاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ، وأنها باب من أبواب التكافل الاجتماعي، وتثمر محبة الناس.[1]

أيها الصائمون:

اغتنموا هذا الموسم العظيم، فهو موسم تجارة رابحة، يتنافس فيه المتنافسون، فأكثروا من الصدقة، لتطهروا نفوسكم، وتسدوا حاجات إخوانكم، فاليوم عاملون وغداً محاسبون ومجزيون.

فأكثروا من الصدقة في هذا الشهر الكريم، واجعلوه خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة الصدقة مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

1 نظرة النعيم (6/ 2529).

مدرسة الصبر

ما أعظم الصبر، وما أجمل التمسك به، فالنفس إن عوَّدتها على الصبر فلن تخذلك أبدًا، والبدن إن عوَّدته على الصبر فلن يضرك أبدًا، وبالصبر لن تفتنَك الدنيا بمفاتنها، ولن يتملَّكك الشيطان بوساوسه، وستنجو من مآزق شتى، ولن يضرَّك مَن خذلك، ولن تستعين بغير الله ﷻ وسيأتيك النصر من تحت قدميك ما دمت صابرًا على طاعة الله ﷻ، صابرًا على ابتلاء الله ﷻ، صابرًا عن معصية الله ﷻ، صابرًا على عمل تبتغي به وجه الله ﷻ.

فالصبر هو الأساس الأكبر لكل جميل، والتنزه من كل خُلق رذيل، وهو حبس النفس على ما تكره، وعلى خلاف مرادها؛ طلبًا لرضا الله ﷻ وثوابه، ويدخل فيه الصبر على طاعة الله ﷻ، وعن معصيته، وعلى أقدار الله ﷻ المؤلمة، فلا تتم هذه الأمور الثلاثة التي تجمع الدِّين كله إلا بالصبر.

والصبر نصف الإيمان، والنصف الآخر الشكر، وعليه فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، وهما أيضًا وصفان من أوصاف الله ﷻ واسمانِ من أسمائه الحسنى؛ إذ سمَّى نفسه صبورًا وشكورًا؛ فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهلٌ بكلا شطري الإيمان، ثم هو في غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ﷻ، ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله ﷻ إلا بالإيمان، وكيف يُتصوَّر سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان، ومَن به الإيمان؟ والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة مَن به الإيمان، وعن إدراك ما به الإيمان؟

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ البقرة: ١٥٣، فبالصبر يكونُ الله ﷻ معنا ولن يخذلنا أبدًا، ولن يترك عدونا يزداد جبروتًا على جبروته وطغيانًا على طغيانه، بل يشفي صدور قوم مؤمنين، ولا تتحقَّق الآمال، ولا تهون الصعاب إلا بالصبر، فلولا الصابرون في أعمالهم ما أنتجوا، ولولا الصابرون في زرعهم ما حصدوا، ولولا الصابرون في طلب العلم ما حصَّلوا، ولولا الصابرون في ميادين القتال ما انتصروا.

ولأن الصبر فيه من المشقَّة ما فيه، وفيه من الهوان ما فيه، وفيه من الأمر الشديد ما فيه، فلا بدَّ من تدريب النفس والبدن على الصبر حتى يأتي النصر، فلن يأتي النصر إلا إذا ذُقْنا مرارة الصبر، فبالصبر ننتصر على الأعداء في ميادين القتال، وفي الاستعداد للقتال، وفي إعداد القوة التي بها ننتصر على الأعداء، قال ﷻ:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞۚ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨

فالصبر دليل على الإيمان، ولذلك إن كنت مؤمنًا فلن يضيعك الله ﷻ وسينصرك نصرًا عزيزًا على الأعداء، وأولهم الشيطان، ولهذا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له.

قال علي بن أبي طالب ﷺ: "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس مات الجسد"[1]

إن الصبر نصف الإيمان، وركنٌ من أركان الرضوان، وطريق الوصول إلى الرحمن ﷻ، فلا عجبَ إذ أكَّد المولى ﷻ في طلبِه، وجعله من عزم الأمور، ورتَّب عليه مزيد حبِّه وقربه، ووعد مَن اتصف به عظيم الأجور، وجعله في هذا الوصف الجليل شريكَ الأنبياء والمرسلين، فإنهم عليهم السلام أشدُّ الناس بلاءً وأعظمهم محنة، ما مِن رسول إلا أوذي بأنواع الأذى، وأُصيبَ بأنواع الشدائد، فما كلَّت له عزيمة، ولا ضعُفت له قوة، ومثلهم عبادُ الله المقربون، ولقد لقي نبيُّنا ﷺ مِن قومه ما يُفتِّت الأكباد ويُذيب القلوب، فما جزع ولا قلق، وما كان جوابه إلا أن يقول: "اللهم اهدِ قومي؛ فإنهم لا يعلمون."[2]

أن مَن أراد الله ﷻ به خيرًا ابتلاه، فإن أعد للبلاء قلبًا صبورًا ونفسًا راضية مطمئنة، كان له الحظُّ العظيم، والأجر الكريم، ونال مِن مولاه ﷻ ما يتمنَّاه، وأما إن جزع وسخِط، فما جزاؤه إلا الحرمان من الأجر، فضلًا عما ارتكبه من الوِزْر، ولا رادَّ لِما قضاه الله ﷻ.

واعلموا أنكم مكلَّفون بالواجبات، وممنوعون من المحرَّمات، وهذان قسمان من أقسام الامتحان، إن صبرتم على أداء الواجب، وصبرتم عن فعل المحرَّم، كان جزاؤكم كبيرًا، وأجركم عظيمًا.

---

[1] اتحاف السادة المتقين (6/9)، المنهاج في شعب الإيمان (1/ 77)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص 95, قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (1/ 325)، إحياء علوم الدين (4/ 62)، صفة الصفوة (1/ 122).

[2] شعب الإيمان (3/ 45).

ثم إن الله ﷻ يبتلي عبادَه بالنعمة كما يبتليهم بالمصيبة؛ فالصحة نعمة، والعافية نعمة، والقوة نعمة، وسلامة الجوارح نعمة، والمال نعمة، والأولاد نعمة، والجاه نعمة، ونِعَم الله ﷻ لا تُعَد، ومِنَنه لا تحصر، وربما كان الصبر على النعمة أشدَّ مِن الصبر على المصيبة، والصبر على النعمة بشكر المنعِم، والقيام بما أمَر، والانتهاء عما عنه زجَر.

فهنيئًا لمن كتبهم الله ﷻ من الصابرين، فنالوا مقامات الصدِّيقين المقرَّبين، أولئك الذين ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت: ٣٠

وقال النبي ﷺ: "ما يصيب المسلم مِن نَصَب[1] ولا وَصَب[2]، ولا همٍّ[3] ولا حَزَن[4]، ولا أذى[5] ولا غَم[6]، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه[7]."[8]

وجعل الله ﷻ هذه الدنيا دار الفناء، ومنزل الاختبار والبلاء، فلا ينجو من بلائها غنيٌّ ولا فقير، ولا عظيم ولا حقير، ولا مؤمنٌ تقي ولا كافر شقي، بل إن حظ المؤمن من البلايا أكبر، ونصيبَه أعظم؛ ليُكفِّر الله ﷻ سيئاته، ويرفع له درجاته.

فإن من رحمة الله ﷻ بعبادِه أنْ أخبرهم بالبلايا قبل حلولِها، وبالمصائب قبل نزولها؛ ليُوطِّنوا أنفسهم على الصبر والتسليم، والرضا بتقدير العزيز العليم، وجعل في هذه المصائب تطهيرًا لأمراض القلوب، ورجوعًا إلى علَّام الغيوب، وتذكرةً بحقارة الدنيا

---

1 النَّصَب: التعب

2 والوَصَب: المرض.

3 هم: كره لما يتوقعه من سوء.

4 حزن: أسى على ما حصل له من مكروه في الماضي.

5 أذى: من تعدي غيره عليه.

6 غم: ما يضيق القلب والنفس.

7 خطاياه: ذنوبه.

8 رواه البخاري (7/ 114).

وهوانها، واستصغارًا لأمرها وشؤونها، والصابرون هم الراضون بقضائه على بلائه، الذين يقولون عند صدمة المصيبة: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، ثم بشَّرهم ببشارتين: صلوات من ربهم ورحمة، وزادهم الهداية علاوةً، فنعمتِ البشارتان ونعمتِ العلاوة، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

البقرة: ١٥٦ - ١٥٧

وأعظمُ المصائب هي مصيبة الدين، فلْيَبْكِ على نفسه تاركُ الصلاة، ولينددْ حظَّه البخيلُ بالزكاة، وليعلم أن المال فداء النفوس، وأن النفوس فداء الدِّين، وأن ليس للدين فداء، ولا لله ﷻ عِوَض؛ فمَن خسِر ماله، فليتسلَّ بنفسه ودينه، ومن خسِر دينه، فقد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

فإن عظمتْ مصائبك، فتسلَّ بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وتذكَّر ما أوذي به خاتم النبيين ﷺ، وارضَ بحلو القضاء ومرِّه، وخيرِه وشره .

واعلم أن دنياك ظلٌّ زائل، وعَرَض حائل، إن أضحكتْ قليلًا أبكتْ كثيرًا، وإن أحسنتْ يومًا أساءت دهرًا، وما منحت سرورًا إلا خبَّأت شرورًا، ولو كانت تساوي عند الله ﷻ جناحَ بعوضةٍ ما سقى الكافر منها شربة ماء، فلا تتعلَّق بها حتى يعظم في قلبك أمرها.

واعلموا أن آية الإيمان الصبر عند البلاء، والشكر عند العطاء، وأن المؤمن يتقلب من أجر إلى أجر، ومن خير إلى خير؛ ولهذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الصبر والشكر مطيَّتان، لا أبالي أيهما ركبت."[1]

[1] روح البيان (4/ 104)، سراج الملوك ص 98.

واعلموا أن الصبر ثلاثة أقسام: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على المكاره.

والصبرُ خلق عظيم وخلة كبيرة وقوة نفسية يترتب على وجودها في العبد فعل ما يجمل والبعد عما لا يجمل ولا يحسن، الصبرُ قوة في النفس يستطيع العبد بها بإذن الله ﷻ أن يحبس نفسه عندما يصاب بالآلام والمصائب، يحبس نفسه عما يسخط الله ﷻ من قول الحرام أو فعل الحرام، كما **قال ابن القيم** ﷺ: "الصبر حبس النفس عن التسخط، حبس النفس عن الجزع واللسان عن التسخط واليد عن لطم الخدود وشق الجيوب وهذا مجال من مجالات الصبر، وهو الصبر على أقدار الله ﷻ"[1] ومما يتعلق بهذه المنزلة منزلة الصبر أننا نستقبل شهراً عظيماً وموسماً مباركاً وصفه نبينا ﷺ بأنه شهر الصبر، فعن النبي ﷺ قال:" صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله."[2]، وقال أيضاً: "صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وَحَرَ الصدر."[3]

فعلينا أن نستقبل موسمنا المبارك وشهرنا العظيم بهذه العُدَّة المباركة والزاد العظيم بأن نتحلى بالصبر بأنواعه صبر على طاعة الله ﷻ بالمحافظة على الفرائض والواجبات والعناية بالرغائب والمستحبات، وصبر عن معاصي الله ﷻ بالبعد عن الحرام واجتناب الآثام وتوقي ما يسخط الله ﷻ، وصبر على أقدار الله ﷻ بأن يُعَوِّد المرء نفسه ويدربها على التحلي بالصبر إذا ما أصابته مصيبة؛ لأنه يعلم بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا

[1] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص 15.
[2] مسند أحمد (16/ 388)، السنن الكبرى للبيهقي (4/ 484).
[3] مسند أحمد (38/ 168)، مصنف ابن أبي شيبة (7/ 348).

بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١١،

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "هو المؤمن تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ﷻ فيرضى ويسلم."[1]

ومن ثمرات الصبر:

1. تحقيق الإيمان:

فالإيمان قول وعمل واعتقاد، والصبر من الإيمان، وقد دل على ذلك القرآن.. فكل ما أمر الله ﷻ به بعد ندائه بـ {يا أيها الذين آمنو} دليل على دخوله في مسمى الإيمان.

ودلت على ذلك سنة خير الأنام ﷺ، فقد قال ﷺ: "أفضل الإيمان الصبر والسماحة."[2]، وقال ابن مسعود ﷺ: "الصبر نصف الإيمان."[3]

2. تحقيق الاخبات:

والإخبات الخضوع، قال ﷻ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الحج: ٣٤ – ٣٥

---

[1] السنن الكبرى للبيهقي (4/ 110)، شعب الإيمان (12/ 345).
[2] شعب الإيمان (13/ 286).
[3] المعجم الكبير للطبراني (9/ 104)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 484)، شعب الإيمان (1/ 150).

3. تحقيق الصدق والتقوى:

قال ﷻ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧[1]

4. تحقيق الهداية:

قال ﷻ: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١١

وقال ﷺ: "الصبر ضياء"[2]، أي: لا يزال صاحبه مستضيئاً به ومهتدياً مستمراً على الصواب، ومما قاله علي بن أبي طالب ﷺ في الصبر: "الصبر مطية لا تكبو"[3]، وقال عمر بن الخطاب ﷺ:" وجدنا خير عيشنا[4] بالصبر"[5]؛ وذلك لأن به هداية القلب وراحة البال.

---

[1] البأساء: حال الفقر، والضراء: حال المرض، حين البأس: عند مجابهة العدو.

[2] شعب الإيمان (5/ 195).

[3] التحرير والتنوير (30/ 534)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (3/ 378)، زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 81)، الذخائر والعبقريات (1/ 230)، مدارج السالكين لابن القيم (2/ 158)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص 17, سراج الملوك ص 98.

[4] خير عيشنا: أي لذة العيش ومتعة الحياة.

[5] رواه البخاري (8/ 99)، فتح الباري لابن حجر (11/ 303)، عدة الصابرين وذخير الشاكرين ص 94, الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص 97, تسلية أهل المصائب ص141.

5. التمكين:

قال ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٤

6. نيل الرحمة:

قال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

البقرة: ١٥٦ – ١٥٧، **قال الطبري**: والصلوات المغفرة

7. تكفير السيئات:

قال ﷻ: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ النساء: ١٢٣، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة، في جسده، وفي ماله، وفي ولده، حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة."[1]

8. الأجر الجزيل:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ الزمر: ١٠

قال قتادة ﷺ: "لا والله، ما هُناكم مكيال ولا ميزان"[2]

وعَنْ جَابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: " يود أهل العافية

---

[1] مسند أحمد (13/ 248).

[2] تفسير الطبري (21/ 270).

يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض"[1]

ولقد جمع الله ﷻ بين المغفرة والأجر الجزيل للصابرين في آية فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾ هود: ١١

9. محبة الله ﷻ:

قال ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ آل عمران: ١٤٦

10. الجنة:

قال ﷻ: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ آل عمران: ١٥ - ١٧

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعطاء رضي الله عنه: " ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: "إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله

[1] سنن الترمذي (4/ 603).

أن يعافيك"، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها."[1]

فمن صبر فله الجنة لقوله: "إن شئت صبرت ولك الجنة".

11. والصبر يرفع العبد درجات عالية في الجنة:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها."[2]

ولهذه الثمار كلها قال نبينا ﷺ: "ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر."[3]

فما أوسع العيش به وبالأمل، وما أضيقه بدونهما!

مجالات الصبر:

1. الصبر على عبادة الله ﷻ:

لا يوفق العبد إليها إلا بالصبر، قال ﷻ: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾ مريم: ٦٥

فالصلاة تحتاج إلى الصبر، قال ﷻ: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾ طه: ١٣٢

2. الصبر عن المعصية:

وإذا ذكر هذا النوع من الصبر ذكر الكريم يوسف عليه السلام، الذي راودته المرأة الجميلة، وهددته وتوعدته، وبدأته وأفصحت عن رغبتها، وكان شاباً غريباً قوياً، وانغلقت

---

[1] رواه البخاري (7/ 116)، رواه مسلم (4/ 1994)، السنن الكبرى للنسائي (7/ 50)، المعجم الكبير للطبراني (11/ 157).
[2] مسند أبي يعلي الموصلي (10/ 482).
[3] رواه البخاري (2/ 122).

الأبواب فأمنا من دخول أحد عليهما، مع ذلك كله كان رده على طلبها: معاذ الله.

3. الصبر على الابتلاء:

قال ﷻ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ العنكبوت: ٢، وهنا يندرج من الأفراد ما يحصيه إلا رب العباد ﷻ.

4. الصبر على المرض:

قال ﷺ: "لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة، ولا مسلم ولا مسلمة، إلا حط الله عنه من خطاياه."[1]، وقال أيضاً: "المريض تحات خطاياه كما يتحات ورق الشجر."[2]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ[3] فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ."[4]

5. الصبر على قلة ذات اليد وشظف العيش:

قال ﷻ: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

فإن رمضان شهر الصبر، ومدرسة الصبر، فالصوم تعويد على الصبر، وتمرين عليه، ولهذا ورد عن النبي ﷺ أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر، وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: "الصوم نصف الصبر."[5]

---

[1] مسند أبي يعلي الموصلي (4/ 200).
[2] مسند أحمد (27/ 215)
[3] حبيبتيه: يقصد بها عينيه.
[4] رواه البخاري (7/ 116).
[5] مسند أحمد (38/ 217)، سنن الدارمي (1/ 519).

فرمضان شهر الصبر لذلك كان مداره على حبس شهوتي البطن والفرج، وفيه يحبس المؤمن الصائم نفسه عن المخالفات حفاظًا على صومه، إيمانًا واحتسابًا، حتى ينال بصبره أجر الصائمين.

يصبر على حدة الجوع والظمأ.. ويصبر على ترك اللغو والقول الباطل والرفث.

ويصبر على تلاوة القرآن.. وصلاة التراويح والقيام.. ينشد بصبره مغفرة ذنبه ورضا ربه ﷻ، فقد قال رسول الله ﷺ: "إن الله فرض صيام رمضان، وسننت لكم قيامه؛ فمن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه."[1]

فإذا خرج رمضان.. وجد المؤمن نفسه مهيأة للصبر على طاعة لله ﷻ، ممرنة على الانحباس عن الشهوات... يسهل حملها على الطاعة، وكفها عن المعصية، وهذا درس آخر من الدروس المهمة التي تتعلمها في مدرسة رمضان.

ومنزلة الصبر منزلة عظيمة عند الله ﷻ، فهو شطر الإيمان، وبه نال المؤمنون أجرهم بغير حساب؛ لذلك فاكتساب هذه المنزلة في دروس رمضان من أعظم الثمار التي يجنيها الصائم من صومه، ينقضي رمضان.. لكن صبره على الطاعة لا ينقضي بانقضائه.. وصبره على المعصية لا ينقطع بانقطاعه.

فكما كان على الجوع لله ﷻ صابرًا محتسبًا في رمضان؛ فكذلك في غير رمضان تجده صائمًا صابرًا عن الحرام لا يأكله.. وعن الكبائر لا يقربها.. وعن المعاصي والسيئات لا يتعمدها، فصبره يلازمه؛ لأنه به يتم إيمانه.. وبه تكون نجاته وفلاحه، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

[1] السنن الكبرى للنسائي (3/ 129).

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ العصر: ١ - ٣

ومن فوائد الصبر ضبط النفس على السأم والملل لدى القيام بأعمال تتطلب الدأب والمثابرة خلال مدة مناسبة قد يراها المستعجل مدة طويلة، وضبط النفس عن العجلة والرعونة لدى تحقيق مطلب من المطالب المادية أو المعنوية، وضبط النفس عن الغضب، وضبط النفس عن الخوف، وضبط النفس عن الطمع، وضبط النفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها، وضبط النفس لتحمل المتاعب والمشقات والآلام الجسدية والنفسية، ودليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، ويورث هداية في القلب.[1]

وهذا رمضان يعلمنا الصبر، ويربينا على خلق الصبر؛ فليكن لنا منه أوفر الحظِّ والنصيب، وليكن زاداً لنا فيما نستقبله من أعمارنا.

فصبروا في هذا الشهر الكريم، واجعلوه خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة الصبر مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (6/ 2471).

مدرسة الشكر

مقام الشكر أجلُّ مقامٍ وأعلاه؛ إذ تندرج تحته العبوديةُ والرضا، ويزيد هو عليها، فلا يكون العبد شكورًا لله ﷻ إلا وقد أذعن بالعبودية له، ورضي به ﷻ ورضي عنه، وزاد على ذلك شكرًا له.

ومن تأمَّل آياتِ الشكر في القرآن عجِبَ من كثرتِها، ومن تعدُّدِ موضوعاتها، ومن تنوُّع أساليب الحض على الشكر فيها؛ مما يدل على مكانته في الدين، وعظيمِ منزلته عند الله ﷻ؛ فالشكرُ من صفات الله ﷻ وُصف به في القرآن؛ قال ﷻ:

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ النساء: ١٤٧

ولعظيم مقام الشكر، وشدةِ القيام به، وعسْره على الناس؛ لكثرة النعم، وغلبة الهوى؛ كان الشكرُ قليلاً فيهم؛ قال ﷻ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ سبأ: ١٣

والشكر هو أعظم عطاء يُعطى العبد؛ لأن قانون الله ﷻ أن الشكر يزيد النِّعم؛ قال ﷻ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧، **يقول الحسن البصري** رحمه الله: "الخير الذي لا شرَّ فيه، العافية مع الشكر، فكم من منعَمٍ عليه غير شاكر."[1]، **وقال الفضيل بن عياض** رحمه الله: "عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلَّ نعمةٌ زالتْ عن قوم فعادتْ إليهم"[2]

وأعظم شرف استحقَّه المؤمنون أن الله ﷻ لما ذبَّ عنهم سخريةَ المشركين، نَعَتَهم بالشكر؛ ذلك أن الإيمان من الشكر، قال المشركون: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 134).

[2] اتحاف السادة المتقين (9/ 198)، إحياء علوم الدين (4/ 127).

﴿مِّنۢ بَيۡنِنَآۚ ٥٣﴾ الأنعام: ٥٣، يعنون المؤمنين؛ تصغيرًا لهم، وتحقيرًا لشأنهم، فأجابهم الله ﷻ بقوله: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ الأنعام: ٥٣، فوجب على أهل الإيمان أن يكونوا أهلاً لهذا الشرفِ العظيم الذي بوَّأهم الله ﷻ إياه حين وَصَفَهم بالشاكرين، وذلك بتحقيق الإيمان والسعي إلى كماله، وإتْباع القول بالعمل، والدوام على الشكر ظاهرًا وباطنًا؛ فإن الشكر هو ظهور أثر نعمة الله ﷻ على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة.

إن أكثر الناس يلحظ النعم الدنيوية، مِن توافرِ الأمن، وتمامِ الصحة، وسَعةِ الرزق، وكثرةِ الولد، ورغدِ العيش، ويشكرون الله ﷻ على ما أعطاهم، وفعلُهم حسنٌ جدًّا، ويجازيهم الله ﷻ زيادة على شكرهم.

وشهر رمضان وما فيه من أنواع العبادات، وما يقع فيه من الخير والإحسان هو من أعظم النعم التي امتنَّ الله ﷻ بها على أمة الإسلام، واستحضار هذه النعم يَقُود إلى شكرها، كما يقود إلى إعطاء رمضان ما يستحقه من العبودية لله ﷻ والاجتهاد فيه بالأعمال الصالحة؛ ولذا فإن الله ﷻ علَّلَ فرْضَ الصوم وما شرع فيه من الرخص والتيسير على من لا يطيقونه، علَّل ذلك بالشكر فقال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ البقرة: ١٨٥

فمن نعم الله ﷻ علينا التي تستوجب الشكر: أنه ﷻ اختصَّنا برمضان، وفرَضَ فيه الصيام، وشَرَع القيام، وهدانا للعمل الصالح فيه؛ فكم في الأرض من بشر ما هُدوا

للإيمان برمضان، ولا وفّقوا لصيامه وقيامه! فهل نشكر الله ﷻ على هذه النعمة العظيمة؟!

ومن موجبات شكرِ رمضان: ما جعل الله ﷻ فيه من تكفير السيئات، وزيادة الحسنات، واستجابة الدعوات، والعتق من النار، ومن أعظم ما يوجب شكر الله ﷻ على رمضان أنه ﷻ يتولَّى جزاء الصائمين؛ كما في الحديث القدسي: "الصَّوْمُ لي وأنا أَجْزِي بِهِ."[1]

والشكور يجزي على الشكر شكرًا أعظم، وقد قال ﷻ: ﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٥، وإعانة الصائمين على أنفسهم وشياطينهم بسلسلتها في رمضان، وفتْح أبواب الجنة، وغلْق أبواب النار، كلُّ ذلك مما يوجب شكرَ الله ﷻ على هذه النعم .

ومن أعظم نعم الله ﷻ على الصائم ما يجد من فرحة عند فطره بقضاء فرضه، وعند لقاء ربه ﷻ بتحصيل أجره.

وما اختص الله ﷻ به أمةَ الإسلام من ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر نعمة عظيمة، يعجز العبادُ عن شكرها مهما عملوا، ثم إن هذا التكليف بصيام النهار إنما كان في أيام معدودات، فرض الله ﷻ صيامَها، وشرع قيامها، وشكر العبادَ على قيامهم بأمره ﷻ بما رتَّبه من ثواب عظيم، وأجر كبير.

ومن أعظم النعم التي تستوجب الشكرَ ما منَّ الله ﷻ به على الأحياء من إدراك رمضان، وقد فات غيرَهم، فهم في قبورهم مرتهنون بأعمالهم، يجزون بها ولا يعملون.

[1] رواه البخاري (9/ 143)، رواه مسلم (2/ 807)، سنن النسائي (4/ 159)، المعجم الكبير للطبراني (10/ 98).

كلُّ هذه النعم في رمضان وغيرها كثير وكثير تستوجب شكرَ الله ﷻ عليها، وشكرُه ﷻ عليها يكون بالقلب إيمانًا واحتسابًا، ويكون باللسان ذِكرًا وشكرًا، ويكون بالأفعال جدًّا في العبادة واجتهادًا؛ فإن النبي ﷺ لما قام من الليل حتى تورمتْ قدماه، وقيل له في ذلك، قال ﷺ: "أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا."[1]

فالشكر هو الاعتراف بالنعم باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وصرفها فيما يحب مسديها ومونيها.

وأن الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره.

والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح فمن استكملها فهو الشاكر، والحمد يقع بالقلب واللسان، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها وما أذنب عبد ذنباً فندم عليه إلا كتب الله له مغفرة قبل أن يستغفره وما اشترى عبد ثوباً بدينار أو نصف دينار فلبسه فحمد الله عليه إلا لم يبلغ ركبتيه حتى يغفر الله له."[2]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجة لا تبغيه خوفاً في نفسها ولا ماله"[3]

---

[1] رواه البخاري (50/2)، رواه مسلم (4/ 2171)، سنن ابن ماجه (1/ 456)، سنن الترمذي (2/ 268)، سنن النسائي (3/ 219)، المعجم الكبير للطبراني (22/ 132)، شعب الإيمان (3/ 81)، صحيح ابن حبان (9/2)، صحيح ابن خزيمة (2/ 200).

[2] المعجم الأوسط للطبراني (4/ 385).

[3] المعجم الأوسط للطبراني (7/ 179)، شعب الإيمان (6/ 246).

ومن الشكر أن تظهر على المرء آثار النعمة، فالله ﷻ يحب من عبده أن يرى أثر نعمته عليه، فعن النبي ﷺ قال: " كلوا، واشربوا، وتصدقوا، والبسوا، في غير مخيلة ولا سرف، إن الله يحب أن ترى نعمته على عبده"[1]

قال سلمة بن دينار رضي الله عنه: "وكل نعمة لا تقرب من الله ﷻ فهي بلية، وإذا رأيت الله ﷻ يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره"[2]

ومن أجل أن يعرف العبد نعم الله ﷻ عليه فيحقق الشكر لله ﷻ، فعليه أن ينظر إلى إخوانه الذين حرموا من نعم كثيرة وهو يتمتع بها، انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك.

لقد حاز السلف الصالح رضي الله عنهم النصيبَ الأوفر من الشكر والتقدير للنعم، ومعرفة أنواعها، فقد كان **الحسن البصري** رضي الله عنه إذا ابتدأ حديثه يقول: "الحمد لله، اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا، ورزقتنا، وهديتنا، وعلمتنا، وأنقذتنا، وفرجت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبت عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فرقتنا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك كثيرا، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حي أو ميت، أو شاهد أو غائب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الشكر إذا رضيت."[3]

---

[1] مسند أحمد (11/ 312).
[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (3/ 270)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص 133.
[3] شعب الإيمان (6/ 322)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص 127, تسبيح ومناجاة وثناء على ملك الأرض والسماء ص 66.

فاقتدوا بخيرة خلق الله ﷻ من الأنبياء والصالحين في الشكر عند النعماء والصبر عند البلاء، وتدبروا مما في كتاب الله ﷻ من الأمر بالشكر، والثناء على الشاكرين، واعملوا بها تفوزوا في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رحمه الله: "الشكر ظهور أثر نعمة الله ﷻ على لسان عبده: ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة."[1]، فمن العبادات العظيمة التي ينعم الناس بثمرتها في العاجل والآجل: شكر الله ﷻ على ما أولى من نعم، والشكر نصف الدين كما قال جماعة من السلف.

أركان الشكر:

1. الاعتراف بالنعمة بقلبه:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: "أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا."[2]

2. التحدث بها والثناء على المنعم:

قال ﷻ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ الضحى: ١١

3. تسخيرها في طاعة مسديها والمنعم بها:

قال ﷻ: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ سبأ: ١٣،

ومعنى الآية: يا آل داود: اعملوا شكرًا لله ﷻ على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتثال أمره.

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 234).
[2] رواه مسلم (1/ 84)، المعجم الكبير للطبراني (12/ 198)، السنن الكبرى للبيهقي (3/ 499).

ثمرات الشكر:

1.من صفات المؤمنين:

عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له"[1]

2. سبب لرضى الله ﷻ عن عبده:

قال ﷻ: ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۝٧ ﴾ الزمر: ٧

3. أمان من العذاب:

قال ﷻ: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧ ﴾ النساء: ١٤٧، قال قتادة ﷺ: "إن الله ﷻ لا يعذِّب شاكرًا ولا مؤمنًا"[2]

4. سبب للزيادة:

قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ إبراهيم: ٧

قال بعض السلف ﷺ: "النعم وحشية فقيدوها بالشكر"[3]

وقال الحسن البصري ﷺ: "إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها

---

[1] رواه مسلم (4/ 2295).
[2] تفسير الطبري (9/ 343)، الهداية إلى بلوغ النهاية (2/ 1510)، فتح القدير للشوكاني (1/ 612)، التفسير البسيط (7/ 168).
[3] قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المديد إلى مقام التوحيد (1/ 349)، إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 127).

قلبها عذاباً، ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ، لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب، لأنه يجلب النعم المفقودة"[1]

5. الأجر الجزيل في الآخرة:

قال ﷻ: ﴿ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤، وقال ﷻ:

﴿ وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٥

إذا كان الشكر بهذه المكانة فحري بنا أن ندعو بدعاء رسول الله ﷺ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال: "يا معاذ، والله إني لأحبك، فلا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك."[2]

فالشكر خير عيش السعداء، لم يترقوا إلى أعلى المنازل إلا بشكرهم، فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم وذلك فضل الله ﷻ يؤتيه من يشاء.

وللشكر شرف كبير ومنزلة عظيمة، وله عدة وجوه ذكرها ابن القيم رضي الله عنه فقال:

1. أنه من أعلى المنازل.
2. فوق منزلة الرضا والزيادة، فالرضا مندرج في الشكر ويستحيل وجود الشكر بدونه.
3. نصف الإيمان شكر ونصفه صبر.
4. أمر الله ﷻ به ونهى عن ضده.
5. أثنى على أهله ووصفهم بخواص خلقه.
6. جعله غاية خلقه وأمره.

---

[1] الشكر لابن أبي الدنيا ص 11, عدة الصابرين وذخير الشاكرين ص 120.
[2] المعجم الكبير للطبراني (20/ 125).

7. وعد أهله بأحسن الجزاء.

8. جعله سبباً للمزيد من فضله.

9. جعل الشكر حارساً وحافظاً للنعمة.

10. أخبر ﷻ أن أهل الشكر هم المنتفعون بآياته.

11. اشتق لهم اسماً من أسمائه الشكور وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره، بل يعي الشاكر مشكوراً.

12. غاية الرب ﷻ من عبده.

13. سّمى نفسه شاكراً وشكوراً، وسمّى الشاكرين بهذين الاسمين، فأعطاهم من وصفه وسماهم باسمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً.

14. أخبر الله ﷻ عن قلة الشاكرين في عباده.

15. الشكر لابد معه من المزيد.

16. والشكر وعكوف القلب على محبة المنعم، والجوارح على طاعته وجريان اللسان بذكره والثناء عليه.[1]

ومن فوائد الشكر أنه من كمال الإيمان وحسن الإسلام إذ إنه نصف والنصف الآخر الصبر، واعتراف بالمنعم والنعمة، وسبب من أسباب حفظ النعمة بل المزيد، ولا يكون باللسان فقط بل اللسان يعبر عمَّا في الجنان وكذلك يكون بعمل الجوارح والأركان، وكثرة النعم من المنعم لا يمكن أن يؤدي العبد حقها إلا بالشكر عليها، ويكسب رضا الرب ﷻ ومحبته، والإنسان الشكور قريب من الناس حبيب إليهم،

[1] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 232).

وفيه دليل على سمو النفس ووفور العقل، والشكور قرير العين يحب الخير للآخرين ولا يحسد من كان في نعمة.[1]

فاشكروا الله ﷻ في هذا الشهر الكريم، على أن بلغكم هذا الشهر، واجعلوه خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة الشكر مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (6/ 2419)

مدرسة الجود والكرم

الجود والكرم خلُق عظيم، وعملٌ صالح جليل، أَمر به الله ﷻ، وحثَّ عليه خاتم المرسلين ﷺ.

فالكريم من أسمائه، والجود والكرم من صفاته، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ الانفطار: ٦ - ٨

وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله جواد يحبُّ الجوادَ، ويحب معاليَ الأخلاق، ويكره سَفْسافها."[1]

فما من نعمة يمنُّ الله ﷻ بها على عباده إلاَّ وهي من محض فضله وجوده، وكرَمه وإحسانه؛ قال ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ٥٣ ﴾ النحل: ٥٣،

هو الكريم الذي يَغفر للمذنبين، ويعفو عن المسيئين، ويقبل توبةَ التائبين؛ قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ٢٦ ﴾ الشورى: ٢٥ - ٢٦

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: "إنَّ يمين الله مَلأى لا يَغِيضُها نفَقة، سَحَّاءُ الليل والنَّهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السَّموات والأرض؛ فإنَّه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض يَرفع ويخفض."[1]

[1] مصنف ابن أبي شيبة (5/ 332).

إن الإسلام دين يدعو إلى البَذل والإنفاق، ويرغِّب في الكرَم والسَّخاء، وينهى على الشحِّ والبخل، ويحذِّر من المنع والإمساك.

الإسلام دينٌ يحبِّب إلى أتباعه أن تكون نفوسهم سخيَّة، وأكفهم ندِيَّة، ويوصيهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البرِّ، وأن يجعلوا تقديمَ الخير إلى النَّاس شُغلَهم الدائم، لا ينفكون عنه في صباح أو مساء، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾ البقرة: ٢٧٤

فمِن الواجب على المسلِم أن يَقتصد في مطالب نفسه؛ حتى لا تَسْتَنفِدَ مالَه كلَّه، وعليه أن يُشرك غيرَه فيما آتاه الله ﷻ من فَضله، وأن يجعل في ثرْوته متَّسَعًا يُسعِفُ به المنكوبين ويُريح المتعَبين؛ ولذلك ورد الأمر بالإنفاق على القرابة والمساكين مقرونًا بالنهي عن التبذير، في قوله ﷻ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧ ﴾ الإسراء: ٢٦ - ٢٧

وعن أبي أُمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يا بن آدم، إنَّك أنْ تبذل الفضلَ خيرٌ لك[2]، وأن تمسكه شرٌّ لك، ولا تلام على كفافٍ[3]، وابدأ بمن تعول، واليد العُليا خير من اليد السُّفلى."[4]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما نحن في سَفر مع

---

[1] رواه البخاري (9/ 124).
[2] أن تبذل الفضل خير لك: معناه إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وإن أمسكته فهو شر لك.
[3] ولا تلام على كفاف: معناه أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه.
[4] رواه مسلم (2/ 718).

النبي ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصرَه[1] يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: "من كان معه فَضل ظَهر[2]، فليَعُدْ به على مَن لا ظَهر له، ومن كان له فَضلٌ من زاد، فليَعُد به على مَن لا زاد له، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنَّه لا حقَّ لأحدٍ منَّا في فضل."[3]

صور للجود والكرم:

للكرم والجود صور عديدة، ومجالات متنوعة كثيرة، فيها يتنافس المتنافسون، ويجتهد المجتهدون، كلٌّ على حسب طاقته واستطاعته، ومن صور الجود والكرم:

1. بَذْل المسلم وعطاؤه من مال الله ﷻ الذي آتاه الله ﷻ إيَّاه وأنعم به عليه من كل ما ينتفع به المرء؛ من مأكلٍ أو مشرب أو ملبس، أو مسكن أو دواء أو غير ذلك من أنواع الخير والبرِّ والإحسان، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّ النَّاس أحب إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحبُّ النَّاس إلى الله ﷻ أنفعُهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله ﷻ سرورٌ تُدخِله على مسلم، أو تكشِف عنه كُربة، أو تقضي عنه دَينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأَن أمشي مع أخٍ في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة – شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورتَه، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبَه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يتهيَّأ له أثبت الله قدمَه يوم تزول الأقدام."[4]

---

[1] فجعل يصرف بصره: أي متعرضا لشيء يدفع به حاجته.
[2] من كان معه فضل ظهر: أي زيادة ما يركب على ظهره من الدواب وخصه اللغويون بالإبل وهو التعين.
[3] رواه مسلم (3/ 1354).
[4] المعجم الصغير للطبراني (2/ 106).

2. بذل المرء وعطاؤه من علمه ومعرفته؛ فالكريم من لا يَكتم علمًا ولا معرفة، بل يُعَلِّم الناسَ ويدلهم على الخير، والبخيل هو الذي يَحتفظ بمعارفه وعلومه لنَفسه، بُخلاً ورغبة في الاستئثار والانفراد، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من دعا إلى هدًى، كان له من الأجر مثل أجور من تَبِعه، لا يَنقُص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه، لا يَنقُص ذلك من آثامهم شيئًا."[1]

3. بَذل النصيحة لمن هو في حاجة إليها؛ فالكريم لا يَبخل على إخوانه بأي نصيحة تفيدهم وتنفعهم في دينهم أو دنياهم، وقد عدَّ النبيُّ ﷺ من حقوق المسلم على أخيه أن ينصحه إذا طلب منه النَّصيحة؛ "... وإذا استنصَحَك، فانصَحْ له..."، وعن تميم الدَّاري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "الدِّينُ النَّصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم."[2]

4. بذل المرء وعطاؤه من أخلاقه وشِيَمه؛ فالكريم يعطي من مكانته وجاهه، ويعطي من عَطفه وحنانه، ويعطي من طلاقة وَجْهه وابتسامة ثغره وحُلو كلامه، ويعطي من وقته وراحتِه، ويعطي من سَمعه وإصغائه، ويعطي من حبِّه ورحمته، ويعطي من دعائه وشفاعته، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "أكمَل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا، وخيركم خيركم لنسائهم."[3]

5. بذل العبد وعطاؤه من طاقات جسده وقوَّته؛ فالجواد يعطي من معونته وخدماته وجُهده، يمشي في مصالِح النَّاس، ويَتعب في مساعدتهم، ويَسهر من أجل معونتهم،

---

[1] رواه مسلم (4/ 2060)، سنن أبي داود (4/ 201).
[2] رواه مسلم (1/ 74).
[3] سنن الترمذي (3/ 458)

ويسعى في خدمتهم...؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "كلُّ سُلامَى من النَّاس عليه صدَقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدِل بين الاثنين[1] صدَقة، وتعين الرجلَ في دابَّته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعَه صدَقة، والكلمة الطيِّبة صدقة، وكل خطوة تَمشيها إلى الصلاة صدَقة، وتميط الأذى عن الطَّريق صدَقة."[2]

6. إكرام الوالدين ببرِّهما والإحسان إليهما بحسن القول والفعل والخُلق؛ فقد قال ﷻ في وصيته لعباده : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ الإسراء: ٢٣ - ٢٤

7.إكرام الأهل والأقارب؛ فمِن أحق النَّاس بجودك وكرمك أهلُك وقرابتك، بإكرامهم تكون الصلة ويكون التماسك الأُسري، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رَقبة، ودينار تصدَّقتَ به على مسكين، ودينار أنفقتَه على أهلك، أعظمُها أجرًا: الذي أنفقتَه على أهلك."[3]؛ لأنَّ النَّفقة على القريب صِلَة وصدَقة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي."[4]

---

[1] تعدل بين الاثنين صدقة: أي تصلح بينهما بالعدل.
[2] رواه البخاري (4/ 56)، رواه مسلم (2/ 699).
[3] رواه مسلم (2/ 692).
[4] سنن ابن ماجه (1/ 636)، سنن الترمذي (5/ 709).

8. إكرام الجار والضيف؛ فالكريم مَن يُكرم جارَه، والكريم من يُكرم ضيفَه ويكرم زائرَه، فذاك دليل على إيمان العبد بالله ﷻ واليوم الآخر، فعن أبي شريح العدوي ﷺ قال: سمعَتْ أذُناي، وأبصرَتْ عيناي، حين تكلَّم النبيُّ ﷺ فقال: "مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جارَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه جائزته، قال: وما جائزتُه يا رسول الله؟ قال: يوم وليلة، والضِّيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدَقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت."[1]

الجود في رمضان:

جمع رسول الله ﷺ محاسن الأخلاق كلها، ومحاسن الصفات، وليس من كلمة هي أجمَع لمحاسنِه ﷺ من الكلمة التي وصفتْه بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما سألها سعد بن هشام قائلاً: يا أمَّ المؤمنين، أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: "فإن خُلقَ نبي الله ﷺ كان القرآن."[2]

قال ابن الأثير: "أي متمسِّكًا بآدابه وأوامره ونواهيه وما يَشتمِل عليه من المكارم والمحاسن."[3]

ومع أنه ﷺ معدن الجود والكرم وجميع المحاسِن في كل وقت إلا أنه كان جوده يتضاعف في رمضان ومحاسنه تزداد فيه؛ فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه

---

[1] رواه البخاري (8/ 11).
[2] رواه مسلم (1/ 512).
[3] الآداب الشرعية والمنح المرعية (2/ 205) , النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 70).

جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة."[1]

قال ابن عثيمين: "وكان جوده ﷺ يَجمع أنواع الجود كلها؛ من بذل العِلم والنفس والمال لله ﷻ في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من تعليم جاهِلهم، وقضاء حوائجِهم، وإطعام جائعهم، وكان جوده يتضاعَف في رمضان؛ لشرف وقته ومضاعَفة أجرِه وإعانة العابدين فيه على عبادتهم، والجمع بين الصيام وإطعام الطعام، وهما من أسباب دخول الجنة."[2]

أن الأعمال تتضاعف بفضل الزمان والمكان، ورمضان من أفضل الأزمان، فيَنبغي للمسلم في رمضان أن يَجتهد في أنواع الجود ما استطاع بوقته ونفسه وماله، كما كان رسول الله ﷺ يفعل، وإنه لشهر الجود والكرم الذي يَنبغي فيه أن يَقتلِع المسلم من نفسه دوافع البُخل وجذوره.

واعلموا عباد الله أن ثواب الجود والإنفاق عظيم، وقد رغَّبنا الله ﷻ فيه في أكثر من موضع من القرآن الكريم، قال الله ﷻ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ﴾ البقرة: ٢٦١

[1] رواه البخاري (4/ 113)، السنن الكبرى للنسائي (7/ 248).
[2] مجموع فتاوي ورسائل ابن عثيمين (20/ 262)، مجالس شهر رمضان لابن عثيمين ص 60.

الكرم بركة للمال، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً."[1]

وعن أبي هريرة ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: "ما نَقَصَ مال من صدقة – أو ما نقصتْ صدقة من مال –وما زاد اللهُ عبداً بعفْو إلا عزّاً، وما تواضَعَ عبد لِلهِ إلا رَفَعَهُ اللهُ."[2]

فإن المسلم يحب أن يكون كريمًا، فعن سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا حَسَد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار."[3]

والله ﷻ هو الجواد الذي يجود على عباده في هذا الشهر الكريم وغيره بصنوف الخير والعطايا، **قال السعدي**: "الجواد: يعني أنه ﷻ الجواد المطلق الذي عم بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله، وكرمه، ونعمه المتنوعة، وخص بجوده السائلين بلسان المقال أو لسال الحال، من بَرّ، وفاجر، ومسلم، وكافر."[4]

وقال السعدي في موضع آخر: "الجواد الذي عم بجوده أهل السماء والأرض، فما بالعباد من نعمة فمنه، وهو الذي إذا مسهم الضر فإليه يرجعون، وبه يتضرعون، فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما منَّ الله ﷻ به عليهم من الأسباب المقتضية لجوده، وكرمه، وأعظمها

---

[1] رواه البخاري (2/ 115)، رواه مسلم (2/ 700).
[2] رواه مسلم (4/ 2001)، سنن الدارمي (2/ 1042).
[3] رواه مسلم (1/ 558)، سنن ابن ماجه (2/ 1408).
[4] تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص 181.

تكميل عبودية الله ﷻ الظاهرة والباطنة، العلمية والعملية، القولية والفعلية، والمالية، وتحقيقها باتباع محمد ﷺ بالحركات والسكنات."[1]

وشهر الصيام شهر تظهر فيه معالم فضله وعطائه ﷻ على عباده؛ ففيه يفتح الله ﷻ لعباده من أبواب العفو والصفح والتوبة والمغفرة ما لا يكون في غيره، ويهيئ لهم من الأسباب ما يعينهم على ذلك في هذا الشهر، فعن النبي ﷺ قال: " إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة"[2]

يفعل ذلك كله ﷻ تهيئة لجوٍ مناسب للعبادة يعين المسلم على أدائها.

وجعل ﷺ الصيامَ وقايةً من دخولِ النار فقَالَ: " الصيام جنة، وحصن حصين من النار"[3]

ومن جوده ﷻ أنه جعل الصيام يشفع للصائم، قال رسول الله ﷺ: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فيشفعان"[4]

[1] تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص 181.
[2] سنن الترمذي (3/ 57).
[3] مسند أحمد (15/ 123).
[4] مسند أحمد (11/ 199).

ومن جوده ﷻ على الصائم في هذا الشهر وغيره أن الصائم إذا خُتم له بالصيام بأن كان آخر أعماله أو مات صائماً دخل الجنة، فقد قال ﷺ: " من صام يوماً ابتغاء وجه الله ﷻ ختم له به دخل الجنة "[1]

ومن أعظم الجود أن يجود الله ﷻ على عبيده بالعتق من النار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: " ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة "[2]

فقد فتح لكم الباب وهيئة لكم أسباب المغفرة والرحمة فلا تبخلوا على أنفسكم ولا تحرموها من جود الله ﷻ عليكم، فعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "أتاني جبريل، فقال: يا محمد، من أدرك رمضان فلم يغفر له، فأبعده الله، قلت: آمين"[3]

ومن أعظم جوده ﷻ على عباده في هذا الشهر أن جعل فيه ليلة عظيمة قال عنها في محكم التنزيل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ القدر: ١ - ٥

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يبشرهم: " قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم"[4]

---

[1] مسند أحمد (38/ 350).
[2] سنن الترمذي (3/ 57).
[3] صحيح ابن حبان (2/ 140).
[4] مسند أحمد (15/ 302).

وإنما كان جوده ﷺ في رمضان خاصةً أكثر لثلاثة أسباب:

السبب الأول: لمناسبة رمضان، فإنَّ رمضان شهر تضاعف فيه الحسنات، وترفع فيه الدرجات، فيتقرب فيه العبيد إلى مولاهم ﷻ بكثرة الأعمال الصالحات.

السبب الثاني: كثرة قراءته ﷺ للقرآن في رمضان، والقرآن فيه آيات كثيرة في الحث على الإنفاق في سبيل الله ﷻ، والتقليل من الدنيا والزهد فيها والإقبال على الآخرة، فيكون في ذلك تحريك لقلب الإنسان؛ لأن ينفق في سبيل الله ﷻ، وحري بكل من يقرأ القرآن أن يكثر من الصدقة في سبيل الله ﷻ.

السبب الثالث: أن النبي ﷺ كان يلقى جبريل عليه السلام في كل ليلة، ولقاؤه لجبريل عليه السلام من باب مجالسة الصالحين، ومجالسة الصالحين تزيد في الإيمان وتحث على الطاعة، فلذلك كان ﷺ يكثر من الصدقة في رمضان.

فلقد مثَّل النَّبيُّ ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الجُود والكَرَم، فكان أجود النَّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فكان أجود بالخير مِن الرِّيح المرسلة.

وقد بلغ ﷺ مرتبة الكمال الإنساني في حبِّه للعطاء، إذ كان يعطي عطاء مَن لا يحسب حسابًا للفقر ولا يخشاه، ثقة بعظيم فضل الله ﷻ، وإيمانًا بأنَّه هو الرزَّاق ذو الفضل العظيم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غَنماً بين جبَلين[1]، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلِمُوا، فإن محمداً يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجلُ لَيُسْلِمُ

[1] فأعطاه غنما بين جبلين: أي كثيرة كأنها تملأ ما بين جبلين.

ما يُرِيد إلا الدنيا، فما يلبثُ إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها."[1]

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لو أن لي مثل أحد ذهباً ما سرني أن يأتي على ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين"[2]

إنَّ الرَّسول ﷺ يقدِّم بهذا النَّموذج المثالي للقدوة الحسنة، لاسيَّما حينما نلاحظ أنَّه كان في عطاءاته الفعليَّة، مطبِّقًا لهذه الصُّورة القوليَّة التي قالها، فقد كانت سعادته ومسرَّته عظيمتين حينما كان يبذل كلَّ ما عنده مِن مال، ثمَّ إنَّه يربِّي المسلمين بقوله وعمله على خُلُق حبِّ العطاء، إذ يريهم مِن نفسه أجمل صورة للعطاء وأكملها.

فما أعظم كرمه وجوده وسخاء نفسه ﷺ، وما هذه الصِّفة الحميدة إلَّا جزءٌ مِن مجموع الصِّفات التي اتصف بها حبيبنا ﷺ ، فلا أبلغ ممَّا وصفه القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ٤

فإنّ شهر رمضان هو شهر الجود والكرم، فانفق في رمضان وتصدق، وكن أجود ما تكون، ولا تبخل بالمال، وأعطِ ذوي الحاجات، والفقراء، والمساكين، واليتامى، بل كن جواداً بكل خيرٍ.

فهو شهر الجود والعطاء، والإحسان والزكاة، فقد كان رسول الله ﷺ وهو القدوة والأسوة، كان حين يلقاه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة، ووفي هذا درس لكل صائم وتمرين له، وتعويد له على البذل والعطاء، والإحسان إلى الفقراء والمساكين وذوي الحاجة.

---

[1] رواه مسلم (4/ 1806).

[2] رواه البخاري (3/ 116)، السنن الكبرى للبيهقي (7/ 74).

ولك أن تتأمل في حال الصائم حينما يكسر الجوع حدته.. ويتذوق منه مرارته كيف يكون شعوره، وهو يحسن إلى البائس الفقير المعوز المحروم.. فلا بد أنه يستشعر ما يؤلم ذلك الفقير في غير رمضان من جوع وحرمان، وهذا المشهد.. وذاك الشعور أن يكون محفزًا قويًا على حمل النفس على البذل والإحسان والجود.

إن في زيادة الجود والكرم في رمضان لثمرات:

1. أن فيه معنى التعبد لله ﷻ باسم الكريم، فإنه ﷻ جاد على خلقه في هذا الشهر بأنواع من جوده وكرمه:

- ❖ جاد عليهم بفرض الصيام تهذيباً لنفوسهم.
- ❖ جاد عليهم بنزول القرآن الكريم فيه بينات وهدى للناس.
- ❖ جاد عليهم بفتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين.
- ❖ جاد عليهم بثواب الصائمين الذي لا يقدر قدره إلا الله ﷻ.

2. مضاعفة الثواب بالجود بشرف الزمان قال ﷺ: "فإن عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي."[1]

3. وفي الجود إعانة للصائمين والقائمين على طاعة الله ﷻ، ومن أعان على طاعته ﷻ أو دل عليها فله مثل أجر فاعلها، فعن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً."[2]

---

[1] رواه البخاري (3/ 19).
[2] سنن الترمذي (3/ 162).

4. الجود يعمل على انشراح الصدر، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المنفق والمتصدق كمثل رجل عليه جبتان أو جنتان من لدن ثديهما إلى تراقيهما، فإذا أراد المنفق أن يتصدق سبغت[1] عليه، وإذا أراد البخيل أن ينفق قلصت عليه وأخذت كل حلقة موضعها حتى تجن بنانه وتعفى أثره[2]."، فقال أبو هريرة ﷺ: يوسعها فلا تتسع"[3]

إن رمضان هو شهر الجود، وأفضل الجود وأكرمه هو الجود على المحتاجين؛ لأنه خالص من نوايا تبادل المصالح، والرد بالمثل كما يقع بين الأغنياء، وفيه روح التكافل الاجتماعي الذي حثَّ عليه ديننا العظيم، والذي هو سفينة المجتمع في بحار الدنيا المتلاطمة الأمواج، فإن العطاء والجود والكرم في شهر رمضان هو باعث الأشواق في حياة الآخرين.

ومن فوائد الجود أنه دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، ودليل حسن الظن بالله ﷻ، وحب الناس له وقربهم منه، ورفعة مكانته في الآخرة وحب المولى ﷻ له، وقليل أعداؤه وحسَّاده، وحسن ثناء الناس عليه.[4]

ومن فوائد الكرم أنه من كمال الإيمان وحسن الإسلام، ودليل حسن الظن بالله ﷻ، والكرامة في الدنيا ورفع الذكر في الآخرة، والكريم محبوب من الخالق ﷻ وقريب من الخلق أجمعين، والكريم قليل الأعداء والخصوم لأن خيره منشور على العموم، والكريم نفعه متعدٍّ غير مقصور، وحسن ثناء الناس عليه، ودليل عراقة الأصل، ويبعث التكافل الاجتماعي والتوادِّ بين الناس، وهو صفة كمال الإنسان،

---

[1] سبغت: اتسعت.
[2] تجن بنانه وتعفى أثره: أي تمحو أثر مشيه بسبوغها وكمالها، وهذا للمتصدق، أما البخيل فلا تتسع له.
[3] رواه مسلم (2/ 708).
[4] نظرة النعيم (4/ 1513)

ودليل زهد الإنسان في الدنيا، وهو موافق للفطرة الصحيحة، والكرم يزيد البركة في الرزق والعمر.[1]

فجودوا بما جاد الله ﷻ عليكم في هذا الشهر الكريم، وكونوا من الكرماء في هذا الشهر، واجعلوه خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة الجود والكرم مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (8/ 3235)

مدرسة المحاسبة

إن محاسبة النّفس تعني تصفيتها وتنقيتها لتلقى الله ﷻ خاليةً من المعاصي والذنوب، ولا بد لكل مسلم من تخصيص وقتٍ يوميٍّ يختلي فيه ليحاسب نفسه عمّا بدرَ منها في ذلك اليوم من أعمال، فإن كانت أعمالاً صالحةً تابعها وأكثرَ منها في الأيّام القادمة، وإن كانت أعمالاً سيّئةً وهدراً للأوقات وبّخها عليها وتاب إلى الله ﷻ واستغفره وعاهده ألا يرجع إليها ثانيةً؛ لأنّ إهمال متابعتها سيؤدّي إلى تمادي النّفس في الآثام.

وسائل تعين على محاسبة النّفس:

1. الاستعانة بالله ﷻ ودعاؤه.
2. الإكثار من الذكر وتلاوة القرآن وقيام الليل والطاعات.
3. إدراك ثمرة محاسبة النّفس في الدنيا والآخرة والتفكير في العاقبة السيّئة في حال الغفلة.
4. مصاحبة الأخيار الذين يحرصون على محاسبة أنفسهم ليكونوا حافزاً في ذلك.
5. ترك رفقاء السوء.
6. الاطلاع على أهل المحاسبة من السلف الصالح.

أنواع محاسبة النّفس:

1. محاسبة النّفس قبل العمل:

أ. **النيّة:** ينظر العبد في العمل الصالح الذي سيقوم به، إن كان خالصاً لله ﷻ فعله، وإن كان من أجل الدنيا أو رضى البشر أعاد النظر فيه وصحّح نيّته، ثمّ فعله.

ب. التطبيق: ينظر الشخص في نوع العمل، إن كان صالحاً وفيه الخير أقبل عليه، وإن كان سيّئاً فيه غضب الله ﷻ أعرض عنه، بهذه المحاسبة يكون قد أنجى نفسه بعدم الوقوع في الخطأ.

2. محاسبة النّفس بعد العمل:

أ. محاسبة النّفس على التقصير في الطاعات:

كالالتزام بالأوراد اليوميّة من تلاوة القرآن الكريم، وذكر الله ﷻ، وأداء صلاة السنن الرواتب، ومعاهدة النّفس بالإخلاص وعمل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومتابعة الجوارح وأفعالها كاللسان والعين والأذن، وضبطها في الخير.

ب. محاسبة على كل عمل كانَ تركُهُ خيراً من فعله:

أي كل عمل يرتاب العبد منه ويشعر أنّ فيه شبهة، فهذا تركه خيرٌ من فعلِه وفيه ضمان بالبعد عمّا يغضب الله ﷻ.

ج. المحاسبة على النيّة في المباحات:

يحاسب العبد على نيته في الأمور التي اعتاد أن يفعلها، أفعلها من أجل إرضاء الله ﷻ، أم لغرض دنيوي يُخسِره الأجر والثواب؟ فيحاول تصحيح نيّته وغايته.

فهيا أخي الحبيب.. يا من فرَّطْتَ وضيَّعتَ!

حاسب نفسك وقل لها: إلى متى التفريط والتضييع والتقصير، حاسب نفسك واعلم أن محاسبة النفس هي طريق السالكين إلى ربهم ﷻ، وزاد المؤمنين في آخرتهم، ورأس مال الفائزين في دنياهم ومعادهم، فما نجا من نجا يوم القيامة إلا بمحاسبة النفس ومخالفة الهوى، فمَن حاسب نفسه قبل أن يحاسب، خفَّ في القيامة حسابه،

وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراتُه، وطالت في عرصات القيامة وقفاتُه، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاتُه.

ولقد حثنا ربُّنا ﷻ على محاسبة النفس، فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ الحشر: ١٨

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :﴿ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ ؛ "أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وانظروا ماذا ادَّخَرْتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ﷻ!"[1]

قال ابن القيم رحمه الله: "فإذا كان العبد مسؤولاً ومُحاسَبًا على كل شيء حتى على سمعه وبصره وقلبه، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ الإسراء: ٣٦، فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب."[2]

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبوا، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تُعرضُون لا تخفى منكم خافية."[3]

فهيا، هيا أخي! قِف مِن نفسك وقفةَ صِدق وقل لها:

يا نفس، كيف أنتِ مني غدًا؟! وقد رأيتِ ركابَ أهل الجَنَّة يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم.

---

[1] تفسير ابن كثير (8/ 77).
[2] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 84).
[3] مصنف ابن أبي شيبة (7/ 96)، محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص 22, حفظ العمر لابن الجوزي ص34.

كيف بكِ وقد حيل بينك وبينهم؟!

هل سينفع الندم؟! هل ستغني الحسرات؟! أم هل سينفع طلب الرجوع بعد الممات؟!

ويحك يا نفس.. تنشغلين بعِمارة دنياك مع كثرة خطاياكِ، كأنَّك من المخلَّدين، أما تَنظُرين إلى أهل القبور، كيف جمعوا كثيرًا فصار جمعهم بورًا؟! وكيف أمَّلوا بعيدًا فصار أملُهم زُورًا، وكيف بنوا مشيدًا فصار بنيانهم قبورًا!!

ويحك يا نفس.. أما لكِ بهم عبرة، أما لكِ إليهم نظرة؟!

أتظُنِّين أنهم دُعوا إلى الآخرة، وأنتِ من المخلَّدين؟!

هيهات.. هيهات!! ساء ما تتوهمين، ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك.

ويحك يا نفس.. تُعرضين عن الآخرة وهي مُقبلة عليك، وتُقبلين على الدنيا وهي فارَّة مُعرِضةٌ عنكِ!!

فكم من مُستقبِل يومًا لا يَستكمله! وكم من مُؤمِّل لغدٍ لا يبلغه؟!

ويحكِ يا نفس.. ما أعظمَ جهلَكِ! أما تعرفين أن بين يديك جنة أو نارًا، وأنت سائرة إلى أحدهما؟!

فما لك تمرحين وتفرحين، وباللهو تنشغلين، وأنت مطلوبة لهذا الأمر الجسيم؟!

عساك اليوم أو غدًا بالموت تُخْتطفين .

ويحك يا نفس.. أراكِ تَرَيْن الموتَ بعيدًا، والله ﷻ يراه قريبًا، فما لك لا تستعدين للموت وهو أقرب إليكِ من كل قريب؟ أما تتدبرين؟!

يا نفس.. انظري واعتبري بمن سكن القبور بعد القصور، واعلمي أن الفرصة واحدة لا تتكرر، فإذا جاءت السكرة فلا رجعة ولا عودة.

فأنت في دار المهلة، فجاهدي قبل النقلة، قبل أن تقولي: ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠

يا نفس توبي قبل أن تقولي: ﴿ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ الشورى: ٤٤

يا نفس توبي قبل أن تقولي: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الزمر: ٥٦

فهيا.. هيا أخي الحبيب.. بادر إلى التوبة والأوبة.

يقول يحيي بن أبي كثير: كان أبو بكر ﷺ يقول في خطبته: "أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم، الذين كانوا لا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا في ظلمة القبور، الوحا.. الوحا[1].. النجا.. النجا[2]" [3]

هلمُّوا.. وأقبِلوا على الله ﷻ.. فإن الله ﷻ يُناديكم ويقول لكم: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣، وهو القائل ﷻ: "يا ابنَ آدم، إنك ما دعوتني ورَجَوتني، غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغَتْ

---

[1] الوحا: السرعة.

[2] النجا: النجاءك النجاءك ويقصران: أي أسرع أسرع

[3] أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ص156, المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (4/ 69).

ذنوبُك عنانَ السماء ثم استغفرتني، غفرتُ لك ولا أُبالي، يا ابن آدم، لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقِيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقُرابها مغفرة."[1]

فهيا.. هيا.. توبوا إلى الله ﷻ جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

فمَن تاب وأناب ورجع إلى ربه ﷻ واستقام، واستكثر من الحسنات، نجا من هذه الأهوال وتلكم الكُربات، ورزقه جنة عرضها السماوات والأرض.

يُروى أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه دخل على القبور ذات يوم فقال: "يا أهل القبور، حدِّثونا أخبارَكم، نحدثكم أخبارَنا، ثم قال: أمَّا أخبارنا فإن نساءكم قد تزوجت، وإن أموالكم قد قُسمت، وإن أولادكم قد حشروا في زمرة اليتامى والمساكين، وإن ما شيَّدتُموه وبنيتُمُوه قد سكنه غيركم، فما هي أخباركم؟ ثم أطرق ساعة فقال: كأني بكم لو تكلمتم لقلتم: قد تخرَّقت الأكفانُ، وبليت الأجسادُ، وسالت الحِدقُ على الوَجَنَات، وامتلأت الأفواه بالصديد، ورتع الدود والهوام في هذه الأجساد النضرة، وكأني بكم لو تكلمتم لقلتم :﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧ [2]

قال عمر بن ذر رحمه الله في مواعظه: "لو علم أهل العافية ما تضمَّنته القبورُ من الأجساد البالية، لَجَدُّوا واجتهدوا في أيامهم الخالية؛ خوفًا ليوم تتقلب فيه القلوب والأبصار."[3]

---

[1] سنن الترمذي (5/ 548).
[2] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ص 207.، تاريخ دمشق لابن عساكر (27/ 395).
[3] أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ص 156.

ومحاسبة النفس من الأمور التي ينبغي أن يحرِصَ عليها العبد المؤمن؛ لئلا تنطلق بهواها كيفما شاءت، فإن حاسَب نفسه اكتشف وجهَ القصور الذي قصَّره تجاه خالقِه ﷻ والناس، فيتوقف عن مواصلة هذا التقصير، ثم يتخلص منه عن طريق التوبة، وطاعة الله ﷻ، وإعطاء الناس حقوقَهم، والمحاسبة كذلك تكشف للمسلم حصَّته من الطاعة التي قام بها، فيشكر الله ﷻ ويحمده بأن وفَّقه إليها، فيعاودها ثانية وثالثة ورابعة.

قال ميمون بن مِهران رضي الله عنه: "لا يكون العبد من المتَّقين حتى يحاسب نفسَه أشدَّ من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل."[1]

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: "المؤمن قوَّام على نفسِه يحاسبها لله ﷻ، وإنما خفَّ الحساب على قومٍ حاسَبوا أنفسهم في الدنيا، وشقَّ الحساب على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة."[2]

وقال مالك بن دينار رضي الله عنه: "رحِم الله عبدًا قال لنفسه: ألستِ صاحبة كذا؟ ثم ذمها ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله ﷻ فكان لها قائدًا."[3]

اهتمام السلف بالمحاسبة:

عُرف عن الصحابة والسلف رضي الله عنهم أنهم كانوا مع استقامتِهم ووقوفهم عند حدود الله ﷻ يتَّهمون أنفسهم ويشعرون دومًا بالتقصير.

---

[1] إحياء علوم الدين (4/ 404)، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (1/ 190)، موارد الظمآن لدروس الزمان (3/ 251).
[2] إحياء علوم الدين (4/ 404)، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (1/ 190)، موارد الظمآن لدروس الزمان (3/ 252)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (2/ 122).
[3] إحياء علوم الدين (4/ 405)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (2/ 117)، البصائر والذخائر (3/ 16)، محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص 26, إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 79).

فهذا أبو بكر الصدِّيق ﷺ يدخلُ عليه عمر بن الخطاب ﷺ يومًا، وهو يجبذ لسانه فيقول له: "مه[1] غفر الله لك! فيردُّ عليه أبو بكر ﷺ قائلًا: إن هذا أوردني الموارِدُ!"[2]

وهذا أبو الدرداء ﷺ يصيبه المرض ويدخل عليه أصحابه ليعودوه ويقولوا له: أي شيء تشتكي؟ فيقول: "ذنوبي، فيقولون: فما تشتهي؟ فيقول: الجنة."[3]

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ وكانت رأسه في حجر ولده عبد الله ﷺ في مرض الموت، فيقول لابنه: "ضعه لا أمَّ لك، ويلي وويل أم عمر إن لم يغفر لي ربي."[4]

وقد قيل للأحنف ﷺ: إنك كبير والصوم يُضعفك، فقال: "إني أعدُّه لسفر طويل، وكان ﷺ يضع إصبعه على المصباح ثم يقول: حس، ما حملك على أن صنعت كذا يوم كذا."[5]

منهج محاسبة النفس:

إن العبد المسلم التقيَّ يخصِّص لنفسه وقتًا في آخر النهار يحاسِبُ فيه نفسه على جميع حركاته وسكناته، فيحاسبها بدايةً على الفرائض، فإن أدَّاها على وجهها، شكر الله ﷻ، وإن فوَّتها من أصلها، طالَبَ نفسه بالقضاء، وإن أدَّاها ناقصة، كلَّفها الجبرانَ بالنوافل، وإن ارتكب معصية، اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط، كما عليه أن يحاسب نفسه على خواطره وأفكاره، وقيامه وقعوده، وأكله وشربه ونومه، وهل نوى بذلك كلِّه وجهَ الله ﷻ أم

---

[1] مه: أي اكفف عما تفعله.

[2] موطأ مالك (2/ 988)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 33)، إتحاف المهرة لابن حجر (8/ 204)، مشكاة المصابيح (3/ 1365)، صحيح الترغيب والترهيب (3/ 94)، سير السف الصالحين لإسماعيل الأصبهاني ص22.

[3] مصنف ابن أبي شيبة (7/ 111)، عيون الأخبار (3/ 58).

[4] مصنف ابن أبي شيبة (7/ 98)، أنساب الأشراف للبلاذري (10/ 429).

[5] المجالسة وجواهر العلم (7/ 355)، سير أعلام النبلاء (5/ 43).

الدنيا؟ وليحاسب النفس على جميع العمر يومًا يومًا، وساعةً وساعةً، في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة.

وبعد هذه المحاسبة تأتي التوبة؛ لأن المسلمَ إذا حاسَب نفسه، عرَف ما عليه من الحق فخرج منه، والأصل أن التوبة تكون بين محاسبتين: محاسبة قبلها تقتضي وجوبها، ومحاسبة بعدها تقتضي حفظها.

فإن العبد المسلِم التقيَّ المشفق من عذاب الله ﷻ يحاسب نفسه دومًا، ويتوب إلى الله ﷻ توبة نصوحًا، فإنه بتلك المحاسبة ينجو من عذاب الله ﷻ وغضبه، ويفوز برحمته وغفرانه، وبتلك التوبة يظفر بحب الله ﷻ وجنته، ويمسحُ بها أدران معاصيه وذنوبه، **قال الفضيل بن عياض** رحمه الله: "المؤمن يحاسب نفسه، ويعلم أن له موقفاً بين يدي الله ﷻ، والمنافق يغفل عن نفسه، فرحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول ملك الموت به."[1]

فرمضان شهر الغفران، فهل حاسبت نفسك من الآن ما أنت صانع فيه؟؟جدير بك أن تحاسب نفسك في سرِّك، وأن تتفكر في سرعة انقضاء شهرك، بل وفي تصرّم أيام عمرك، وأن تعمل بكل جدٍّ في زمان فراغك وصحتك لوقت حاجتك وشدّتك.

فقد منَّ الله ﷻ عليك حتى أدركت رمضان هذا..

فيا تُرى ماذا ستقدم فيه من الصالحات؟؟

وأين مكانك في مضمار السباق إلى الخيرات؟؟

[1] تاريخ بغداد (4/ 406)، تاريخ دمشق لابن عساكر (48/ 424).

وأين مكانك وقد ناداك رب الأرض والسموات إلى هذا السباق وحثَّك عليه فقال ﷻ: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ الحديد: ٢١

ودعاك إلى المسارعة إلى مغفرته فقال ﷻ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣

هل سبق لك أن حاسبت نفسك محاسبة صادقة بين يدي كل رمضان مرَّ عليك؟!

قال عامر بن عبد قيس رضي الله عنه: "رأيتُ نفراً من أصحاب النبي ﷺ وصحبتهم فحدثونا أن أصفى الناس إيماناً يوم القيامة أشدُّهم محاسبة لنفسه في الدنيا."[1]

فحاسب نفسك بين يدي صومك، ليصفو لك شهرك، ولتكون صائماً حقاً، ولكيلا يمضي رمضان من بين يديك دون أيِّ نفع، تشاهد أيامه ولياليه تمرُّ سراعاً، وأنت كالمشدوه لا تدري ما تفعل، ولا تنتبه إلا وقد فجأك العيد أو قل فجأك الموت!!

فإذا كان المرء حريصاً على طلب المغفرة، فلا ينبغي أن يمضي عليه من رمضان الأسبوع وراء الأسبوع، والمؤمنون المتقون لا يحاسبون أنفسهم قبل أن تنفلت أيامهم، وينقضي شرهم ولم يحصلوا فيه شيئاً، فالمحاسبة من أهم الواجبات التي تعين المرء على استقامة السير في طريق الله ﷻ، والمحاسبة مطوبة اليوم قبل الغد فبادر من الآن..

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (2/ 93).

فيجب عليك محاسبة نفسك محاسبة صادقة وشديدة ولك ساعات لا تغفل عنها وذلك الذي نبهنا إليه **وهب بن منبه** ﷺ حيث قال: "حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلى فيها بين نفسه ولذاتها فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات وإجماماً للقلوب."[1]

أن محاسبة النفس هي طريق السالكين إلى ربهم ﷻ، وزاد المؤمنين في آخرتهم، ورأس مال الفائزين في دنياهم ومعادهم.

فما نجا من نجا يوم القيامة إلا بمحاسبة النفس ومخالفة الهوى، **قال الحسن البصري** ﷺ: "من حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في يوم القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته، وأكيس الناس من دان نفسه وحاسبها وعاتبها وعمل لما بعد الموت واشتغل بعيوبه وإصلاحها."[2]

ينبغي للعاقل أن يكون له في يومه ساعة يحاسب فيها نفسه كما يحاسب الشريك شريكه في شئون الدنيا، فكيف لا يحاسب الإنسان نفسه في سعادة الأبد وشقاوة

---

[1] الخطب والمواعظ لأبي عبيد ص 140, العقل وفضله لابن أبي الدنيا ص 38, فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (5/ 409).

[2] إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 394).

الأبد، **قال ميمون بن مهران** ﷺ: "لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه."[1]

وإن في محاسبة النفس لربح عظيم يجعلك من سكنى الفردوس والناظرين إلى وجه الله ﷻ، وخسارتها دخول النار، والحجاب عن الله ﷻ، فإذا تيقنت هذا هان عليك الحساب، **قال إبراهيم التيمي** ﷺ: "مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها، فقلت لنفسي: أي نفس أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا، فأعمل صالحاً، قال: قلت: فأنت في الأمنين فاعملي."[2]

وإن رمضان من أعظم الفرص لمحاسبة النفس، ولفتح كشوفات حساباتنا، وعرضها، وتصفيتها وإعادة بنائها من جديد، فكم نحن بحاجة في هذا الشهر إلى إعادة النظر في أنفسنا وتذيبها ومحاسبتها محاسبة صادقة وشديدة.

ومن فوائد محاسبة النفس تحقيق السعادة في الدارين، وتثمر محبة الله ﷻ ورضوانه، ودليل على صلاح الإنسان، والبعد عن مزالق الشيطان، ودليل على الخوف من الله ﷻ ومن خاف من الله ﷻ بلغ المنزلة.[3]

فالبدارَ البدارَ أيها العبد إلى المحاسبة والتوبة، تغسل بهما دنس إثمك، وتمحو بهما ران غفلاتك.

وأخيرًا أيها الأحِبَّةُ.. لا بد أن نعلم جميعًا: أن العبدَ له ربٌّ هو مُلاقيه، وبيتٌ

---

[1] إحياء علوم الدين (4/ 404)، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (1/ 190)، موارد الظمآن لدروس الزمان (3/ 251).
[2] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (6/ 305)، إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 405)، صفة الصفوة (2/ 52)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (2/ 123)، مجموع رسائل ابن رجب (4/ 133).
[3] نظرة النعيم (8/ 3324).

هو ساكنه، فعليه أن يَسترضي ربَّه ﷻ قبل أن يلقاه، وعليه أن يُعمِّر بيته قبل أن ينتقل إليه.

يا نفس...

تدبري أمرك وتأملي، ومثلي بين ما يبقى وما يفنى ولا تعجلي، لقد ضللت طريق الهدى فقفي واسألي، وآثرت وهناً لا تفعلي، يا غمرة في الشقاء ما أراها تنجلي، أتبع الهوى والهوى علي وليس لي، أريد حياة نفسي ونفسي تريد مقتلي، يا جسداً قد بلى بما قد بلى."[1]

فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا في هذا الشهر الكريم، وكونوا من المحاسبين والمعاتبين لأنفسكم في هذا الشهر، واجعلوها خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة المحاسبة مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] المدهش لابن الجوزي ص 154.

مـدرسـة الـمجـاهـدة

من المعلوم في شريعتنا الإسلامية أن مجال الجهاد لا يقتصر على التضحيةِ بالنفس في سبيل الله ﷻ فقط، بل هو يتعدى إلى أكثر من ذلك، فيصل إلى مجاهدة النفس، حيث يقول الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٩

إن النفس البشرية تحب الخلود إلى الراحة والاسترخاء، والإنسان أيضاً في صراعٍ دائمٍ مع نفسه، مرة تنتصر عليه، ومرة ينتصر عليها، ويبقى هذا الصراع إلى أن يأتي أجله، لكن السؤال الآن هو كيف أجاهد نفسي؟ كيف أنتصر على نفسي؟

ومن أهم الأسس التي تساعد الإنسان المسلم في الانتصار على نفسه أن يكون القلب حياً، صافياً، وجلاً، كما شبه الله ﷻ المؤمنين بأروع الصفات، حيث قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢، وأن يكون عقل المسلم واعياً مستبصراً، يقرأ في شتى العلوم التي بها يتقرب من الله ﷻ، ويدرك عظمته التي لا تصفها الكلمات، فالعبد المسلم يستطيع أن يروض نفسه، وألا يخلد إلى هواه، فهو قادر على أن يتغلب على الشيطان، وعلى ملذات الدنيا، إذا استعان بالله ﷻ وحده، وأخلص نيته إليه، فينصره الله ﷻ على كل من عاداه، وبذلك يستطيع مواصلة طريقه، وينجح في الدارين الأولى والآخرة.

تعتبر مجاهدة النفس مهمةً جداً، بل هي قبل جهاد أعداء الله ﷻ، فهل ينصر الله ﷻ جيش المسلمين على الأعداء، إذا كان في صف المسلمين الأنفس المريضة بالمعاصي، والمليئة بالذنوب، فتحوي عصاة ومذنبين وفسقة؟

وهنا تأتي الإجابة عن سؤال متى سوف ينصرنا الله ﷻ؟

والله ﷻ يرد بالإجابة الدامغة، والحقيقة التي لا تتغير مهما تغيرت الأحوال والأزمنة والقوى العظمى في العالم، حيث يقول ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ محمد: ٧، فيجب أن ننصر الله ﷻ بأفعالنا وأقوالنا، ولا يتم ذلك إلّا عن طريق مجاهدة النفس وتزكيتها، وتربيتها على الفضائل والأعمال الصالحة؛ لأنّها رأس كل أمرٍ وكل طاعةٍ، وكل فعل يزيد وينقص عند كل فرد مسلم من أفراد المجتمع الإسلامي، وهنا يسأل العبد المسلم، هل سأبقى طيلة حياتي مجاهداً لنفسي، وأبقى في هذا الكدح والتعب؟

سوف أضرب لك مثالاً بسيطاً من واقع حياتنا التي نعيشها، عندما يسعى الإنسان إلى هدف دنيوي ما، فإنه يقدم كل ما يملك من وقتٍ ومالٍ وجهدٍ كبيرٍ في سبيل هدفه، يسعى هنا وهناك، يسقط مرة ثم يقوم مرة أخرى، ثم تجده لا يسأل سؤالك هذا، هل تعلم لماذا؟ لأنه وبكل بساطة، يعيش من أجل هذا الهدف! لكن ماذا عن الهدف الأعظم، هدف رضى الله ﷻ، هدف جنة عرضها السماوات والأرض، ألا تستحق منّا الكدح والتعب في سبيلها؟ فكل العظماء يدركون أن النعيم لا يدرك بالنعيم، والمشقة هي عنوان السعادة، فاصبر واحتسب الأجر عند الله ﷻ، واعمل

خيراً تلقَ خيراً، واجتهد قليلاً في هذه الدنيا تلقَ سعادة حقيقية أبدية في جنة الخالق ﷻ.

أنت مكلّف شرعاً بتأدية الطاعات واجتناب المحرمات، لذلك، استقم كما أمرك الله ﷻ، وسدد وقارب ولا تيأس، لذلك التربية الذاتية للشخص مهمة جداً، فهي تجعل الشخص دائماً مراقباً من قبل الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾

الزلزلة: ٧ ـ ٨

إنّ الله ﷻ قد خلقك وركب فيك دافع الخير ودافع الشر، وأراك طريقين: طريق الخير الذي يسلكه عباد الله المخلصون، وطريق الشر الذي يعبره اتباع الشيطان، وهناك طريق مستقيم يؤدي إلى كل خير، وطريق متعرج شائك يؤدي إلى التخبط والضياع، وسبيل الوصول إلى النجاة أخلص النية لله ﷻ، وكن صادقاً معه، فقم بأداء الطاعات على أكمل وجه، واجعل عزيمتك قوية للنهوض إلى كلِ عملٍ تبتغي فيه وجه الله ﷻ، وتزكية النفس ليست بسيطة، وهي أصعب من علاج الأبدان، وطريق العبد المسلم في ذلك يكون باتّباع سنة الرسول ﷺ وكتاب الله ﷻ، وحاسب نفسك على كل تقصير في حق الله ﷻ.

إن مجاهدة النفس هي حملها على اتباع أوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه وإذا قوى على ذلك قوى على جهاد أعداء الدين، **قال المناوي**: "المجاهدة حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى، وقيل: هي بذل المستطاع في أمر المطاع الله ﷻ."[1]

[1] التوقيف على مهمات التعاريف ص297.

وقال القشيري: "أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات وحملها على غير هواها."[1]

إن المجاهدة طريق الهداية، **قال الإمام الغزالي**: "فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها." [2]، **وقال صاحب الظلال**: "فالمسلم عندما يؤمر بالمجاهدة لا يعني ذلك أن يبذل فوق طاقته وأن يتحمل أكثر مما يقدر عليه وإنما هو ضبط النفس والتحكم فيها لتسير في طريق صلاحها وسعادتها وتعتصم بحبل ربها ﷻ."[3]

وقال ﷺ: " المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب."[4]، وقال ﷺ أيضاً: "أفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله."[5]

سأل رجل عبد الله بن عمر ﷺ عن الجهاد؟ فقال: ابدأ بنفسك فجاهدها."[6]

المثل الأعلى في مجاهدة النفس:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: " كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه فقلت: يا رسول الله هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً."[7]

وعن ابن مسعود ﷺ قال: صليت مع النبي ﷺ ليلة فلم يزل قائماً حتى هممت[8] بأمر سوء[9]، قلنا: وما هممت؟ قال: أن أقعد وأذر النبي ﷺ."[10][11]

---

[1] فتح الباري لابن حجر (11/ 338).
[2] إحياء علوم الدين (1/ 39).
[3] في ظلال القرآن ( )
[4] مسند أحمد (39/ 381)، صحيح ابن حبان (11/ 203)، المعجم الكبير للطبراني (18/ 309).
[5] المعجم الكبير للطبراني (13/ 596).
[6] محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص 97, جامع العلوم والحكم (1/ 489)، الزهد الكبير للبيهقي ص 162, دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ ص 252.
[7] رواه مسلم (4/ 2172).
[8] هممت: عزمت وقصدت.
[9] بأمر سوء: مخالفة للأدب.
[10] أقعده وأذر النبيﷺ: أتركه قائماً وأصلي معه قاعداً.
[11] رواه البخاري (2/ 51).

مجاهدة النفس، لماذا؟

لأن غايتك وهدفك هو الوصولُ إلى جنة الخلد ونعيمِها؛ ولأنك المسؤول عن تقويم وتهذيب نفسك، خلَق الله ﷻ لك عقلًا، وميَّزك بالفكر والإمكانيات الذهنية المتعددة، إنها إرادتك ومسؤوليتك أن تحاسب نفسك، قال ﷻ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس: ٧ - ١٠

مجاهدة النفس من ماذا؟

مِن كل المتسبِّبات في إلحاق الضرر بها، على سبيل المثال: الحسد، الغَيرة، الطمع، الكِبر، اتِّباع الهوى، سُوء الظن بالله ﷻ، وسُوء الظن بالناس، آفات اللسان بصورِها المتعددة؛ كالغِيبة والنَّميمة والكذب وغيرها .

بعض النقاط المهمة التي تعينك على مجاهدة النفس:

1. إخلاص النية لله ﷻ:

أن تكون نيتُك دائمًا خالصة لله ﷻ في جميع أُمور حياتِك وعَلاقاتك بالآخرين؛ فإنك تُسامِح الناس لأنك تَسْعى نحو مغفرةِ الله ﷻ وعفوه عنك، وأن يرحمك برحمته التي وَسِعت كل شيء.

تربيةُ أبنائك على عبادة وتَقْوَى الله ﷻ والأخلاق والقيم الحميدة، ونيتُك خالصة لله ﷻ، فتأمل أن يعينك الله ﷻ حتى يكون أبناؤك من الصالحين، وأن يَدْعُوا لك بعد موتك.

لا تتعلَّق بالآخرين، واجعَلْ قلبك متعلقًا بالله ﷻ، مشغولًا به وبالتفكير في الطرق التي تقربك إليه.

2. الاقتراب من الله ﷻ:

لقد أنعم الله ﷻ علينا بنِعَمٍ لا تُعد ولا تُحصى، وأمرنا بعبادته وطاعته، والقربُ مِنه، فتقرب إلى الله ﷻ بالطاعات والنوافل، قال رسول الله ﷺ: يقو الله ﷻ: "ما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته"[1]

3.العلم:

المؤمن مكلَّفٌ شرعًا بأن يُفكِّر ويتعلَّم العلم الصالح من كتابِ الله ﷻ وسُنَّة رسولِه ﷺ، وقصص الأنبياء والصحابة، وأن يتحرَّى دقة المعلومات الواردة، وأن يعتمد على الكتب الموثوق في مصادرها وصحتها.

4. الصحبة الصالحة:

ابحث عمَّن يزيد همتك ويقوّيك، مَن يتعاون معك على البر والتقوى، قال الله ﷻ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزخرف:

[1] رواه البخاري (8/ 105).

٦٧، المتّقون هم الذين تحابُّوا في الله ﷻ، وكانت نيتهم خالصةً لإرضاء الله ﷻ وطاعته وعبادته حق العبادة.

5. أعمال الخير والصدقات:

تأمل هذه الآية الكريمة :﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨ ، مثقال ذَرَّة الخيرِ يُحاسِبك الله ﷻ عليها، وتذكَّر أن الله ﷻ يُضاعف لمن يشاء، الابتسامة صدقةٌ، ردُّ التحية والسلام، تخفيف كُرْبةِ أحدٍ ومساعدته، عون أخيك، إنها أشياء يسيرة، ولكن منزلتها عند الله ﷻ عظيمة.

وجهاد النّفس داخل في جهاد العدوّ، فإنّ الأعداء ثلاثة: رأسهم الشّيطان، ثمّ النّفس لأنّها تدعو إلى اللّذّات المفضية إلى الوقوع في الحرام الّذي يسخط الرّبّ ﷻ، والشّيطان هو المعين لها على ذلك ويزيّنه لها، فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه، فمجاهدة نفسه حملها على اتّباع أوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه.

وإذا قوي العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدّين، فالأوّل: الجهاد الباطن والثّاني: الجهاد الظّاهر.

وجهاد النّفس أربع مراتب: حملها على تعلّم أمور الدّين، ثمّ حملها على العمل بذلك، ثمّ حملها على تعليم من لا يعلم، ثمّ الدّعاء إلى توحيد الله ﷻ، وقتال من خالف دينه وجحد نعمه.

وأقوى المعين على جهاد النّفس جهاد الشّيطان بدفع ما يلقي إليه من الشّبهة والشّكّ، ثمّ تحسين ما نهي عنه من المحرّمات، ثمّ ما يفضي الإكثار منه إلى الوقوع في

الشّبهات، وتمام المجاهدة أن يكون متيقّظا لنفسه في جميع أحواله، فإنّه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيّات.

والمجاهدة من أبلغ الدروس التي نتعلمها من مدرسة رمضان، فالصائم طيلة شهر رمضان يكون في جهاد مع نفسه ومع هواه، ومع الشيطان.. يكابد الوساوس.. ويدافع النزوات.. ويغالب الخطرات السيئة حتى يكمل له ثواب الصيام، ويغتنم أجره أحسن اغتنام.

وهذه المجاهدة التي يقتضيها صوم رمضان من أجل الخصال الموجبة للثبات على الدين والهدى، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٩، لذلك فالصائم يجد ثمرتها العاجلة في نفسه ممثلة في سهولة قيامه بالعبادات؛ كذكر الله ﷻ، وقراءة القرآن، وأداء الفرائض والنوافل.. فكلما جاهد نفسه وجد لذلك ثمرة في قدرته على الطاعة.

وفي هذه الخصلة درس آخر يأخذ منه المؤمن الفطين عبرة وعظة، ليوظفه في حياته بعد رمضان.. فالنفس الأمارة بالسوء، والهوى والشيطان، ومغريات الدنيا وزينتها كل ذلك يقتضي منه مجاهدة صادقة، في رمضان وفي غيره، وما شهر رمضان إلا مدرسة، يجدد فيها المؤمن عزيمته على جهاد النفس، ويوطن فيها حزمه وقوته على الثبات، حتى إذا انصرم رمضان؛ استمر بجهاده وثباته يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه ﷻ، قال ﷻ: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ البلد: ٤

قال ابن كثير: "أي يكابد أمرًا من أمور الدنيا، وأمرًا من أمور الآخرة، وهذه المكابدة عامة في كل وقت من عمر الإنسان."[1]، وقال رسول الله ﷺ: "أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله ﷻ."[2]

فليعلم أهل الإيمان أنه ليس هناك طريق أمامهم في هذه الأيام العظيمة إلا طريق المجاهدة، وأن يعزموا العزم الأكيد على أن تكون هذه الأيام الكريمة فاصلاً بين عهد الضعف والتكاسل وبين ما ينبغي أن يكون عليه من المجاهدة وطلب الآخرة كما قال ﷻ: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج: ٧٨، وأن يعلموا أن هذه المجاهدة هي الطريق الموصلة للمغفرة والعتق من النار، وهي الطريق الموصلة للجنة ولنصر دين الله ﷻ ورفع رايته.

فلابد أن يكون شعار أهل الإيمان في هذه الأيام العظيمة والكريمة **"ليرين الله ما أصنع"**، سأفعل ما يكون سبباً لأن يرضى الله ﷻ عني، وأن يكون له القيمة والزلفى عند الله ﷻ، فطريق المجاهدة هو الطريق الذي يُرى فيه ربه ﷻ الوفاء بالعهد، ويُرى فيه ربه ﷻ بذله ماله ووقته وجهده لربه ﷻ، ويُرى به ربه ﷻ أنه يُعظم المغفرة، ويُعظم الرب ﷻ، ويقبل عليه، ويحبه، ويؤثر ما عند الله ﷻ على الزائل الفاني.

فالعاقل يستغل هذه الأيام القليلة ليحصل فيها سعادة الأبد عند الله ﷻ وليتحمل فيها مشقة الطاعة حتى يستريح الأبد عند الله ﷻ.

---

[1] تفسير ابن كثير (8/ 393).
[2] المعجم الكبير للطبراني (13/ 596).

ومن فوائد مجاهدة النفس إخضاع النّفس والهوى لطاعة الله ﷻ، وإبعادها عن الشّهوات وصدّ القلب عن التّمنّي والتّشهّي، وتعوّد الصّبر عند الشّدائد على الطّاعات وعن المعاصي، وطريق قويم يوصّل إلى رضوان الله ﷻ والجنّة، وقمع للشّيطان ووساوسه، ونهي النّفس عن الهوى فيه خير الدّنيا والآخرة، ومن جاهد نفسه وأدّبها سما بين أقرانه وفي مجتمعه، وسوء الظّنّ بالنّفس يعين على محاسبتها، وتأديبها، ومن يجاهد نفسه يمتلك ناصية الخير ويصبح حسن الأخلاق، وتحقّق إنكار الذّات وتصفّي الجماعة من الأثرة الضّارة بالجماعة والمجتمع.[1]

فجاهدوا أنفسكم قبل أن تعرضوا على ربكم ﷻ في هذا الشهر الكريم، وكونوا من المجاهدين لأنفسكم في هذا الشهر، واجعلوها خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة المجاهدة مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (8/ 3316)

مـدرسـة المـراقـبـة

المراقبةُ عِلمُ القلب بقربِ الرب ﷻ، فعلم العبد بمراقبة الله ﷻ له واطلاعه عليه ونظره إليه هو أعظم ما يعينه على مقاومة هذه الآفة الخطيرة، وكلما ازداد العبد يقينًا وتذكرًا لاطلاع الله ﷻ على حركاته وسكناته، ازداد أمله في الوقاية من هذا المرض العضال وفي العلاج منه إن كان وقع فيه.

فليتذكر العبد أن الله ﷻ ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ غافر: ١٩، وأن أعضاءه ستشهد عليه يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ فصلت: ٢٠ - ٢١

وعن أنس ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ فضحك فقال: "هل تدرون مما أضحك؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: من مخاطبة العبد ربه، فيقول: يا رب ألم تُجرني من الظلم؟ فيقول رب العزة: بلى. فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني. فيقول رب العزة: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول لأعضائه: بعدًا وسحقًا لَكُنَّ، فعنكنَّ كنت أناضل."[1]

[1] صحيح ابن حبان (16/ 358).

والمراقبة تورث الاستحياء من الله ﷻ حق الحياء، ليعمل العبد بوصية النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: "اتق الله حيثما كنت."[1]، ومراده اتق الله ﷻ في السر والعلانية وراقبه في سرك وفي خلوتك كما تراقبه في علانيتك مع الناس.

فإن مراقبة الله ﷻ في السر من الأعمال الجليلة التي تنشأ عن اتصاف المؤمن بكمال الإيمان وكمال النصح فكلما زاد إيمان العبد زادت مراقبته لله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠

وهذا العمل الجليل ينفرد به خاصة أهل الإيمان الذين قدروا الله ﷻ حق قدره وعظموه حق التعظيم وشاهدوا بقلوبهم قدرة الله ﷻ عليهم وإحاطته بهم ورؤيته لهم وعلمه بحالهم وشدة عذابه ووعيده في الآخرة واستحضروا معية الله ﷻ لهم في كل الأحوال، قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الحديد: ٤، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١، وإذا أوقن العبد أن الله ﷻ مطلع على سائر أحواله لا يخفى عليه شيء من حاله يعلم سريرته كما يعلم علانيته ولا يحجزه ساتر أو مانع من رؤيته مهما استخفى عنه أوجب له ذلك مراقبة الله ﷻ في السر وخشيته كمال الخشية كما فعل النبي يوسف عليه السلام حين روادته امرأة العزيز في كمال غناها وجمالها وهو غلام عندها وفي سن الشهوة وخلوتهما محكمة بلا رقيب وهو تحت الوعيد والتهديد فامتنع وعصمه الله ﷻ من الفاحشة مع كثرة الدواعي والمهيجات لشدة مراقبته ربه ﷻ وقوة يقينه، قال ﷻ:

[1] مسند أحمد (35/ 284)، سنن الدارمي (3/ 1837)، سنن الترمذي (4/ 355)، المعجم الكبير للطبراني (20/ 145).

﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يوسف: ٢٣

ومراقبة العبد لله ﷻ حقيقتها أن يستحضر العبد مشاهدة الله ﷻ له في هذا الموقف وقربه له فينزجر عن فعل المعصية ويقبل على طاعة الله ﷻ ويتزين له بحسن العمل ظاهراً وباطناً كما يتزين المرء عند لقاء الأمير، والله ﷻ أجل وأعظم.

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله لرجل: "راقب الله ﷻ، فسأله عن تفسيرها فقال: كن أبداً كأنك ترى الله ﷻ."[1]

ومراقبة الله ﷻ في السر توجب للعبد الإخلاص والخلاص من الكبائر كما قال النبي ﷺ: "ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله."[2]

والنصح في العبادة كما قال رسول الله ﷺ: "إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قِبَل وجهه[3] فإن الله قِبَل وجهه[4] إذا صلى."[5]، وتورث القلب خشية وخشوعاً وبكاء كما قال ﷺ: "ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه."[6]، ومن قدر على معصية الله ﷻ في سره ثم راقب الله ﷻ فتركها خوفاً من الله ﷻ له ثواب عظيم وينفرج همه وينفس كربه كما في قصة صاحب الغار الذي خلا بابنة عمه وتمكن منها ثم قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقام وتركها وترك المال الذي أرادته خوفاً من الله ﷻ فانفرج الغار لعمله.

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 397).
[2] رواه البخاري (2/ 111)، رواه مسلم (2/ 715).
[3] قبل وجهه: أي الجهة التي عظمها.
[4] فإن الله قبل وجهه: أي إن قبلة الله مقابل وجهه فلا يقابل هذه الجهة بالبزاق لأن في إلقائه استخفافا لها عادة.
[5] رواه البخاري (1/ 90)، رواه مسلم (1/ 388).
[6] رواه البخاري (2/ 111)، رواه مسلم (2/ 715).

ومن راقب الله ﷻ في السر حسن عمله وعظم يقينه ووجد حلاوة الإيمان واطمأن قلبه وقذف الله ﷻ نوراً في قلبه وضياء في وجهه ووجد سعة في رزقه وبركة في أهله وألفة ومحبة فيما بينه وبين الخلق وانعكس ذلك على حياته بالتوفيق والرضا والسعادة.

وعبادة السر من أجل الطاعات؛ لأنها مبنية على حسن المراقبة لله ﷻ والإخلاص المحض واليقين التام وعدم التفات القلب للمخلوقين وثوابهم، ولذلك أثنى الله ﷻ على صدقة السر فقال ﷻ: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ البقرة: ٢٧١، وجاء في السبعة الذين يظلهم الله ﷻ يوم القيامة في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلّه: "رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه."[1]

ومما يحيي عمل المراقبة في قلب المؤمن أن يجتهد على التعرف على أسماء الله ﷻ وصفاته ليتصور عظمة الرب ﷻ وسعة علمه وسمعه وبصره وإحاطته بأحوال الخلق فيتولد عنده ويتجدد معنى الحياء والخوف والتعظيم والتوقير لله ﷻ.

وكذلك كثرة الذكر باللسان يشعر المؤمن بقرب الرب ﷻ ومراقبته، وكذلك التفكر في آيات الله ﷻ يشعر بقرب الرب ﷻ للعبد، ومما يزيد في المراقبة لله ﷻ العلم والتأمل في فضل وثواب الخشية والطاعة في الغيب والسر، وكذلك التفكر في شدة الحساب وأحوال الموقف بين يدي الرب ﷻ يوم الآخرة يوجب شدة المراقبة.

[1] رواه البخاري (2/ 111)، رواه مسلم (2/ 715).

ومما يقوي المراقبة زهد القلب في الدنيا وترك الترف وكثرة الملذات والإقبال على الطاعات واغتنام الأوقات بالأعمال الفاضلات.

وسريرة العبد لها أثر عظيم في صلاح علانيته فمن كان مصلحاً لسريرته صلحت علانيته ومن اعتنى بعلانيته وهجر سريرته كانت علانيته مظهراً أجوف كالجسد بلا روح وكانت ثمرتها ناقصة وخشي عليه من الانتكاسة؛ لأن إصلاح السريرة من أعظم أسباب الثبات على الإيمان، **قال ابن القيم** رحمه الله: "وأرباب الطريق مجمعون على أن مراقبة الله سبحانه وتعالى في الخواطر سبب لحفظها في حركات الظواهر، فمن راقب الله عز وجل في سره حفظه الله عز وجل في حركاته في سره وعلانيته."[1]، ولذلك من كان قلبه مدمن على دسيسة خبيثة راض بها فيُخشى أن تغلب عليه عند موته فيختم له بسوء ومن كانت له سريرة سوء أظهرها الله سبحانه وتعالى للخلق في الدنيا ولو بالغ في إخفائها عقوبة له وربما أخرها ثم فضحه على رؤوس الخلائق في الآخرة.

فمنزلة المراقبة منزلة ذاتُ أهميةٍ كبيرةٍ في طريق الإيمان؛ لأنَّ العبد إذا أيقنَ أنَّ الله عز وجل يُراقِبهُ استقامَ على أمره فَسَعِدَ في الدنيا والآخرة.

فشهر رمضان والصيام فيه مدرسةٌ عظيمةٌ تربي في المسلم خصلةً هي من أخطر الخصال التي يحتاجها كل فرد مسلم ذكراً كان أو أنثى حاجةً ماسةً في حياته؛ تلك الخصلة هي مراقبة الله عز وجل في السر والعلن، فالصائم بوسعه أن يدعي الصيام أمام الناس ثم هو يأكل ويشرب في الخفاء ولا يعلم بأمره إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن لأنه يراقب الله عز وجل لا يفعل؛ لأنه يتلوا كلام الله عز وجل وهو يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

[1] مدارج السالكين (2/ 66).

وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ

﴿٤﴾ الحديد: ٤، ولاشك أن معظم المسلمين الصائمين أن لم يكن جميعهم في هذه الخصلة سواء في رمضان.

لكن السؤال هل هذه الخصلة مراقبة الله ﷻ خاصة بالصيام فقط؟ وهل هي خاصة بشهر رمضان فقط؟ لا والله بل العبد في حاجة إليها في كل أحواله وأوقاته وهي علامة على صحة الإيمان وصدق العلم، **قال ابن الجوزي** رحمه الله: "الحق ﷻ أقرب إلى عبده من حبل الوريد، لكنه عامل العبد معاملةَ الغائب عنه البعيدِ."[1]

إذن بين المراقبة والصيام صلة وثيقة؛ ذلك أن الصيام يبنى على المراقبة، وترك المفطرات سِرٌّ لا يطلع عليه إلا الله ﷻ؛ فإن العبد قد يدَّعي الصيام، ويجلس مع الصائمين وهو مفطر، والناس يظنونه صائماً، ولا يعلم حقيقته إلا الله ﷻ.

لذا جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله ﷻ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي."[2]

إن الصائم يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجل الله ﷻ، وليس من أجل الناس؛ لخفاء أمره على الناس، واطلاع الله ﷻ على حاله، بخلاف كثير من الأعمال الصالحة الأخرى؛ فالمصلي قد يصلي من أجل الناس، وكذلك الحاج والمعتمر

[1] صيد الخاطر ص213.
[2] رواه مسلم (2/ 807).

والمتصدق إذا أظهر صدقته، وهكذا كثير من الأعمال الصالحة، ولا يعني ذلك أن الصيام لا يدخله الرياء.

ألا فاتقوا الله ربكم ﷻ، وحققوا المراقبة في صيامكم، راقبوا الله ﷻ في أسماعكم فلا تسمع حراماً، راقبوه في أبصاركم فلا تبصر حراماً، راقبوه في جوارحكم فلا تعمل حراماً، راقبوه في خطاكم فلا تمشوا إلى حرام، ولا تجلسوا في مجالس اللهو والباطل.

إن كثيراً من الصائمين يراقبون الله ﷻ في صيامهم من جهة الأكل والشرب وسائر المفطرات الحسية، ويشددون على أنفسهم في ذلك حتى تجدهم يسألون عن قطرة العين والأنف والأذن، وعن الغبار والدخان والطيب هل هي من المفطرات؟ ويجتنبونها احتياطاً لصومهم، ولكنهم لا يتقون الله ﷻ ولا يراقبونه فيما يخل بالصوم، أو يذهب أجره كالغيبة والنميمة والزور والبهتان، والنظر إلى المحرمات وسماعها وهذا من أعظم الخلل في فهم حقيقة الصوم، وهو من الحرمان العظيم؛ إذ حرموا أنفسهم مما أحل الله ﷻ لهم في غير الصيام، وأحلوا ما حرم الله ﷻ عليهم حال صيامهم وحال فطرهم.

فاحذروا خوارم الصيام، وراقبوا الله ﷻ في صومكم؛ فإنه لله ﷻ، والله ﷻ قد تولى الجزاء عليه، وهو الغني الكريم الذي يعطي العطاء الجزيل، فلا تحرموا أنفسكم عطاياه بشهوات تقارفونها في ليالي رمضان، تذهب حلاوتها ويبقى وزرها، واتقوا الله ﷻ في ليالي رمضان كما تتقونه في نهاره.

فإن رمضان يحدث ثورة في فكر الإنسان وفي فهم الإنسان وفي عمل الإنسان.. يحدث ثورة في الأمة التي لا تراقب ربها ﷻ لتعود مرة أخرى لتعيش معنى الإيمان

الحقيقي والإسلام الصحيح والارتباط القويم بربها ﷻ الذي فرض عليها الصيام ليقوم مسيرة حياتها، وليرفع به ذكرها، وليعلي به قدرها.. فهل من صائم.

من فوائد المراقبة الفوز بالجنة والنجاة من النار، والأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة، ودليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، وتثمر محبة الله ﷻ ورضاه، ودليل على حسن الخاتمة، ومظهر من مظاهر صلاح العبد واستقامته.[1]

فرقبوا الله في السر والعلن قبل أن تعرضوا على ربكم في هذا الشهر الكريم، وكونوا من المراقبين لله ﷻ ولأنفسكم في هذا الشهر، واجعلوها خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة المراقبة مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (8/ 3372).

مـدرسـة حـفـظ الـجـوارح

للصوم فوائد روحية ونفسية كثيرة منها أنه سبب لزرع تقوى الله ﷻ في القلوب وكف الجوارح عن المحرمات، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣

والصوم مدرسة نتعلم فيها الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، وقوة الإرادة وجهاد النفس والامتناع عن أهم رغبات الجسد وحاجاته الضرورية، ونتدرب على السلوك الحسن الذي يبعث على التقوى والإخلاص امتثالا لأمر الله ﷻ وتقرباً إليه، وفي الصوم يتعلم المسلم تهذيب النفس وحفظ الجوارح وتزكية الأخلاق، وتحلية القلب بالشفقة والرحمة، حيث يشعر الصائم في آخر النهار بألم الجوع ولهيب العطش، فيذكره ذلك بمعاناة الفقراء والمحرومين، ويدعوه للشفقة بهم ورحمتهم، وفي الصوم يكبح المرء جماح النفس عن أن تسترسل في الشهوات والملذات، حيث إن الصوم يقلل الشهوة ويضعفها، ويكسر حدتها، فينبغي للعبد أن يبالغ في حفظ جوارحه وحواسه حتى لا يقع في الشر والفساد والإثم والمنكر، ففي هذا الشهر ينادي مناد من قبل الحق ﷻ فيقول: "يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر"[1]

فلابد في الصوم من كف اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والفحش والهذيان، وكف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه، وكف البصر عن النظر إلى كل ما نهى الله ﷻ عنه، وكف بقية الجوارح عن ارتكاب المحرمات، وهذه غاية الصوم لعلكم تتقون، فالصائم يراقب الله ﷻ في جميع أعماله، فتتمثل عظمة الله ﷻ في قلبه،

[1] سنن ابن ملجه (1/ 526)، سنن الترمذي (3/ 57).

فيحجم عن فعل القبيح، وترتدع نفسه عن إتيان الشهوات، وأهون الصوم ترك الطعام والشراب، فالصيام يحفظ على المسلم جوارحه ومن حفظ الجوارح:

1. كف اللسان عن الأذى:

اللسان من نعم الله ﷻ العظيمة ولطائف صنعه الغريبة؛ فإنه صغير جِرْمُه، عظيم طاعته وجُرْمُه! إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان، فمَن أطلق عَذَبَةَ اللسان وأهمله مَرخِيّ العَنان سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جُرُف هار؛ إلى أنْ يضطره إلى البوار، قال ﷻ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٨، وسئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: "الفم والفرج."[1]

وسأل معاذ ﷺ النبي ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار فأخبره النبي ﷺ برأسه وعموده وذروة سنامه، ثم قال: "ألا أخبرك بِمِلاكِ ذلك كلِّه؟" قال: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسان نفسه ثم قال: "كُفَّ عليكَ هذا، فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثَكِلَتْكَ أمُّكَ يا معاذ؛ وهل يَكُبُّ الناسَ على وجوهِهِم –أو على مَناخِرِهِم– إلا حصائدُ ألسنتِهِم."[2]

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُهُ، ولا يستقيمُ قلبُهُ حتى يستقيمَ لسانُهُ، ولا يدخلُ الجنةَ حتى يأمنَ جارُهُ بَوائقَهُ."[3]

---

[1] سنن الترمذي (4/ 363).
[2] السنن الكبرى للنسائي (10/ 214).
[3] مسند أحمد (20/ 343).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: "إذا أصبح ابنُ آدمَ فإنَّ أعضاءَه تُكَفِّرُ اللسانَ؛ تقول: اتقِ اللهَ فينا؛ فإنكَ إنِ استقمتَ استقمنا، وإنِ اعوججتَ اعوججنا."[1]

يقول ابن القيم ﷺ: "يقول الشيطان لأبنائه: قوموا على ثغر اللسان؛ فإنه الثغر الأعظم، وهو قبالة الملك؛ فأجروا عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه، وامنعوه أن يجري عليه شيء مما ينفعه من ذكر الله ﷻ، واستغفاره، وتلاوة كتابه، ونصيحة عباده، والتكلم بالعلم النافع، ويكون لكم في هذا الثغر أمران عظيمان، لا تبالوا بأيهما ظفرتم:

أحدهما: التكلم بالباطل؛ فإن المتكلم بالباطل أخ من إخوانكم ومن أكبر جندكم وأعوانكم.

والثاني: السكوت عن الحق؛ فإن الساكت عن الحق أخ لك أخرس، كما أن الأول أخ ناطق، وربما كان الأخ الثاني أنفع أخويكم لكم، أما سمعتم قول الناصح: "المتكلم بالباطل شيطان ناطق، والساكت عن الحق شيطان أخرس؟!"

وفى اللسان آفتان عظيمتان؛ إنْ خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثماً مِن الأخرى في وقتها؛ فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاصٍ لله ﷻ، مراءٍ مداهن؛ إذا لم يخف على نفسه.. والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاصٍ لله ﷻ.. وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته؛ فهم بين هذين النوعين. وأهل الوسط – وهم أهل الصراط المستقيم– كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة؛ فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه، ضائعة بلا منفعة؛ فضلاً أنْ تضره في

[1] مسند أحمد (18/ 402).

آخرته.. وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال؛ فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال؛ فيجد لسانه قد هدمها مِن كثرة ذكر الله ﷻ ، وما اتصل به."[1]

ولما كانت آفات اللسان كثيرة، ولها في القلب حلاوة، ولها بواعث من الطبع؛ فلا نجاة من خطرها إلا بالصمت، سأل عقبة بن عامر ﷺ رسول الله ﷺ: ما النجاة؟ قال: "أمسِكْ عليكَ لسانَكَ، وليَسَعْكَ بيتُكَ، وابكِ على خطيئتِكَ."[2]

2. غض البصر عن المحرمات:

إن نعمة البصر من أعظم النعم إذا استخدمها العبد في طاعة الله ﷻ، فهي سلاح فتاك يمر على القلب فلربما يقتله إن استعملها فيما يسخط الرب ﷻ، فاحذر من إطلاق البصر فقد أمرت بغضه عمّا حرم الله ﷻ، فلا تطلقه في النظر إلى المحرمات والعورات، فالبصر سهم مسموم من سهام إبليس، بسببه انتكس من انتكس عن الدين وخرج عن طاعة رب العالمين ﷻ.

فجعل الله ﷻ العين مرآة القلب، فإذا غَضَّ العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته..

والنظرة إذا أثَّرَتْ في القلب.. فإنْ عَجَّل الحازمُ، وحَسَمَ المادةَ مِن أوَّلِها سَهُل علاجه، وإنْ كرَّرَ النظر، ونَقَّبَ عن محاسن الصورة، ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه؛ تمكنت المحبة.. وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة؛ فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب، ويُعرِض عن الفكر فيما أُمِرَ به؛ فيخرج

---

[1] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: الداء والدواء لابن القيم ص99.
[2] المعجم الكبير للطبراني (17/ 270).

بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن، ويُلقِي القلب في التلف.. والسبب في هذا أنّ الناظر التذَّتْ عينُه بأول نظرة؛ فطلبت المعاودة، كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة.. ولو أنه غَضَّ أولاً لاستراح قلبه وسلم.

وتأمل قوله ﷺ: "النظرةُ سهمٌ مسمومٌ مِن سهامِ إبليسَ."[1]

فإنَّ السهم شأنه أن يسري في القلب؛ فيعمل فيه عمل السم الذي يُسقاه المسموم، فإنْ بادر استفرغه؛ وإلا قتله ولا بد...!

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإنْ لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار تُرمَى في الحشيش اليابس؛ فإنْ لم تحرقه كله أحرقت بعضه، فعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثةٌ لا ترى أعينُهم النارَ: عينٌ حَرَسَت في سبيلِ اللهِ، وعينٌ بَكَت مِن خشيةِ اللهِ، وعينٌ كَفَّت عن مَحارمِ اللهِ."[2]

وفي غض البصر عدة منافع؛ منها:

1. أنه يورث القلب أنسًا بالله سبحانه وتعالى؛ فإن إطلاق البصر يفرق القلب، ويشتته، ويبعده من الله سبحانه وتعالى، ويورث الوحشة بين العبد وربه عز وجل.

يقول أطباء القلوب: بين العين والقلب منفذ وطريق، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد، وصار محلاً للقاذورات؛ فلا يصلح لسكن معرفة الله عز وجل ومحبته، والإنابة إليه، والأنس والسرور بقربه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك.

2. أنه يُلبِس القلب نورًا، كما أن إطلاقه يُلبسه ظُلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه وتعالى آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ

[1] مسند الشهاب القضاعي (1/ 195).
[2] المعجم الكبير للطبراني (19/ 416).

﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ النور: ٣٠، ثم قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴿٣٥﴾﴾ النور: ٣٥، أي مثل نوره في قلب عبده المؤمن؛ الذي امتثل أوامره واجتناب نواهيه.

3. أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصادق والكاذب.

4. أنه يفرغ القلب للتفكر في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر ينسيه ذلك، ويحول بينه وبينه؛ فينفرط عليه أمره، ويقع في اتباع هواه، وفي الغفلة عن ذكر ربه ﷻ.

3. تنزيه السمع عن اللغو:

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ الإسراء: ٣٦

إنْ كانت حواس الإنسان كثيرة فإن أهمها: السمع والبصر، وقد وردت في القرآن بهذا الترتيب، السمع أولاً، ثم البصر؛ لأن السمع يسبق البصر، فالإنسان بمجرد أنْ يُولَد تعمل عنده حاسة السمع، أما البصر فإنه يتخلف عن السمع لعدة أيام من الولادة، إذن: فهو أسبق في أداء مهمته، هذه واحدة.

الأخرى: أن السمع هو الحاسَّة الوحيدة التي تُؤدي مهمتها حتى حال النوم، وفي هذا حكمة بالغة للخالق ﷻ، فبالسمع يتم الاستدعاء من النوم.

وقد أعطانا الخالق ﷻ صورة واضحة لهذه المسألة في قصة أهل الكهف، فلما أراد ﷻ أن يناموا هذه السنين الطوال ضرب على آذانهم وعطل حاسة السمع لديهم،

وإلا لَمَا تمكَّنوا من النوم الطويل، ولأزعجتهم الأصوات من خارج الكهف. فقال ﷻ: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ الكهف: ١١

ولم يسبق البصر السمع إلا في آية واحدة في كتاب الله ﷻ وهي: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ السجدة: ١٢، والحديث هنا ليس عن الدنيا، بل عن الآخرة، حيث يفزع الناس من هَوْلها؛ لأنهم في الآخرة أبصروا قبل أن يسمعوا.

فالسمع أول الحواس، وهو أهمها في إدراك المعلومات، حتى الذي يأخذ معلوماته بالقراءة سمع قبل أن يقرأ، فتعلَّم أولاً بالسماع ألف باء، فالسمع أولاً في التعلُّم، ثم يأتي دَوْر البصر.

وحفظ الأذن يتحقق بتنزيه السمع عن الغيبة والنميمة، والفُحش، وقول الزور، واللهو، والغناء المحرم، ومزامير الشيطان، وكل ما هو باطل.

كتب عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى مؤدب ولده: "ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن؛ فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم: أن صوت المعازف واستماع الأغاني واللهج بها يُنبت النفاق في القلب كما يَنبت العشب على الماء."[1]

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "ما منكم مِن أحد إلا سيخلو الله ﷻ به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: يا ابن آدم! ما غَرَّك بي؟ يا ابن آدم! ما عملتَ

[1] تحريم آلات الطرب ص 120, المدخل لابن الحاج (3/ 105)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 250)، تبليس إبليس ص 209, موارد الظمآن لدروس الزمان (5/ 175)، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (9/ 540)، مجموع رسائل ابن رجب (2/ 458).

فيما علمتَ؟ يا ابن آدم! ماذا أجبتَ المرسلين؟ يا ابن آدم! ألم أكن رقيبًا على عينك؛ وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك؟ ألم أكن رقيبًا على أذنيك؟ وهكذا حتى عَدَّ سائر أعضائه."[1]

4. كف اليدين والرجلين عن الحرام:

الصائم كما يكف لسانه وعينه وأذنه وقلبه عن الحرام فإنه كذلك يكف يده ورجله عن الحرام، فلا تمتد يده بأذى الناس ولا بأكل أموالهم بالباطل، ولا يمشي بقدميه إلى ما يغضب الله ﷻ، قالت عائشة رضي الله عنها: "ما ضَرَبَ رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيلَ منه[2] شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك[3] شيء من محارم الله، فينتقم لله ﷻ."[4]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: " هل تدرون من المفلس؟، قالوا: المفلس فينا يا رسول الله، من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة، ويأتي قد شتم عرض هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، فيقعد، فيقص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"[5]

---

[1] السنن الكبرى للنسائي (10/ 403)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 131)، المقدمات الممهدات (1/ 49)، المدخل لابن الحاج (1/ 65).

[2] نيل منه: أي أصيب بأذى من قول أو فعل.

[3] إلا أن ينتهك: استثناء منقطع معناه لكن إذا انتهكت حرمة الله انتصر لله تعالى وانتقم ممن ارتكب ذلك وانتهاك حرمته تعالى هو ارتكاب ما حرمه.

[4] رواه مسلم (4/ 1814).

[5] مسند أحمد (13/ 399).

5. حفظ الفرج:

جعل الله ﷻ في خلقه غرائز وخلقهم ذكوراً وإناثاً، وأمر ﷻ بحفظ النسل بحفظ الفرج بالبعد عن الزنا، والسفاح والبغاء، وكذلك حرم الشذوذ الجنسي من لواط وسحاق واستمناء، قال ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ ﴾ المؤمنون: ١ – ٥، وجزاء من عمل بهذه الأوامر الفردوس، قال ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ المؤمنون: ١٠ – ١١، ومن لم يحفظ هذه الجارحة فهو متوعد بالنار، فقد سُئل رسول ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: "الفم والفرج."[1]

وحفظ الفرج من الفاحشة يكون باجتناب وسائلها الموصلة إليها، فلا يخلو الرجل بامرأة لا تحل له، ويغض بصرها عن النساء والمردان، ويتقي شر القنوات وغيرها من وسائل الإباحية، وعليك بالتعفف والزواج، قال ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج."[2]، وقد ضمن النبي ﷺ لمن حفظ لسانه وفرجه الجنة، فقال ﷺ: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة."[3]

---

[1] سنن الترمذي (4/ 363).
[2] رواه مسلم (2/ 1018)، سنن ابن ماجه (1/ 592)، السنن الكبرى للنسائي (3/ 140)، المعجم الكبير للطبراني (10/ 122).
[3] رواه البخاري (8/ 100).

ومن فوائد حفظ الفرج الفلاح والفوز برضوان الله ﷻ في الدنيا والآخرة، ويحفظ القلوب من التعلق بالمحرمات، ويحفظ المسلمين من أن يسري فيهم داء الزنى وما يتبعه من الأوبئة، ويمنع المفاسد ويطهر الذمم ويؤلف القلوب، وينشر الأمن ويحفظ الأعراض بين أفراد المجتمع، وهو عفاف يمتاز به أصحاب الشرائع السماوية عن غيرهم من عباد الصنم، ويزيد من الحسنات ويرفع الدرجات.[1]

6. تصفية القلب من الذنوب:

ويجب علينا جميعًا أن نعلم أن أهم هذه الأعضاء التي يجب أن نبدأ بها ونصلحها هو القلب، كما قال ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب."[2]

هذا الارتباط العجيب بين القلب وبين الأعضاء قال فيه أبو هريرة رضي الله عنه، وجاء أيضًا عن غيره من السلف أنه قال: "القلب ملك والأعضاء جنوده."[3]

وقال ابن تيمية رحمه الله: "إن قول رسول الله ﷺ كما في الحديث المتقدم أبلغ وأبين من قول أبي هريرة رضي الله عنه ومن قال هذه العبارة؛ لأن الارتباط بين الأعضاء والقلب ارتباط عضوي لا يمكن أن يختلف ولا يمكن أن ينفصل، أما الارتباط في الصلاح والفساد بين الملك وجنوده، فهذا قد يقع فيه الاختلاف، فربما صلح الملك وفسد الجنود، وربما فسد الملك وصلح الجنود، وربما فسد الملك وصلح بعض الجنود وفسد بعضهم."[4]

---

[1] نظرة النعيم (5/ 1664).
[2] رواه البخاري (1/ 20)، رواه مسلم (3/ 1219)، سنن ابن ماجه (2/ 1318).
[3] لوامع الأنوار البهية (1/ 407)، الإيمان لابن تيمية ص 149.
[4] الزهد والورع والعبادة لابن تيمية ص166.

وعن دور الصوم في إصلاح النفوس **يقول ابن القيم** رحمه الله: "للصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة وحميتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

وقال النبي ﷺ:" الصوم جنة."[1]، وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة، والمقصود: أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة، شرعه الله عز وجل لعباده رحمة بهم وإحساناً إليهم وحمية لهم وجنة."[2]

- فمن صام عن الطعام والشراب فصومه عادة.
- ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عادة وعبادة.
- ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن سبحانه وتعالى فإنه صائم رضا.
- ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب سبحانه وتعالى فهو صائم تقى.
- ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم وصي.
- ومن صام عن المنكر والأغيار وأفطر على الفكرة والاعتذار فهو صائم سعيد.
- ومن صام عن الرياء والانتقاص وأفطر على التواضع والإخلاص فهو صائم سالم.

[1] سنن الدارمي (2/ 1111)، السنن الكبرى للنسائي (3/ 135).
[2] زاد المعاد من هدى خير العباد (2/ 28).

- ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم.
- ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر تكثير آماله فهو صائم مشاهد.
- ومن صام عن طول أمله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد.

قال ابن القيم رحمه الله: "الصوم لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الأبرار المقربين لرب العالمين عز وجل"[1]

فعلى الصائم أن يحفظ جوارحه عن كل ما حرم الله سبحانه وتعالى، فيحفظ لسانه عن جميع المعايب؛ من سب وشتم وقذف وغيبة ونميمة ولغو، ويصون عينيه عن النظر إلى ما حرم الله عز وجل، وأذنيه عن سماع اللغو والباطل، ويده ورجليه عن الحرام، وقلبه عن الغل والحقد والحسد.

قال ابن القيم رحمه الله: "وقد مثلت النفس مع صاحبها بالشريك في المال، فكما أنه لا يتم مقصود الشركة من الربح إلا بالمشارطة على ما يفعل الشريك أولاً، ثم بمطالعة ما يعمل، والإشراف عليه ومراقبته ثانياً، ثم بمحاسبته ثالثاً، ثم بمنعه من الخيانة إن اطلع عليه رابعاً، فكذلك النفس: يشارطها أولاً على حفظ الجوارح السبعة التي حفظها هو رأس المال، والربح بعد ذلك، فمن ليس له رأس مال، فكيف يطمع في الربح؟ وهذه الجوارح السبعة وهي العين، والأذن، والفم، واللسان والفرج، واليد، والرجل: هي مراكب العطب والنجاة، فمنها عطب من عطب بإهمالها وعدم حفظها، ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها، فحفظها أساس كل خير، وإهمالها أساس

[1] زاد المعاد من هدى خير العباد (2/ 27).

كل شر، قال ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ النور: ٣٠[1]

فمن حافظ على جوارحه بطاعة الله ﷻ فإنه يمشي بنور من الله ﷻ،كما قال ﷻ في الحديث القدسي: "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها."[2]، ومعنى ذلك كما قال العلماء: أن الله ﷻ يوفقه ويسدده في أعماله، وأقواله، وسمعه، وبصره، لا كما تعتقد الحلولية بأن الله ﷻ يحل في خلقه والعياذ بالله.[3]

واعلموا رحمكم الله أن أمير هذه الجوارح كلها هو القلب، فلا تنفع الأعمال الظاهرة إلا بصلاح النية والقصد باطناً، فإذا صلحت هذه المضغة صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله.

قال ابن القيم رحمه الله: "ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يُمَيِّز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميَّزت بينهما؟! وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟! وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت."[4]

---

[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 79).
[2] رواه البخاري (8/ 105).
[3] مجموع فتاوي ابن باز (10/ 328).
[4] بدائع الفوائد لابن القيم (3/ 193).

فاحفظوا جوارحكم عن كل ما يغضب الله ﷻ قبل أن تعرضوا على ربكم في هذا الشهر الكريم، وكونوا من المحافظين على جوارحكم عما حرم الله ﷻ، واجعلوها خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة حفظ الجوارح مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

مـدرسـة صـلـة الأرحـام

صلة الرحم هي الوصل؛ أي عدم مقاطعة الأقارب والأصهار، ويكون الوصل بالإحسان في المعاملة من سلام، وبشاشة الوجه، والهدايا والمال، والزيارات المتكررة، وغيرها، ويكون أيضاً بالترك؛ أي كف الأذى عن الأقارب، وقد حث الدين الإسلامي على صلة الرحم وشدد بذلك، وجعل وصل صلة الرحم بحكم الوجوب، وقطيعتها محرمة، ومن الكبائر.

أما الرحم فهو مصطلح يشمل جميع الأقارب دون استثناء، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى رحم المرأة التي يخرج ويتفرع منها هؤلاء الأقارب، واستحب الإسلام في الفضل تقديم الأرحام على غيرهم لقوله ﷻ: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ

﴿٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٦.

لقد جعل الإسلام صلة الرحم علامة من علامات التقوى والإيمان، وسبب لزيادة الرّزق وتوسع البركة وتمد العمر؛ فالمسلم حين يصل رحمه فإنّه يجد آثار ذلك في حياته وتجارته وماله، حيث يبارك الله ﷻ له في رزقه ويخلفه خيرًا بما فعله من العمل الصّالح حين خصّص جزءًا من وقته وماله من أجل أن يتفقّد أهله ورحمه، فكان العوض من جنس العمل، فكما بذل العبد الوقت والمال في سبيل إرضاء الله ﷻ وصلة أرحامه فإنّ الله ﷻ يعوّضه مقابل ذلك مثل ما عمل وزيادة.

وصلة الأرحام هي سبب لدخول الجنّة، فقد جاء رجل إلى النّبي ﷺ يسأله عن عمل يقوم به يدخل بسببه الجنّة، فذكر النّبي ﷺ له عدّة أعمال ومن بينها صلة الرحم، وصلة الرحم بالمعنى الحقيقي لها، تكون بوصل الأقارب حتى وإن كانوا

قاطعين ومسيئين لك.

إنّ صلة الأرحام هي سبب من أسباب شيوع المحبّة والودّ والتّكافل بين النّاس، وهي سلوك يحقّق الأمان الاجتماعي بينهم، فالأسر التي تصل بعضها البعض تجدها أسرًا متحابّةً متكافلة يرحم بعضها بعضاً، كما تتجلّى فيها جميع المعاني السّامية التي تحقّق للفرد الأمن النّفسي والاجتماعي.

إنّ صلة الأرحام هي من موجبات قبول الأعمال عند الله ﷻ، ذلك أنّ الأعمال تعرض على الله ﷻ عشيّة كلّ يوم خميس فمن كان قاطعًا للرّحم لم يقبل منه عمل.

أمر الله ﷻ بالإحسان إلى ذوي القربى وهم الأرحام الذين يجب وصلهم، فقال ﷻ:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

البقرة: ٨٣

وقال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾

الأنفال: ٧٥

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

النحل: ٩٠

إذن أمر اللهُ ﷻ بصلة الأرحام، ووصَّى بها عبادَه المؤمنين، وحثَّ عليها وبيَّن ما يترتب عليها مِن خيرَيِ الدنيا والآخرة، كما حثَّ عليها النبيُّ ﷺ مُبيِّنًا جزاءها وثمرة الصلة، وما أعدَّه الله ﷻ للواصلين مِن الخير العظيمِ والثواب الجزيل، وما يترتَّب على ذلك مِن سَعَة الرزق، وطولِ العمر، والبركة في المال والولد، ولقد قضى اللهُ ﷻ بالسعادة والخيريَّة والفلاح في الدنيا والآخرة لمن يَصِلُون أرحامهم، ويقومون بحقوقهم؛ قال ﷻ: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الروم: ٣٨

فعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن أعرابيًّا عرَض لرسول الله ﷺ وهو في سفَر، فأخذ بخطام ناقته – أو بزمامها – ثم قال: يا رسول الله، أخبرني بما يُقرِّبُني مِن الجَنَّة، ويُباعِدُني عن النار، قال: فكفَّ النبيُّ ﷺ، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: لقد وُفِّقَ أو هُدي، قال: كيف قلتَ، قال: فأعادها، فقال: النبي ﷺ: "تعبُد اللهَ لا تُشْرك به شيئًا، وتُقيم الصلاة، وتُؤْتي الزكاة، وتَصِل الرحمَ، دعِ الناقة، فلمَّا أدْبر، قال الرسول ﷺ: "إنْ تَمَسَّكَ بما أمَرْتُه به دَخَل الجَنَّة."[1]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "مَن سَرَّه أن يُبسَط[2] له في رزقه، وأن يُنْسَأ[3] له في أثره[4]، فليَصِل رَحِمَه."[5]

إن صلة الرحم مما قَصَّر فيها الكثيرون في هذه الأزمان؛ نظرًا لانشغالهم بالمُلْهِيَات والمغريات، وحطام الدنيا الفاني، ولذا عظَّم الله ﷻ شأنَ الرحم؛ فعن عائشة رضي

---

[1] رواه مسلم (1/ 42)
[2] يبسط: يوسع.
[3] ينسأ: يؤخر.
[4] أثره: بقية عمره.
[5] رواه البخاري (56/3).

الله عنها عن النبي ﷺ قال: "الرحم معلَّقة بالعرش، تقول: مَن وصَلني وصَلَه اللهُ، ومَن قطَعَني قطعه اللهُ."[1]

ولقد حذَّر الإسلامُ مِن قطيعة الرحم، وتَوعَّد على ذلك بأشد الوعيد، ورتَّب على ذلك خُسران الدنيا والآخرة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله ﷻ خَلَقَ الخَلْق حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضينَ أن أصِل مَن وصلك، وأقطع مَن قطعك، قالت: بلى، قال: فذاك لكِ."، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرؤا إنْ شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ محمد: ٢٢ – ٢٣[2]

وليعلم أنَّ مِن أفضلِ صلةِ الرحمِ أن تصِل مَن قطعك، وتُعطي مَن حرَمَك، وتحلُم على مَن جَهِلَ عليك، وتُحْسن إلى مَن أساء إليك؛ حفاظًا على صلة الرحم، وطاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، إنَّ لي قرابة أَصِلُهم ويقطعوني، وأُحسِن إليهم، ويُسِيئون إليَّ، وأحلُم عليهم، ويَجْهَلون عليَّ[3]، فقال ﷺ: "إنْ كنتَ كما قلتَ، فكأنما تُسِفُّهُمُ الملَّ[4]، ولا يزال معك مِن اللهِ ظهيرٌ[5]

---

[1] رواه مسلم (4/ 1981).
[2] رواه مسلم (4/ 1980).
[3] ويجهلون علي: أي يسيئون والجهل هنا القبيح من القول وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم.
[4] تسفهم الملّ: الملّ هو الرماد الحار أي كأنما تطعمهموه.
[5] ظهير: الظهير المعين والدافع لأذاهم.

عليهم ما دُمتَ على ذلك."[1]، وصدَق اللهُ ﷻ إذ يقول :﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ الرعد: ٢١

داوِم على صِلة الرّحم وإن قطعوا، وأحسِن إليهم وإن أساؤوا، فمقابلة الإحسانِ بالإحسان مكافأةٌ ومجازاة، والواصل من إذا قطعَت رحمُه وصَلها، قال ﷺ: "ليسَ الواصل بالمكافئ[2]، ولكنّ الواصلَ الذي إذا قطعَت رحمُه وصَلها[3]."[4]

فإن شهر رمضان شهر البر والصلة، فيه تمتد الصلة بين الأقارب إلى أبعد ما يمكن أن يجده الإنسان في حياته من بر ومعروف.

فصلة الأرحام في شهر رمضان تعتبر من الضروريات التي ينبغي على المسلمين القيام بها، تأكيداً لقول النبي ﷺ بالاستمرار في صلة الأقارب والأرحام نظراً لكونها خطوة حقيقية في إزالة الخلافات وتوطيد الأواصر ودعم الأخوة بين المسلمين .

فرمضان أعظم مدرسة للبر وصلة الأرحام، فهو عين الأخلاق، ورافد الرحمة وحبل المودة.

ولا أفضل من شهر الرحمة من أن يتقرب المسلم فيه لربه ﷻ بصلة رحمه، ابتغاء لمرضاته وعظيم ثوابه، وإزالة لما قد يقع في النفوس من شحناء، فالمبادرة بالزيارة والصلة وإن كانت شاقة على النفس ولكنها عظيمة القدر عند الله ﷻ.

فحري بنا أن نتفقد أرحامنا في هذا الشهر المبارك بالزيارة والصلة والسؤال والصدقة وإصلاح ذات البين، ولا يتعذر أحد بانشغاله، فلا أقل من أن يصل أحدنا رحمه

---

[1] رواه مسلم (4/ 1982)، المعجم الأوسط للطبراني (3/ 157).
[2] ليس الواصل بالمكافئ: أي إن الذي يصل غيره مكافأة له على ما قدم من صلة مقابلة له بمثل ما فعل ليس بواصل حقيقة لأن صلته نوع معاوضة ومبادلة.
[3] إذا قطعت رحمه وصلها: إذا قاطعه غيره قابله بالصلة.
[4] رواه البخاري (8/ 6)، سنن الترمذي (4/ 316)، المعجم الكبير للطبراني (13/ 448).

بمكالمة تزيل ما علق في النفس، وتدحر الشيطان، وتفتح أبواب الخير، فرمضان فرصة عظيمة لفتح صفحة جديدة مع أرحامنا.

فصلة الرحم طاعة لله ﷻ، وشعار بالإيمان بالله ﷻ واليوم الآخر، وسبب في عون الله ﷻ وتأييده، وزيادة الرزق وطول العمر.

ومن فوائد صلة الرحم أنه علامة كمال الإيمان وحسن الإسلام، وتحقق السعة في الأرزاق والبركة في الأعمار، واكتساب رضى الرب ﷻ ثم محبة الخلق، وتقوية أواصر العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة والأسر المرتبطة بالمصاهرة والنسب حتى يعم المجتمع كله، وتقوي الصلة بقرب العلاقة وهي للأقرب أقوى منها للأبعد.[1]

فاحرصوا رحمكم الله على صلة أرحامكم، واعفوا واصفحوا، قال ﷻ: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٠، اصلوا أرحامكم تبارك أرزاقكم وأعماركم وتسعدوا وتفلحوا في الدنيا والآخرة.

فاصلوا أرحامكم في هذا الشهر الكريم، وكونوا من المحافظين على صلة الأرحام حتى يغفر الله ﷻ لكم ويمد في أعماركم، ويبارك في رزقكم، واجعلوها خير محطة تتزودوا منها، فمدرسة صلة الأرحام مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ

[1] نظرة النعيم (7/ 2632).

مـدرسـة الـصـدق

الصدق منجاة، وهو أوّل دروب الخير، وصفة المؤمنين، والأنبياء والصالحين، وقد امتدح الله ﷻ الصدق، وذكره في أوصاف أهل الجنة، وأمر الناس به، كما وردت العديد من الأحاديث الشريفة التي تحثّ على الصدق، وتعظمه لأنّ فيه من الخير الكثير، وقال عنه النبي ﷺ بأنه طريقٌ للبر، فالتحلي بالصدق هو اقتداءٌ بأخلاق النبي ﷺ، بالإضافة لفضل الصدق في تماسك وبناء المجتمعات، فهو أيضاً جالبٌ للحسنات، لأن الكذب وهو خلاف الصدق يعتبر من المحرمات، التي تدخل في صغائر الذنوب أو كبائرها، حسب خطورة الكذبة وموقفها، كأن يخالف الشخص قول الصدق، ويحلف يمين الزور، فكذبةٌ مثل هذه، عقابها عسير، كما أن حبل الكذب قصيرٌ جداً، عكس الصدق الذي يبقى سر النجاة، حتى لو خسر الشخص أشياءً ظاهريةً بقول الصدق، يبقى الصدق هو الخير، وهو الأفضل، وطوق النجاة الذي ينقذنا من براثن الكذب، الذي يؤدي إلى الفجور، عكس الصدق الذي لا يؤدي سالكه إلا إلى درب الخير، والبر والحق.

ومن مميزات الصدق، أنه أساسٌ للكثير من الأخلاق التي تقوم عليه، فلا يمكن أن يكون الشخص سوياً إن لم يكن صادقاً، ولا يمكن أن يكون وفياً بالعهود والمواثيق إن لم يكن صاحب لسانٍ صادقٍ، لا يقول غير الحق، ولا ينطق إلا بالصدق؛ لأن الشخص الكاذب ينفر منه الجميع، ولا يستأمنونه على أنفسهم، ولا على أموالهم، ولا يمكن أن يكون موضع ثقتهم أبداً، خصوصاً أن الصدق صفةٌ لله ﷻ، أطلقها

على نفسه، وارتضاه لعباده، والكذب مخالفةٌ لفطرة الإنسان السليمة، التي فطره الله ﷻ عليها.

لا يكون الصدق في مواقفٍ ويغيب في مواقف؛ بل يجب الالتزام بالصدق في جميع شؤون الحياة؛ لأن الصادق صادقٌ دوماً، ولا يمكن أن يكون كاذباً وصادقاً في الوقت نفسه، لأنّ الصدق مبدأ أخلاقي، لا يقوم على التجزئة، ولا على المحاباة.

فالصدق هو القول بالحق والعمل به، وهو فضيلة من فضائل الإسلام العظيمة، وقرينُ الإخلاص، ونبعٌ من الحق الذي لا تجد فيه العِوَج، به تنجح الأمم في أداء رسالتها وبناء ثروتها، وتقديم حضارتها بأعمال صادقة تسبق بها غيرها، قال رسول الله ﷺ: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"[1]

فالصّدق في الأقوال يؤدّي بصاحبه إلى صدقٍ في الأعمال، فتراه دومًا حريصًا على التزام الحق فيما يقول ويفعل، متمسّكًا به، فهو دعامةٌ أساسيّة وركيزة في خلق المسلم، وهو ممّا يعود على صاحبه بالصلاح في كل أحواله، أمّا الكذب فيجرّ صاحبه إلى كذبٍ أكبر منه ثم إلى فجور وإدمان، وهذا ما حذّر منه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لما فيه من تزويرٍ وخطرٍ على الفرد والمجتمع.

والصدق مطلب أساس في حياة المؤمن، وهو رأس الفضائل، وعنوان الصلاح والفضل، فأثنى الله ﷻ على مَن لزمه فصار له خُلقًا، فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

[1] رواه مسلم (4/ 2013)، سنن الترمذي (4/ 348).

بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ الحديد: ١٩

بالصدق يتميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله ﷻ في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من اعتمده سما قدره وعلت مكانته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته وظهرت حجته، فأمر الله ﷻ به فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة: ١١٩

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة."[1]، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "الصدق أمانة، والكذب خيانة."[2]

ولما كان حمل النفس على الصدق في جميع أمورها شاقاً عليها، ولا يمكن لعبد أن يأتي به على وجهه إلا بعون الله ﷻ وتوفيقه، فقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يسأله الصدق في المخرج والمدخل، فقال ﷻ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ الإسراء: ٨٠

مجالات الصدق:

1. الصدق مع الله ﷻ:

[1] مسند أحمد (11/ 233), المعجم الكبير للطبراني (13/ 322).
[2] الحاوي الكبير (14/ 100), سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (12/ 316), الكامل في التاريخ (2/ 192), البداية والنهاية (8/ 89), حياة الصحابة (2/ 235), نهاية الأرب في فن الأدب (19/ 42).

قال ﷻ: ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ محمد: ٢١

الصدق مع الله ﷻ يقتضي من العبد أن يسعى جاهداً فيما يرضي ربه ﷻ، من أعمال وأقوال وأحوال؛ قال ﷻ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠، وقال أيضاً: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣

2. الصدق في الأحوال؛ وفي النيات:

وهذا يستلزم أن تكون بواعث الأعمال والأقوال كلها لله ﷻ، وأن يكون ظاهر العبد معبراً عن باطنه. الصدق في الأحوال يقتضي حسن الانقياد والإذعان، والخضوع والإخلاص، والخوف والرجاء، والرضا والتوكل والمحبة والحياء، والإجلال، والتعظيم لله ﷻ وحده، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥

3. الصدق في الأقوال:

الصدق في القول يستوجب على المسلم أن يحفظ لسانه فلا يتكلم إلا بصدق ولا ينطق إلا بحق، فأحسن الكلام ما صدق فيه قائله، وانتفع به سامعه، قال ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ ﴾ الأحزاب: ٧٠، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"[1]

والصدق في القول مطلوب وواجب في الشهادات والتزكيات وغيرها، كما قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾ النساء: ١٣٥

والصدق في القول مطلوب وواجب أيضاً في نقل الأخبار؛ وهذا بدوره يتطلب من الناقل التثبت فيما يقال واجتناب الظنون والأوهام، والحذر من التحدث بكل ما يسمع، فعن حفص بن عاصم ﷺ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع."[2]

4. الصدق في الأعمال؛ ويتحقق بما يلي:

❖ العمل بمقتضى العلم الشرعي، كما أخبر ﷻ عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ ٨٨ ﴾ هود: ٨٨، ولقد أنكر ﷻ على مَن خالف ما عنده من العلم الشرعي فقال ﷻ: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا

[1] رواه البخاري (8/ 100)، رواه مسلم (1/ 68)، السنن الكبرى للنسائي (10/ 381).
[2] رواه مسلم (1/ 10)، مصنف ابن أبي شيبة (5/ 237).

تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ البقرة: ٤٤، وقال أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الصف: ٢ - ٣

❖ استواء السريرة والعلانية في الحق، بأن يكون الباطن مثل الظاهر، أو خيرًا منه، فتكون الأعمال الصالحة الظاهرة التي يقوم بها المسلم ترجمة صادقة لما هو مستقر في باطنه، وهذا يستلزم أن يجاهد الإنسان نفسه لتكون سريرته وعلانيته واحدة، وألا تدل أعماله الظاهرة على أمر باطن لا يتصف به حقيقة، قال ﷻ: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴿١١﴾ ﴾ الفتح: ١١، وقال أيضاً: ﴿ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٧

الإتقان في كل عمل صالح يقوم به المسلم، بأداء الأعمال والحقوق كاملة مُوَفّرة، فلا بخس ولا غش ولا خداع ولا ظلم. فبهذا يؤدي المسلم عمله على خير وجه، ويحسن إلى نفسه فلا يلحقه تبعة في عمله، ويحسن إلى الآخرين بتوفيهم حقوقهم، فعن

عائشة رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ قال: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه "[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا"[2]

الصدق في الأعمال لا يتحقق إلا بثمن، ولا يصير خُلُقًا إلا بتضحية ومجاهدة طويلة وشاقة، إنه خُلُق لا يتحمله إلا المخلص المتجرد لله ﷻ، الذي يُضَحّي في سبيل ذلك بكل حظوظ النفس ومُتَع الحياة، وإلى ذلك أشار ﷻ بقوله:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٧

الصدق في الأعمال يقتضي أن يكون العبد مطيعاً لربه ﷻ ممتثلاً لأمره، ومجتنباً لنهيه، آخذاً بكتابه مقتدياً برسوله ﷺ.

قال الغزالي: "العمل الصادق هو العمل الذي لا ريبة فيه؛ لأنه وليد اليقين، ولا هوى معه؛ لأنه قرين الإخلاص، ولا عوج عليه؛ لأنه نبعٌ من الحق"[3]

فالصدق يكشف عن معدن الإنسان وحسن سريرته، وطيب سيرته، كما أن الكذب يكشف عن خبث طوية صاحبه، وقبح سيرته، الصدق منجاة، والكذب مرداة، الصدق محبوب ممدوح في العقول السليمة، والفطر السويّة، والكذب مذموم ممقوت تمجه الطباع والفطر السليمة.

---

[1] صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 383).
[2] رواه مسلم (1/ 99).
[3] الحديث الموضوعي ص327.

5. الصدق مع الخلق:

فالصدق ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية، بل هو أكبر أبواب السعادة للأفراد وللأمة، ولعل أصدق ميزان لرقي أمة من الأمم صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم، وإنها لأزمة كبيرة تلك التي يعاني منها الناس في تعاملهم عندما يفقدون الثقة فيما بينهم نتيجة فقدهم لخلق الصدق، وانتشار خلق الكذب بينهم: الكذب في الأقوال والكذب في الأعمال، والكذب في النيات، فليس غريباً إذن أن تقف الشرائع كلها مشددة في خلق الصدق، منكِرة رذيلة الكذب .

إن العلاقات الاجتماعية، والمعاملات الإنسانية، تعتمد على شرف الكلمة وصدقها، ولولا الثقة بشرف الكلمة وصدقها لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس، ويكفي أن نتصور مجتمعاً قائماً على الكذب لندرك مبلغ تفككه وتمزقه، وانعدام صور التعاون والتلاحم بين أفراده .

كيف يكون لمجتمع ما كيان متماسك وأفراده لا يتعاملون فيما بينهم بالصدق؟ وكيف يكون لمثل هذا المجتمع رصيد من ثقافة أو تاريخ أو حضارة في غياب الصدق بين أفراده؟ كيف يوثق بنقل المعارف والعلوم إذا غاب الصدق في المجتمع؟ كيف يوثق بنقل الأخبار والتواريخ إذا لم يكن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع؟ كيف يوثق بالوعود والعهود ما لم يكن الصدق أساس التعامل بين الناس؟ كيف يوثق بالدعاوى والشهادات ودلائل الإثبات، إذا غاب الصدق وحل محله الكذب والافتراء؟...

كيف يهنأ لمجتمع عيش إذا ما حلت به السنوات الخداعات، تقلب فيها الموازين، وينتشر فيها المكر والخديعة، والكذب والحيل، ولقد حذر منها النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: "الرجل التافه في أمر العامة"[1]

ما أجمل أن يكون الصدق مشاعاً بين الناس، بين الأسر، بين الجيران، في البيوت والمدارس والمؤسسات، في الشوارع والمتاجر والأسواق، في كل مكان، ومع كل إنسان .

فواجب على الآباء والأمهات وكافة المربين أن يغرسوا فضيلة الصدق في نفوس الأطفال، حتى يشبوا عليها، وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها.

فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه أنه قال: دعتني أمي يوماً، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: "وما أردت أن تعطيه؟ قالت: تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة"[2]

وكم من الأمهات يكذبن على أبنائهن، وكم من الآباء يكذبون على أبنائهم، وما علموا أنهم بذلك يغرسون خلق الكذب في نفوس أبنائهم. فأين الآباء والأمهات من تربية أبنائهم على الصدق؟ والسير بهم في طريق الصادقين؟

---

[1] سنن ابن ماجه (2/ 1339).

[2] مصنف ابن أبي شيبة (5/ 236).

آثار الصدق:

إذا تمكن الصدق من القلب سطع عليه نوره، وظهرت على الصادق آثاره، في عقيدته وعبادته، وسلوكه، ومن آثاره:

1. الصادق خير الناس:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قلنا يا رسول الله؛ من خير الناس؟ قال: "خير الناس ذو القلب المخموم، واللسان الصادق، قيل: ما القلب المخموم؟ قال: هو التقي النقي، الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد، قيل: فمَن على أثره؟ قال: الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة، قيل: فمَن على أثره؟ قال: مؤمن في خلق حسن."[1]

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: "كل مخموم القلب، صدوق اللسان"، قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: "هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد" [2]

2. إجابة الدعاء، وإدراك الأجر الكثير من الله ﷻ:

إن عجز العبد عن العمل الذي نواه بصدق، قال النبي ﷺ: " من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه"[3]

3. حصول البركة في البيع والشراء:

فعن حكيم بن حزام ﷺ عن النبي ﷺ قال: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا

---

[1] شعب الإيمان للبيهقي (9/ 6)

[2] سنن ابن ماجه (2/ 1409).

[3] رواه مسلم (3/ 1517)، السنن الكبرى للنسائي (4/ 297).

وبينا[1] بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما[2]"[3]

4. طمأنينة القلب والنفس:

عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة"[4]

اترك ما تشك في حله، واعدل إلى ما لا تشك فيه.

5. الرقي إلى منازل الأخيار والأبرار والصديقين:

قال ﷻ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ النساء: ٦٩

6. رضوان الله ﷻ:

قال ﷻ: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾ المائدة: ١١٩

7. الجنة:

---

[1] بينا: أي بين كل واحد لصاحبه ما يحتاج الى بيانه من عيب ونحوه في السلعة والثمن

[2] محقت بركة بيعهما: أي ذهبت بركته وهي زيادته ونمائه.

[3] رواه البخاري (3/ 64)، رواه مسلم (3/ 1164)، سنن الترمذي (3/ 540)، السنن الكبرى للنسائي (10/ 356)، المعجم الكبير للطبراني (3/ 199).

[4] سنن الترمذي (4/ 668).

عن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: " اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم"[1]

فإن الصدق دليل الإيمان ولباسه، ولبُّه وروحه؛ كما أن الكذب بريد الكفر ونَبْتُه وروحه، والسعادة دائرة مع الصدق والتصديق، والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب.

فعليك أن تكون صادقاً مع الله ﷻ في رمضان وفي غير رمضان، فلو رآك الله ﷻ أنك تريد الفوز في رمضان بصدق إلا أعطاك هذا الفوز، وما من عبد يطلع الله ﷻ على قلبه فيرى أنه يريد الشهوات وعمل السيئات في رمضان إلا لم يبال الله ﷻ به في أي واد هلك. وعلى قدر صدقك يكون فوزك.

ومن علامات صدق العبد أن يكون عازماً على اغتنام كل دقائق ولحظات رمضان في طاعة الله ﷻ وذلك بعمل برنامج يومي يملئ بالطاعات والعبادات حتى لا يترك مجالاً لنفسه أن تشغله بالمعصية، وأن يحاول قدر استطاعته أن يتقن هذه الطاعات والعبادات، ومن أعظم الطاعات في رمضان تلاوة القرآن الكريم بتدبر وفهم وعمل، ورمضان هو شهر القرآن.

وعليك أن تغتنم رمضان لتعويد نفسك على أنواع من الطاعات، فلا ينتهي رمضان إلا وقد أخذ حظه منه وتزود بزاد من الأعمال الصالحة التي تربت النفس عليها. والله لا يضيع لك هذه الأعمال والطاعات.

[1] مسند أحمد (37/ 417)، السنن الكبرى للبيهقي (6/ 471)، شعب الإيمان (6/ 450).

من فوائد الصدق أنه طريق الأبرار إلى الجنة، ويرفع الأعمال ويعلي شأنها، ودليل القوة وسمة الثقة بالنفس، ومنجاة، وأنه يكون مؤثراً في القلوب، والصادقون هم أحباب الله ﷻ المقربون، والصادقون يحبهم الناس ويثقون بهم، والصادق يعتز بنفسه ويرفع نفسه بين أفراد مجتمعه.[1]

عليكم بالصدق فإن الصدق طريق إلى كل خير، طريق إلى الفوز والفلاح، طريق إلى الأمن والمحبة والاستقرار والنماء، طريق إلى السعادة في الدارين...

واحذروا من الكذب فإنه طريق إلى كل شر وبلاء، وفتنة وداء، طريق إلى الشقاء في الدارين.

فعليكم بالصدق الزموه وكونوا مع أهله، ففيه النجاة، وفيه الفرَج.

فكونوا من الصادقين مع الله ﷻ ومع أنفسكم ومع الناس في هذا الشهر الكريم، وكونوا من الصادقين حقاً في رمضان وغير رمضان، واجعلوه خير محطة تتزودوا منه، فمدرسة الصدق مدرسة عظيمة، وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ

[1] نظرة النعيم (6/ 2516).

مـدرسـة الـوقـت

عرف الإنسان منذ بعيد الزمان قيمة الوقت وحرص على عدم هدره؛ لأنه يعد من الأشياء الثمينة التي إذا مرت لا تعوض ولا تعود؛ وقد قال الحكماء منذ زمن عن الوقت بأنه كالسيف إذا لم تقطعه قطعك، ولهذا عليك أن تهتم بوقتك وأن تعمل على عدم هدره.

كما وأوصت الشريعة الإسلامية على الاهتمام بالوقت والتفاني في استغلاله الاستغلال الأمثل والأفضل، ولقد نصت أحاديث من السنة النبوية الشريفة على الاهتمام بالوقت والتحذير والإنذار لمن يهدره سدى، فقال ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن عمله ماذا عمل فيه."[1]، وبهذا أوضح النبي ﷺ الصورة يوم القيامة، فكل إنسان لن يتحرك من مكانه حتى يسأل ويحاسب عن كل شيء عامة وعن الوقت خاصة.

ولقد دقق النبي ﷺ على اغتنام الوقت لثمنه الباهظ وعدم القدرة على استرداده إذا ما مضى، فلقد قال النبي ﷺ: "اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك."[2]؛ لذلك قسم الإسلام اليوم إلى أوقات موزعة على الصلوات الخمسة وجعل الواحدة لا تجوز في وقت الأخرى، وشرع الحج والصيام في أوقات محددة من العام مثل رؤية الهلال في رمضان.

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (20/ 60).
[2] السنن الكبرى للنسائي (10/ 400).

لذلك يجب عليك أن تهتم بوقتك وتعزز العمل بجد، وألا تؤجل الأعمال الواردة لك في يومك وأن تقوم بعملها في حينها، فقال الحكماء في هذا الموضع من الحديث لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.

إن الحياة اليوم مليئة بالمشاغل الكثيرة ويشتكي الناس في عصرنا من ضيق الوقت، ولكن في الماضي كان اليوم مدته 24 ساعة ولم يتغير ولم تكن الناس تشتكي من ضيق الوقت؛ إذاً ما الذي تغير، إن الذي تغير هو أن الحياة فرضت علينا الكثير من الأمور التي لم تكن متواجدة في الماضي في نفس الوقت المتمثل في الأربع وعشرون ساعة والذي لم يتغير، فلقد أصبح الإنسان طموح أن يفعل أشياء كثيرة مما لا يستوعبه الوقت.

الوقتُ هو الشيء الثمين الذي منحهُ الله ﷻ للجميعِ بالتساوي، ومن خلالِه يتمُ ممارسةُ العديدُ من النشاطات والأمورِ مثل العبادةِ والعملِ، والنوم، كما يتمُ استثمارُ الوقتِ خلالَ اليوم في العديدِ من الأمورِ الثّقافيّةِ؛ كالقراءةِ، والكتابةِ، أو الحركيّةِ؛ كممارسةِ رياضةِ المشي، أو ركوبِ الدّراجةِ، أو لعب كرة القدم، والفنيّةِ؛ كتقديمِ بعضِ الحرفِ الفنيّةِ والزخارف، والتكنولوجية؛ كقضاء الوقت على مواقع التواصل الاجتماعي، أو البحث عن المعلومات القيّمة من خلال شبكة الإنترنت.

يجبُ استغلالُ الوقتِ دائماً بشكلٍ صحيحٍ، والاستفادةُ منه لتلبيةِ الحاجاتِ الأساسيّةِ المهمّة أولاً ثمّ الثّانوية، وممارسةِ العديدِ من الأنشطةِ الّتي تعززُ نشاطَ الجسم وحركته، وتركَ بعض الوقت للرّاحةِ لتنشيطِ الدّورةِ الدّمويةِ، وإزالة جميع التّوتراتِ في الجسم، ومن المفضّلِ دائماً الجلوسُ مع الجماعاتِ والاشخاص الإيجابيّين لأخذِ

بعضِ النّصائحِ الّتي يمكنُ عملُها في وقتِ الفراغِ للاستفادةِ منها، أو اللّجوءِ إلى قراءةِ أحدِ الكتبِ المفيدةِ لكسبِ الكثيرِ من الخبرةِ والمهاراتِ.

فأهتم الإسلام بالوقت وقد أقسم الله ﷻ به في آيات كثيرة، فقال ﷻ: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ ﴾ العصر: ١ – ٢، وقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ الليل: ١ – ٢، وقال ﷻ: ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢ ﴾ الفجر: ١ – ٢، وغيرها من الآيات التي تبين أهمية الوقت وضرورة اغتنامه في طاعة الله ﷻ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ."[1]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل."[2]

فإنَّ الوقت هو عُمر الإنسان، ورأس مالِه في هذه الحياة؛ ذلك أنَّ كلَّ يوم يمضي على الإنسان يأخذ من عُمره ويُقَرِّبه إلى أَجَلِه، فكان حري بالعاقل أن يستغلَّ ويمضي هذا الوقت الذي مَنَحَهُ الله ﷻ إياه فيما يرضي ربه ﷻ، وأن يحقِّق لنفسِه السعادة في الدُّنيا والآخرة.

يقول الحسن البصري ﷺ: "يا ابن آدم، إنَّما أنت أيَّام، كلَّما ذهب يومٌ ذهب بعضُك."[3]، والناظر في حال كثير منَّا اليوم، وكيف يقضون أوقاتهم؛ من تضييع وإهدار للوقت يعلم أنهم محرومون من نعمة استغلال العمر، واغتنام الوقت؛ ولذا

[1] رواه البخاري (8/ 88)، سنن ابن ماجه (2/ 1396)، سنن الترمذي (4/ 550)، السنن الكبرى للنسائي (10/ 387).
[2] مسند أحمد (20/ 296).
[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (2/ 148)، سير أعلام النبلاء (4/ 585).

نراهم ينفقون أوقاتهم، ويهدرون أعمارهم فيما لا يعود عليهم بالنفع.

والعجيب في ذلك فَرَحُ الكثير منهم بمرور هذه الأيام والسنين، وقد علموا أنها تقربهم إلى آجالهم، وتبعدهم عن دنياهم!

إنَّ للوقت أهمية عظيمة، فالمسلم إذا أدرك قيمة وقته وأهميته، كان أكثر حرصًا على حفظه واغتنامه فيما يُقَرِّبه مِن ربِّه ﷻ والاستفادة من وقته استفادة تعودُ عليه بالنفع، فيُسَارِع إلى استغلال الفراغ قبلَ الشغل، والصحَّة قبل السقم؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: "نِعْمَتانِ مغبونٌ فيهمَا كثيرٌ منَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ."[1]

فالسَّاعات أغْلَى من أن تُنفَق في أحاديثَ فارغة، أو مجالس غيبة، لا يتحرى فيها المسلمُ الصِّدق، ولا يأمر فيها بالمعروف، وكما **قال ابن الجوزي** رحمه الله: "الأيَّامُ ثلاثةٌ: الأمسُ قد مضى بما فيه، وغدًا لَعَلكَ تُدركه، وإنَّما هو يومكَ هذا، فاجتهد فيه."[2]

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: "إضاعةُ الوقت أشدُّ منَ الموت؛ لأنَّ إضاعةَ الوقت انقطاعٌ عن الحقّ، والموتُ انقطاعٌ عن الخلق"[3]

وانظر معي – أخي المسلم – إلى هذه النَّصيحة الغالية من رجل عرف قيمة الوقت، وأدرك أهميته؛ فقد سَأل **الفُضيل بن عِياض** رحمه الله رجلاً، فقال له: كم عمرك؟ فقال الرجل: ستُّون سنة، **فقال الفضيل** رحمه الله: فأنت منذُ ستين سنة تسير إلى ربكَ، تُوشك أن تصل، فقال الرجل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، **فقال الفضيل** رحمه الله: مَن عرف أنَّهُ عبد لله، وأنَّه راجعٌ إليه، فليعلم أنهُ موقوفٌ ومسؤولٌ، فليعدَّ للسؤالِ

---

[1] رواه البخاري (8/ 88)، سنن ابن ماجه (2/ 1396)، سنن الترمذي (4/ 550)، السنن الكبرى للنسائي (10/ 387).

[2] التبصرة لابن الجوزي ص 158.

[3] الرسالة القشيرية (1/ 65)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (4/ 54)، وفيات الأعيان (6/ 165)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (8/ 81).

جوابًا، فقال الرجلُ: ما الحيلةُ؟ **فقال الفضيل** ﷺ: يسيرة، تُحسنُ في ما بقيَ، يُغفر لك ما مضى، فإنَّكَ إن أسأتَ فيما بقيَ، أُخذتَ بما مضى وما بقي"[1]

ويقول ابن الجوزي ﷺ: "رأيتُ عموم الخلائق يدفعونَ الزمانَ دفعًا عجيبًا، إن طالَ الليلُ، فبحديثٍ لا ينفع، أو بقراءةِ كتابٍ فيهِ غزاة وسمر، وإن طالَ النَّهارُ فبالنوم، وهم أطرافُ النَّهارِ على دجلة أو في الأسواق... إلى أن قال: فالله الله في مواسمِ العمر، والبدارَ البدار قبلَ الفوات، واستشهدوا العلم، واستدلوا الحكمة، ونافسُوا الزمان، وناقِشُوا النفوس، فكأن قد حَدَا الحادي فلم يُفهم صوتهُ من وقع الندم"[2]

وانظر إلى هذه المواقف التي تبين لنا مدى حرص سلفنا الصالح عن الوقت، فإن معرفة أحوالهم وقراءة سيرهم أكبر عون للمسلم على حُسن استغلال وقته، فهم خير مَن أدرك قيمة الوقت وأهمية العمر، وهم أروع الأمثلة في اغتنام دقائق العمر، واستغلال أنفاسه في طاعة الله ﷻ.

قال ابن مسعود ﷺ: "ما ندمتُ على شيءٍ ندمي على يومٍ غرَبَت شمسُهُ، نقص فيه أجلي، ولم يزدَدْ فيه عملي"[3]

فالحرصَ الحرصَ على الوقت، والبدارَ البدارَ كما جاء في الأخبار، واستغلَّ وقت الشباب في الأعمال النافعة قبل المشيب، فتقول ليت الشباب يعود يوماً.

ومن أعظم ثمار هذا الشهر الكريم، أنه أفضل دورة تدريبية لفن إدارة الوقت، وحفظه واستثماره بشكل دقيق ونافع، فلا ينتظر الناس رؤية هلال شهر كرمضان، فمعرفة بداية الشهر وترقبه بداية عملية تنظيمية لترتيب أوقات المسلم فيما يأتي من أيام،

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 113).
[2] صيد الخاطر لابن الجوزي ص 157.
[3] مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (3/ 29)، موارد الظمآن لدروس الزمان (5/ 622).

فالوقت رأس مال المسلم في هذه الدنيا، وهو أنفس من المال وأغلى من الذهب والفضة، والوقت كالنفَس سريع الانقضاء عديم الرجوع، فيا لخسارة من أضاع وقته في الغفلة والملهيات، وفرط في طاعة الله ﷻ.

إدارة الوقت في رمضان تختلف عن سائر الشهور، إذ يبدأ الصائم تحري وقت الإمساك عند الفجر، ثم وقت الإفطار عند الغروب، ثم وقت صلاة التراويح، ووقت السحور، فيصبح لديه ملكة شيئاً فشيئاً وإتقان لبرمجة أوقاته طيلة شهر كامل، فيكون مؤهلاً لأن ينظم ويرتب أوقاته ويحافظ عليها بالخير طيلة العام لو استشعر ماذا يفعل.

تزداد قيمة وأهمية الحفاظ على الوقت في رمضان، كونه موسماً من مواسم الحصاد والخيرات، يقول أحد الصالحين: "العمر قصير فلا تقصره بالغفلة."

قال ابن القيم رحمه الله: "إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها."[1]

بذلك ينبغي أن يكون شهر رمضان منطلقاً لتنظيم أوقاتنا، فيما سواه من الشهور، والمبادرة بالأعمال الصالحة وتقديمها على اللهو واللغو واللعب، عسى أن ننال رضى الرحمن سبحانه وتعالى، والفوز بالجنان.

فشهر رمضان مدرسة لتنظيم الوقت، واستثمار هذا الوقت فيما يقرب من الله ﷻ، فالصائم في النهار متفرغ للعبادة، إذا هو معافى من تهيئة الطعام وإعداده والتشاغل به، وهذه الأمور تأخذ وقتاً طويلاً، وقد توفر هذا الوقت للصائم فزاده في وقت العبادة والعمل الصالح.

[1] الفوائد لابن القيم ص 31.

فيتعلم المؤمن في مدرسة رمضان قيمة الوقت، والتي هي من أجل نعم الله ﷻ على العبد، فالوقت حياتنا، وهو الجوهر النفيس الذي شرفه الله ﷻ، فالوقت في رمضان أثمن بلا شك منه في سائر الشهور.

فإذا كان الوقت في رمضان ثميناً، فإن كل دقائق حياتك ثمينة أيضاً، فأنت مسئول عن عمرك كله فيما أفنيته، وليكن نور رمضان قد كشف لك حقيقة قيمة الوقت حينما يصرف في طاعة الله ﷻ، فالوقت عزيز في رمضان وفي غيره، ولكن لمن يستثمره لمستقبله المؤبد عند الله ﷻ في جنة عالية.

فجاء رمضان ليذكرنا بعظمة وقيمة الوقت، ويبين لنا أنه أهم موارد الحياة على الإطلاق، فما أحوجنا لإدراك قيمة الوقت في هذا الشهر المبارك.

إن في رمضان تلوح فرصة نادرة لمريدي اغتنام الأوقات واستثمار الأعمار، فرمضان عمر قصير، وأجل محدود، له بداية منتظرة ونهاية معروفة، فبادر باغتنام أوقات عمرك في طاعة الله ﷻ، واحذر من التسويف والكسل خاصة وأنت في هذا الشهر الكريم، فأوقات رمضان لا تعود ولا تقدر بثمن، وهي شاهدة للطائعين بطاعاتهم، وشاهدة على العاصين والغافلين بمعاصيهم وغفلاتهم.

فليسأل المسلم نفسه في كل يوم وفي بداية شهر رمضان في كل عام ماذا عمل لله ﷻ من أعمال، وبماذا استغل أوقاته فكم يقصر المسلم في جنب الله ﷻ، وكم يفرط ولكنه يستمر في غيه ومعصيته لله ﷻ وهذا لا شك أنه من قسوة القلوب.

أخي الصائم...

احرص على ما تبقي من أيام شهر رمضان المبارك واجتهد فيه بالأعمال الصالحة، والحرص على أداء الصلوات جماعة في المسجد واحرص على أداء النوافل،

والصدقات وبذل المعروف والإحسان، واجعل لك ورداً يومياً وليكن جزءاً أو جزأين من كتاب الله ﷻ، فهو خير معين على استثمار وقتك.

ولا شك أن رمضان مدرسة لتنظيم وقت المسلم واستثماره في طاعة الله ﷻ فليحرص كل مسلم على هذه الأوقات وإلا يضيعها في النوم والسهر أو اللعب.

فهل يعي المسلمون اليوم قيمة الوقت؟ ويعرفون أن الوقت هو الحياة.

فالحذر من إضاعة الأوقات في غير مرضاة الله ﷻ، وعليكم بالإفادة من نهار شهر رمضان في الجد والاجتهاد والمثابرة على العمل الصالح وأداء الواجبات الدينية والدنيوية، كما أن عليكم أن تتخذوا من ليله موسماً لأداء العبادات والإكثار من الطاعات والقربات، والحرص على زيادة الحسنات.

وقد **قال ابن القيّم** رحمه الله: "العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه ﷻ، ومدة سفره هو عمره الذي كتب له، ثم جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر."[1]

وقال في موضع آخر: "إذا أراد الله ﷻ بالعبد خيراً أعانه بالوقت، وجعل وقته مساعداً له، وإذا أراد به شراً جعل وقته عليه، وناكده وقته."[2]

وقال ابن رجب: "السعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرّب فيها إلى مولاه ﷻ بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات."[3]

---

[1] طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص185.
[2] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 125).
[3] تفسير ابن رجب الحنبلي (1/ 532).

ورمضان من أشرف أيام الزمان، اختصه الله ﷻ بمزيد من الخير والطاعات فكان عوده على الإنسان من أعظم النعم، وأسعد الأوقات، فأي خسارة أعظم من فواته في لقاءات متكررة، أو ألعاب فارغة، أو حتى حال يصل ببعضنا إلى لقاءات في المقاهي، وأمام شهوات تنتهك بها حرمات الله ﷻ.

فليجتهد كلٌ منا أن يكون له برنامج عمل خلال هذا الشهر الكريم يلتزمه في يومه فإذا ما قضاه وانتهى منه يمكن أن يكافأ نفسه، بوقت راحة يزور فيه أحبابه وأصدقاؤه، أو يتسلّى بشيء مباح حلال.

فكونوا من المحافظين على أوقاتكم، واستثمروها الاستثمار الجيد والاستغلال الصحيح في هذا الشهر الكريم، وكونوا من المحافظين على أوقاتكم دائماً في رمضان وفي غير رمضان، واجعلوه خير محطة تتزودوا منه، فمدرسة الوقت مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

مـدرسـة الـعـفـو والـتـسـامـح

يعتبر التسامح من طرق الوصول إلى الله ﷻ، والسعادة، والحب، حيث يفتح الفرص للتخلص من الخزي، واللوم، والذنب، كما أنه يطهر الروح والقلب، ويزيد الشعور بالاستقرار النفسي والأمن، وقد يكون التسامح على مستوى الأفراد، والجماعات، والدول، ويعرف التسامح أيضاً بأنه الاحترام، والتقدير، والقبول للصفات الإنسانية، ولأشكال التعبير، وللتنوع الثقافي، كما أنّه من الأمور المهمة التي دعا لها العظماء على مر الزمان، وخاصةً النبي ﷺ والعديد من الأنبياء المرسلين، حيث لم يكره أحداً من قومه على الدخول بالإسلام، وبذلك كان خير إمام للدعوات السلميّة بالرغم مما لاقاه من ظلم وأذى واضطهاد.

تظهر أهميّة التسامح جليّة في العديد من جوانب الحياة المختلفة، حيث يزيد التكافل بين أفراد المجتمع، ويبعث على الشعور بالسعادة، مما يقلل نسبة العصبيّة والتوتر التي تؤدي إلى انتشار الجريمة والعنف في المجتمع، بالإضافة إلى أنّه يبني المجتمع، ويجعله يزدهر من خلال فتح آفاق السعادة والحبّ بين الأفراد، وتقوية العلاقات الاجتماعيّة، ويزيد تحضر المجتمع ويوحده، كما أنّه من الأعمال التي يؤجر الإنسان على فعلها كونها تنقي القلوب، وترفع صاحبها لأعلى المراتب، وهو من الأمور التي تقوي الجهاز المناعي، وتقلل نسبة تلف خلايا الدماغ العصبيّة.

يعدُّ خُلُق التَّسامح من أهمِّ القِيم الإنسانيَّة الحياتيَّة العالميَّة؛ إذ يُنظَر إليه على صعيد الفرد كمُكتسَبٍ قِيَميّ راقٍ؛ يُعزِّز احترام الفردِ لذاته وارتباطه بالآخرين، كما يُنظَر إلى التَّسامح مجتمعيّاً على أنَّه تشريعٌ ذاتيٌّ مُستحَقٌّ؛ يضمن تحصيل الحقوقِ وأداء

الواجباتِ ليخلق مجتمعاً مُتراحماً مُلتحماً، وتُشكِّل هذه النَّظرة تجاه التَّسامح مسؤوليَّةً سياسيَّةً وكياناً قيميّاً، يُحتِّم على الجميع احترامه والالتزام بمضامينه وأخلاقيَّاته.

فالتَّسامح سِمة إسلاميَّة يحملُ المفهومُ الإسلاميُّ للتَّسامح قيمةً مخصوصة ومرغوبةً؛ إذ لا يتركَّن التَّسامح في مفهومه الإسلامي إلى مبادئ الحقوق والواجبات، ولا يكون في الشرائع والحدود والمحرَّمات، ولا يطالُ القوانين والقضاءَ، بل إنَّه يخصُّ العلاقات النَّاظمة لتوادِّ النَّاس ومعاملاتهم وحسنِ معاشرتهم؛ بتركِ ما لا يجبُ تفضُّلاً وتنزُّهاً بكرمٍ يُظهره القويُّ صاحب السُّلطةِ، والحقّ على الضَّعيفِ المتكفِّلِ بأداءِ الحقِّ والملزَم فيه مع قدرةِ الأوَّل على تحصيلِ حقِّه، ثمّ يتركهُ صفحاً وعفواً.

وتتجلَّى قيمةُ التَّسامح في الإسلامِ من خلالِ تعميمِ النَّظرة الأخلاقيَّة والإنسانيَّةِ إلى ركائزَ مختلفةٍ وأخلاقٍ شتَّى تُحقّق مجتمعةً المساواة والعدل، وتُرسِّخُ مبادئ الاعترافِ بالآخرِ واحترامِ المناهج والأفكارِ والمعتقداتِ والاختلافات مهما تنوَّعت وتعدَّد أتباعها، وتجمعُ ذلك كلَّه إنسانيَّةُ البشرِ وتكافلهم، ليُرسِّخ الإسلام من خلال التَّسامحِ مبادئ الإخاء الإنسانيّ، ويُنظِّم تعاملات النَّاسِ وتعايشهم بما يتناسبُ مع تنوّعِ دياناتهم وأعراقهم وانتماءاتهم وألوانهم.

إنَّ تحقيقَ التَّسامح بين النَّاس وتعميمه بينهم ليشملَ جميع معاملاتهم وأمور حياتهم، يتطلَّب تأكيداً تربوياً دستورياً يرعاه، ويُنظِّمه، ويضمنُ ترتيبه واستحقاقه، ويكفلُ إنفاذه بلا ضرر ولا غُبن، فقد ضمن الإسلامُ حقوقَ النَّاسِ وأكَّدَ على تمامها وعدم الانتقاصِ من حقوقهم شيئاً مهما كانت مستوياتهم ودرجاتهم بالنَّسبِ والمالِ والشَّرف وغير ذلك، بل إنَّه رعى الأطراف جميعاً دون انتقاصٍ لحقٍّ أو مُراوغةٍ وميلٍ لفئة، حتَّى إنَّه مَنح النَّاس من أصحابِ الدّيانات الذين يعيشون في أرضِ الإسلام

حقوقهم كاملةً، وأوَّلها حقُّ اختيار الدِين والأمن على اختياره, والإسلام بصفته دين الإنسانيَّةِ والتَّسامح يسعى إلى تحقيق التواؤم والتَّوادِّ والتَّعاطف والإحسانِ بين النَّاس جميعاً دون حصرٍ لهذه القيم لأفراده أو أتباعه فقط، وبذلكَ فقد تميَّزَ الإسلامُ بقيمة التَّسامح حتَّى جعلها سِمته البارزة، ونظَّم هذه القيمة بما يتوافقُ مع معناها الإنسانيّ الشموليّ، فقضى بضمانِ الحقوقِ أوّلاً، ثمَّ عمَّم العدلَ، ودعا إلى التَّراحم والتَّنازل عن الحقوقِ، والعفو عند القدرة، والعَدلِ بما يملك كلُّ فردٍ من قدرته وسلطته.

إنّ العفو والتسامح خُلُقان كريمان تحتاجهما النفس البشرية لتتخلّص من كل الشوائب التي قد تعلق في القلب من أثر الأذى، وكذلك لينعم الأفراد بالخير والحب وانشراح الصدر، وهما إنّما يتحقّقان بطولِ صبرٍ وكظمٍ للغيظ واحتساب الأجر عند الله ﷻ، ولا ريب أنّ تغليب العفو والتسامح على العقاب ينجّي الأفراد من المنازعات الحادة التي قد تنشأ بينهم، إلّا إذا تمادى أصحاب الأذى مع كثرة العفو وتكرّر ظلمهم وإساءتهم؛ فَعَلى المسلم أن يكون فَطِنًا يَقدُر للأمور قدرها فيكون الإصلاح في هذه الحالة أولى من العفو والتسامح لدفع الضرر الحاصل.

فالتسامح هو التّساهل مع الآخرين، والإحساس بهم وبكينونتهم، وعدم إقصائهم لمجرّد وجود اختلاف معهم، ومن هنا فإنّ مصطلح التّسامح لا يقف عند كونه مُصطلحاً يدعو إلى احترام الآخرين واحترام الاختلاف القائم، بل هو أسلوب حياةٍ وسمةٍ جليلة إن اتّصف الإنسان بها كان أبعد ما يكون عن سائر أنواع التّطرف والعنف المختلفة.

إن التّسامح فكرة عامّة، يمكنها أن تشمل نواحي الحياة كافّة؛ حيث تمثّل هذه الفِكرة حجر الأساس لبناء المجتمعات الآمنة المطمئنّة التي تسعى إلى خيرها، وبناء

مستقبل مشرق، وتأسيس علاقات إنسانية مبنيّة على المحبة والألفة والتّعاون المشترك.

التسامح من أسمى الصفات التي أمرنا بها الله ﷻ ورسوله ﷺ، فالتسامح هو العفو عند المقدرة والتجاوز عن أخطاء الآخرين ووضع الأعذار لهم، والنظر إلى مزاياهم وحسناتهم بدلاً من التركيز على عيوبهم وأخطائهم، فالحياة قصيرة تمضي دون توقف فلا داعي لنحمل الكُره والحقد بداخلنا بل علينا أن نملأها حب وتسامح وأمل حتى نكون مطمئنين مرتاحو البال، وهو يقرب الناس لنا ويمنحنا حبهم.

والتسامح من الأخلاق الحميدة التي أمرنا الله ﷻ ورسوله ﷺ بالالتزام بها، فهو دليلٌ على زكاوة النفس ونقاء السريرة وحب الخير، كما أنه لا ينبع إلا من قلبٍ طيبٍ يكره الأنانية والبغضاء، ولا يعرف إلا الحب والتقدير والتجاوز عن الأخطاء، ولذلك يُعتبر المتسامح شخصاً فريداً من نوعه، يُقدّر أن الله ﷻ حين خلق القلوب لم يخلقها عبثاً، ولم يجعل الحقد من ميزاتها، وإنما فتح باب الخير فيها وجعلها مشرعةً للحب والصفح والتجاوز عن أخطاء الآخرين وزلاتهم.

والتسامح يُشعل الطاقة الإيجابية في القلب، ويجعل الحياة تبدو أجمل في عيني صاحبه؛ لأن الشخص المتسامح يتخلص من جميع الأشياء المزعجة أولاً بأول، ولا يُحمّل قلبه طاقة العتب والضغينة على أحد، فيشعر أن قلبه صافٍ ونقي، ولا يُفكر فيما يُعكر هذا النقاء أبداً، كما أن التسامح يطرد جميع الطاقة السلبية التي تُسيطر على الجسد، وتجعل منه روحاً تطير كالفراشة، لا تعرف أن تهبط إلا على قلبٍ نظيفٍ لا يعرف الخبث أبداً.

للتسامح أفضالٌ كثيرة لا يمكن حصرها ولا عدها، كما أنه يجرّ تبعاتٍ رائعة على الفرد والمجتمع، حيث يُشيع أجواء الحب والمودة والتفاهم بين الناس، كما يُقرب بين القلوب، ويؤلف بين العقول، ويمد أطراف الحوار وينظمها، فإن حضر التسامح يحضر التنظيم والتفاهم وتتقارب الأفكار، لذلك يُعتبر التسامح كنزاً حقيقياً لمن يمتلكه، ومن لا يمتلك هذه الفضيلة فعليه أن يتعلمها، فالحياة تبدو قصيرةً جداً إن لم تكن مكللةً بخلق عظيم.

يجب أن يكون منهجاً مهماً في الحياة، وأن يكون من الأشياء المقدسة التي تضمن خط العودة في كل مرة، فمن لا يُعود نفسه على التسامح سيخسر كثيراً، وسيشعر في لحظةٍ ما بأنه وحيدٌ أو أن أحدهم يستقصده، خصوصاً أن التسامح يُتيح للشخص أن يلتقي بعدوه وبمن آذاه دون أن يكون لديه أدنى تفكير بإلحاق الضرر به، أو بالانتقام منه، وهذا دليلٌ أيضاً على أن الأشياء الصغيرة في حياتنا، والتي لا نُلقِ لها بالاً، تربط أحياناً مصيراً كاملاً من الحياة، فالحياة أقصر بكثير في أن نضيعها بلا تسامح أو حب.

ها نحن نستقبل شهرًا مباركًا، وموسمًا عظيمًا، خصَّه الله ﷻ بالتشريف والتكريم، وأنزل فيه القرآن العظيم، وفرَض صيامه على المسلمين، فهو شهر التقوى، وشهر القرآن، وشهر الإفطار والإطعام، وشهر الصدقات، وشهر إجابة الدعوات.

ولكن حتى تتضاعَف الحسنات، وتُرفع الدرجات، وتُجزل الهبات، وتَكثُر النفحات، لا بد أن يتحلى المرء بصفة طيبة من مكارم الأخلاق؛ وهي التسامح الذي يعدُّ دُرَّة السجايا الحميدة، وشعاع الخير الذي ينيرُ جوانب القلوب العاتبة، فتعفو وتصفَح، وبسمة الرِّضا التي ترسُمُ ملامح النُّبل على الوجوه الشاحبة فتُشرق.

ما أحوجنا للتسامح في تلك الأيام المباركة، وما من عمل أفضل من أن تُرفع الأعمال الصالحة إلى الله ﷻ أثناء الصيام، بشرط أن تكون القلوب صافيةً ونقيَّة مِن شوائب البُغض والكره، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "تُعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين، فيَغفر الله ﷻ في ذلك اليوم لكلِّ امرئ لا يشرك بالله شيئًا؛ إلا امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اركُوا هذين[1] حتى يَصطلحا، اركوا هذين حتى يَصطلحا."[2]، فذكر أن أعمال المتخاصمين لا تُعرض على الله ﷻ، ولم يذكر علَّة ذلك.

ولكن مما يُمكن استنباطه من ذلك أن الإسلام حثَّ على الإخاء والمودة، وحرَّم التدابر والتقاطع بين الإخوان، ونوَّع في ذلك الحث ما بين أسلوبي الترغيب والترهيب، وهنا جاء بأسلوب الترهيب؛ للحث على إزالة الإحَن وتقوية أواصر المودة، والتحذير مما يُضادُّ ذلك من هجر وتقاطع.

ومما يُمكن استنباطه أيضًا ما ذكره بعض أهل العلم من أن سبب ذلك هو عظمة الجُرم، وخطورة الوزر؛ **قال ابن عبد البرِّ**: "وذلك لعِظَم ذنب المهاجَرة والعداوة والشحناء لأهل الإيمان، وهم الذين يأمنهم الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، المصدِّقون بوعد الله ﷻ ووعيده، المجتنبون لكبائر الإثم والفواحش، والعبد المسلم مَن وصفْنا حاله، ومَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده، فهؤلاء لا يحلُّ لأحد أن يَهجرهم ولا أن يبغضهم، بل محبتهم دِين، وموالاتهم زيادة في الإيمان واليقين، وفي هذا الحديث دليل على أن الذنوب بين العباد إذا تساقَطوها وغفرها بعضهم لبعض

[1] اركوا هذين: أي أخروا يقال ركاه يركوه ركوا إذا أخره.
[2] رواه مسلم (4/ 1987).

أو خرج بعضهم لبعض عما لزمه منها، سقطَت المطالبة من الله ﷻ؛ بدليل قوله ﷺ في هذا الحديث: "حتى يصطلحا"، فإذا اصطلحا غفر لهما."[1]

فشهر رمضان فرصة ذهبية، ودعوة خالصة إلى كل المتخاصمين لكي ينتزعوا من قلوبهم الشحناء والبغضاء والغلَّ، وأن يزرعوا بدلًا منها المودة والمحبة والرحمة والتسامح والعفو، ومِن أهمِّ مظاهر التسامح وصفاء القلب السلام بالقول والمصافَحة، ويُمكن أن يكون بالقول دون المصافحة؛ لقوله ﷺ: "يَلتقيان، فيُعرض[2] هذا، ويُعرض هذا، وخيرهما[3] الذي يبدأ بالسلام."[4]

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام."[5] ؛ ففي السلام أيضًا مظهر عظيم يوضِّح أن الذي يُبادر بالسلام أفضل وأعظم أجرًا؛ لأنه الذي بدأ بقرار التسامُح؛ فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحلُّ لمسلم أن يَهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يَلتقيان، فيُعرض هذا، ويُعرِض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام."[6]

فصِفة التسامُح قد تكون السبب في المغفرة ورضوان الله ﷻ على عباده؛ فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما مِن مسلمَين يَلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرَّقا."[7]

فرمضان شهر الرحمة والغفران، فيه ينشر الله ﷻ رحمته، ويوسع مغفرته، فله في كل ليلة من ليالي رمضان عتقاء من النار.

---

[1] الاستذكار (8/ 294).
[2] فيعرض: بوجهه وينصرف.
[3] خيرهما: أفضلهما وأكثرهما ثوابا.
[4] رواه البخاري (8/ 21)، رواه مسلم (4/ 1984)، المعجم الكبير للطبراني (4/ 146).
[5] شعب الإيمان (11/ 202).
[6] رواه البخاري (8/ 21)، رواه مسلم (4/ 1984)، المعجم الكبير للطبراني (4/ 146).
[7] مصنف ابن أبي شيبة (5/ 246)، سنن ابن ماجه (2/ 1220)، سنن الترمذي (5/ 74).

وعد فيه الصائم المحتسب بالغفران.. ووعد القائم المحتسب بالغفران... وجعل ليلة القدر ليلة غفران.. وفي هذا من المعاني العظيمة ما يدفع المؤمن إلى أن يكون هو الآخر عفوًا حليمًا كريمًا.

فعفو الله ﷻ من العافين أقرب؛ لأنه ﷻ يحب العفو، قال ﷻ: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٣، والجزاء عند الله ﷻ من جنس العمل، فمن عفا عفا الله ﷻ عنه، ومن غفر غفر الله ﷻ له، وفي هذا الدرس الرمضاني عبرة لكل مؤمن لكي يوطن نفسه على العفو عن الزلات، والحلم عن المخطئين، قال ﷻ في مدح من هذا شأنه: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤

من فوائد العفو أنه من مظاهر حسن الخلق، ودليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، ودليل على سعة الصدر وحسن الظن، ويثمر محبة الله ﷻ ثم محبة الناس، وأمان من الفتن وعاصم من الزلل، وطريق نور وهداية لغير المسلمين.[1]

ومن فوائد الصفح أنه أعمق من العفو إذ يزيل الله ﷻ به أثر الضغائن، وهو من مستلزمات الإحسان، والإحسان أعلى درجات الإيمان، يقوي رابطة التآخي بين أفراد المجتمع ويجعلهم متحابين متحدين.[2]

[1] نظرة النعيم (7/ 2910)
[2] نظرة النعيم (6/ 2535)

فكونوا من المسامحين والمصافحين والعافين عن الناس في هذا الشهر الكريم، وكونوا من الكاظمين الغيظ والمسامحين والعافين دائماً في رمضان وفي غير رمضان، واجعلوه خير محطة تتزودوا منه، فمدرسة العفو والتسامح مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

مدرسة سلامة الصدر

مع مدرسة جديدة وعظيمة راقية، وخلق يبعث على حب الخير للآخرين، على بذل الخير والمعروف والإحسان لهم، وكف الأذى والسوء عنهم، من اتصف به عاش سعيدًا مرضيًّا محبوبًا، يحبه العباد، ويحبه الله ﷻ، خلقٌ من أعظم الخصال، وأشرف الخلال، إنه سلامة الصدر.

ما أحوجنا إلى هذا الخلق الكريم في زمن فشت فيه مظاهر الحقد والحسد والكراهية !

فسلامة الصدر هي نقاء القلب، وخُلوُّه من كل غلٍّ وحسد وحقد على المسلمين، وهي صفاء القلب، وطيب النفس، وحسن السريرة.

والصدر السليم هو الذي لا غشَّ فيه، ولا غلَّ فيه، ولا حقد فيه، ولا حسد فيه، ولا ضغينة فيه، ولا كراهية ولا بغضاء فيه لأحد من المسلمين.

فالصدور السليمة، والقلوب السليمة، والنفوس الزكية هي التي امتلأت بالتقوى والإيمان؛ ففاضت بالخير والإحسان، وانطبع صاحبها بكل خلق جميل، وانطوت سريرته على الصفاء والنقاء وحب الخير للآخرين، فهو من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، أما صاحب القلب الخبيث والخلق الذميم، فالناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء.

المسلم لا يكون إلا سليمَ الصدر، طيب النفس، طاهر القلب، لا يحمل في قلبه على إخوانه سوءًا ولا ضغينة، بل يحبُّهم ويودهم، ويحب الخير لهم، حَسُنتْ سيرته لما حَسُنت سريرته؛ إذ لا تطيب السيرة إلا بصفاء السريرة؛ **قال الفضيل بن عياض**

ﷺ: "ما أدرك عندنا مَن أدرك بكثرة نوافل الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة"[1]

إن من النعيم المعجل للعبد في هذه الحياة، بل هو جنة الدنيا ولذة العيش أن يرزق اللهُ ﷻ العبد نعمة سلامة الصدر على كل مَن عاش معه، أو خالطه، بل على كل أحد! فقلبه أبيض من ثوبه، يرى أن لكل مسلم عليه حقًّا، وليس له حق على أحد؛ ولذا فحياته طيبة مطمئنة، يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه.

فما أحوجنا إلى صدور سليمة، وقلوب مطمئنة؛ فالقلوب هي منبع المشاعر، ومصدر العواطف، ومحرك الأخلاق، وموجه التصرفات، فإذا صلَحت صلَحت كل الأعمال والأخلاق، وإذا فسدت فسدت كل الأعمال والأخلاق؛ فعن النعمان بن بشير ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلَحتْ صلَح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب."[2]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جارُه بوائقَه."[3]

فلا يَصلُح لسكنى الجنة مَن تلوَّث قلبه بالأدران، بل مَن صفت قلوبهم وطهرت نفوسهم؛ لذا قال الله ﷻ في أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الحجر: ٤٧

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 103)، جامع العلوم والحكم (1/ 225)، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (1/ 48)، سير السلف الصالحين لإسماعيل الأصبهاني ص1034.

[2] رواه البخاري (1/ 20)، رواه مسلم (3/ 1219)، سنن ابن ماجه (2/ 1318)، المعجم الكبير للطبراني (21/ 64)، سنن الدارمي (3/ 1647)، مصنف ابن أبي شيبة (4/ 448).

[3] مسند أحمد (20/ 343).

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري[1] في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا تباغضَ بينهم ولا تحاسد، لكل امرئ زوجتان من الحور العين[2]، يُرَى مُخُّ سوقهن من وراء العظم واللحم."[3]

وأطهر الناس قلوبًا، وأحسنهم سريرة، وأسلمهم صدورًا أنبياء الله ﷻ ورسله، الذين أحبوا الخير لأقوامهم وأممهم، وبذلوا كل غالٍ ونفيس في نصحهم وإرشادهم، وتعليمهم وهدايتهم؛ قال ﷻ عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام :

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الشعراء: ١٠٦ - ١٠٩

وقال ﷻ عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ الصافات: ٨٣ - ٨٤

أما نبيُّنا محمد ﷺ فقد منَّ الله ﷻ عليه بانشراح الصدر، وسلامة القلب، وطهارة النفس؛ فقال ﷻ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ الشرح: ١ - ٤

---

[1] دري: هو الكوكب العظيم البراق الشديد الإضاءة سمي بذلك لبياضه كالدر أو لضوئه.
[2] الحور العين: هن نساء أهل الجنة والحور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها. والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين.
[3] رواه البخاري (4/ 119).

ففي سلامة الصدر صدق الاقتداء بالنبي ﷺ، الذي كان أسلم الناس صدرًا، وأطيبهم قلبًا، وأصفاهم سريرة، وشواهد هذا في سيرته كثيرة؛ فلقد أوذي ﷺ أشدَّ ما تكون الأذيَّة في سبيل تبليغ دعوته للناس أجمعين، وما منعه أن ينتقم من أعدائه حين مكنه الله ﷻ منهم إلا أنه سليم الصدر؛ يحب الخير لأمته، ويكره لها السوء والبلاء، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ: "هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: "لقد لقيت من قومك[1] ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[2]؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي[3]، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[4]، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملَك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئتَ أن أطبق عليهم[5] الأخشبين[6]، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا."[7]

---

[1] لقد لقيت من قومك: المراد من قومها قريش.
[2] يوم العقبة: هو اليوم الذي وقفﷺ عند العقبة التي بمنى داعياً الناس إلى الإسلام فما أجابوه وآذوه وذلك اليوم صار معروفاً.
[3] على وجهي: أي على الجهة المواجهة لي فالجار متعلق بانطلقت أي انطلقت هائماً لا أدري أين أتوجه.
[4] فلم أستفق إلا بقرن الثعالب: أي لم أفطن لنفسي وأنتبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه وفيه إلا وأنا عمد قرن الثعالب لكثرة همي الذي كنت فيه، قال القاضي قرن الثعالب هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير.
[5] إن شئت أن أطبق عليهم: شرط وجزاؤه مقدر وهو أطبقت أي إن شئت ضممت الأخشبين وجعلتهما كالطبق عليهم حتى هلكوا تحته.
[6] الأخشبين: هما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله.
[7] رواه البخاري (4/ 115)، رواه مسلم (3/ 1420).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًّا[1] من الأنبياء ضربه قومه فأدمَوْه[2]، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون."[3]

ولقد ضرب الصحابة ﷺ أروعَ الأمثلة في سلامة القلوب، وطهارة الصدور، فكان لهم من هذه الصفة أوفر الحظ والنصيب؛ فلقد كانوا ﷺ صفًّا واحدًا، يعطف بعضهم على بعض، ويرحم بعضهم بعضًا، ويحب بعضهم بعضًا، كما وصفهم الله ﷻ بذلك؛ حيث قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩

ولقد كانت سلامة الصدر لدى الرعيل الأول ميزان التفاضل بينهم؛ يقول **إياس بن معاوية بن قرة** ﷺ عن أبيه، في وصف أصحاب النبي ﷺ ، قال: "كان أفضلهم عندهم – يعني: الماضين – أسلمهم صدرًا، وأقلهم غِيبة"[4]

وقال سفيان بن دينار ﷺ لأبي بشر ﷺ: "أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا، ويؤجرون كثيرًا، قال سفيان ﷺ: ولِمَ ذاك؟ قال أبو بشر ﷺ: لسلامة صدورهم"[5]، وعن زيد بن أسلم ﷺ أنه دخل على أبي دجانة ﷺ وهو

---

[1] يحكي نبيا: يشبهه ويصفه بحاله وقيل المراد نبي من بني إسرائيل وقيل نوح عليه السلام وقيل النبي نفسه ﷺ.
[2] فأدموه: أسالوا منه الدم.
[3] رواه البخاري (4/ 175).
[4] مصنف ابن أبي شيبة (7/ 186)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (3/ 124)، أخبار القضاة (1/ 323).
[5] الزهد لهناد بن السري (2/ 600)، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (2/ 578).

مريض، وكان وجهه يتهلل، فقال له: ما لكَ يتهلَّلُ وجهك؟ قال: "ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين، أما إحداهما :فكنت لا أتكلم بما لا يعنيني، وأما الأخرى: فكان قلبي للمسلمين سليمًا"[1]

إنها قلوب تسامت عن ذاتها، وتعالت عن حظوظها، وتغلبت على نزواتها وشهواتها.

إن سلامة الصدور وصفاء القلوب من أهم ما ينبغي على كل مسلم أن يولِيَه اهتمامه وعنايته؛ إذ كيف ينجح المربي إن لم يحمل صفاء القلب ونقاء المشاعر؟! وكيف يتلذذ بمناجاة الله ﷻ من لم يصفِّ قلبه تجاه إخوانه المسلمين؟! أم كيف يرجو التوفيق من امتلأ قلبه ضغينة على إخوانه المسلمين؟! والحق أنه يستحيل قيام حضارة سليمة على قلوب عليلة، وأنه ما لم تستقم الضمائر وتصفُ النيات، فلن تصلح الأحوال، ولن تنجح الحضارات ولا الدعوات.

ولذلك فقد حرص دين الإسلام حرصًا شديدًا على أن تكون الأمة أمةً واحدة في قلبها وقالبها، تسودها عواطف الحب المشترك، والود الشائع، والتعاون على البر والتقوى، والتناصح البنَّاء الذي يثمر إصلاح الأخطاء، مع صفاء القلوب وتآلفها، دون غل ولا حسد، ولا كيد ولا بغي؛ قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠؛ فالأخوة الإيمانية تعلو على كل خلاف مهما اشتدت وطأته، وبلغت حدته.

فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا

[1] سير أعلام النبلاء (3/ 152)، صفة الصفوة (1/ 184)، الطبقات الكبرى لابن سعد (3/ 420)، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (2/ 601).

تدابروا[1]، وكونوا عباد الله إخوانًا[2]، ولا يحل لمسلم أن يهجر[3] أخاه فوق ثلاثة أيام."[4] ليس أروح للمرء، ولا أطرد لهمومه، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبرأً من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها، وأحس بفضل الله ﷻ فيها، ولسانه يلهج بذكر الله ﷻ، قائلاً: "اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك؛ فلك الحمد ولك الشكر."[5]، وإذا رأى أذًى يلحق أحدًا من خلق الله ﷻ رثى له، وتألم لألمه، ودعا له بدعوة الخير بظهر الغيب، ورجا الله ﷻ أن يفرج كربه، ويغفر ذنبه، وبذلك يحيا المسلم هادئَ البال، طاهر القلب، سليم الصدر، راضيًا عن الله ﷻ وعن الحياة، مستريح النفس من نزعات الحقد والكراهية؛ فإن فساد القلب بالضغائن داءٌ عضال، وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش، كما يتسرب السائل من الإناء المثلوم!

إن سلامة الصدر خَصلة من خصال البر عظيمة، غابت رسومها، واندثرت معالمها، وخَبَتْ أعلامها، حتى غدتْ عزيزة المنال، عسيرة الحصول، مع ما فيها من الفضائل والخيرات، ومن أراد أن يكون سليم الصدر، سليم القلب، فليأخذ بأسباب سلامة الصدر وطهارة القلب، وهذه بعضها:

1. التعلق بالله ﷻ وحده دون أحد سواه؛ فهو مصرف القلوب، ومدبر الأمور.

---

[1] ولا تدابروا: التدابر المعاداة وقيل المقاطعة لأن كل واحد يولي صاحبه دبره.

[2] كونوا عباد الله إخوانا: أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال.

[3] يهجر: يقاطع.

[4] رواه البخاري (8/ 19)، رواه مسلم (4/ 1983).

[5] السنن الكبرى للنسائي (9/ 8).

2. طاعته ﷻ والاستجابة لأمره؛ قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢٤

3. الإقبال على الله ﷻ بالتضرع والدعاء، فمن أسباب سلامة الصدر أن تلهج بالدعاء والتضرع إلى الله ﷻ أن يجعل قلبك سليمًا من الغِلّ والضغينة والحقد والحسد؛ قال الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحشر: ١٠

4. الإقبال على كتاب الله ﷻ الذي أنزله شفاءً لما في الصدور؛ قال ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يونس: ٥٧ ، فكلما أقبل العبدُ على كتاب الله ﷻ تلاوة وحفظًا، وتدبرًا وفهمًا شفي صدره، وسلِم قلبه.

5. إفشاء السلام بين المسلمين، فالسلام عنوان المحبة والإخاء، وبرهان الصفاء والنقاء؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا[1] حتى تحابُّوا، أولا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم[2]."[3]

[1] ولا تؤمنوا: معناه لا يكمل ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب.
[2] أفشوا السلام بينكم: فيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف.
[3] رواه مسلم (1/ 74).

6. الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين؛ فقد قال ﷻ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣

7. إصلاح ذات البَيْن، فلا ينبغي ترك المشاكل تتكاثر، والصراعات تتفاقم، والعداوات تدوم حتى توغر الصدور، وتملأ القلوب حقدًا وكراهية وبغضاءَ،قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠

ومن فوائد سلامة الصدر:

أولاً: سلامة الصدر من أسباب النصر على العدو:

قال ﷻ: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ الأنفال: ٦٢؛ فائتلاف قلوب المؤمنين من أسباب النصر التي أيد الله ﷻ بها رسولَه ﷺ.

ثانياً: سلامة الصدر سبب في قبول الأعمال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "تُفتَحُ أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء[1]، فيقال: أنظروا هذين[2] حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا

[1] شحناء: أي عداوة وبغضاء.
[2] أنظروا هذين: أي أخروهما.

هذين حتى يصطلحا"[1]، فانظر كم يضيع على نفسه من الخير مَن يحمل في قلبه الأحقاد والضغائن!

ثالثاً: سلامة الصدر علامة فضل وتشريف:

صاحبها خير الناس وأفضلهم؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: "كل مَخْمومِ القلب، صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غلَّ، ولا حسد."[2]

رابعاً: سلامة الصدر طريق إلى الجنة، والنجاة من النار:

قال ربنا ﷻ على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٧ – ٨٩، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ قال: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته ماءً من وضوئه، معلق نعليه في يده الشمال، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقال: إني لاحيتُ أبي، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاث ليال، فإن رأيت

---

[1] رواه مسلم (4/ 1987).
[2] سنن ابن ماجه (2/ 1409).

أن تؤويني إليك حتى تحلَّ يميني، فعلت! فقال: نعم، قال أنس ﷺ: فكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يحدث أنه بات معه ليلة أو ثلاث ليال، فلم يرَه يقوم من الليل بشيء، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله ﷻ، وكبَّر، حتى يقوم لصلاة الفجر، فيسبغ الوضوء، قال عبد الله ﷺ: غير أني لا أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليال كدت أحتقر عملَه، قلت: يا عبد الله، إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعتَ أنت تلك الثلاث مرات، فأردت آوي إليك فأنظر عملك، فلم أرَكَ تعمل كبيرَ عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فانصرفت عنه، فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي غلاًّ لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه، قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق."[1]

صفاء وود، إخاء وحب، قلب سليم، ونفس صافية، وصدر يحتمل الزلات، ويغفر الخطايا، ويمحو الإساءة بالإحسان.

عباد الله، أصلحوا قلوبكم، وطهِّروا سرائركم، وتفقدوا بواطنكم؛ فإن مَن صلحت سريرته صلَحت علانيته، ومن طهر قلبه حسن عمله، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.

[1] السنن الكبرى للنسائي (9/ 318).

إن سلامة القلوب وصلاحها يكون باستقامتها على أمر الله ﷻ، وإذا استقام قلب العبد ضمن صاحبه طهارته من الشرك والنفاق والرياء والحسد والغش للمسلمين، ومن كان سليم القلب فاز في الدنيا والآخرة .

وأصحاب القلوب السليمة يدركون من الأجر، ويبلغون من المنازل بطهارة قلوبهم ونقائها ما لا يبلغه الصائمون القائمون بصيامهم وأعمالهم الصالحة.

إن قلوب العباد تفسدها الضغائن والشحناء والحسد والأحقاد؛ حتى يشقى بها أصحابها في الدنيا، فلا يهنأون بعيش، ولا يرتاح لهم بال، ولا ترفع لهم أعمال، مع ما يفوتهم من الخير الكثير، بل ويفوتون الخير على غيرهم بسبب ما في قلوب بعضهم على بعض، ولتعلموا أن ليلة القدر رفع العلم بها في سنة من السنوات بسبب خصومة وقعت بين رجلين؛ فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: "خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت."[1]

إن شهر رمضان شهر خير وبركة وإحسان، وهو فرصة عظيمة لتطهير القلوب من أدران الحسد والبغضاء، والكراهية والشحناء.

إنه مناسبة جليلة لإزالة أسباب الخلاف والنزاع بين المتخاصمين، ووضع حد للمتهاجرين والمتقاطعين، إنه فرصة لأن تسمو فيه النفوس على حظوظها، وتتطهر فيه القلوب من أدرانها وغلوائها، فتمتد فيه الأيدي بالمصافحة بعد سنوات الانقباض، وتطرق فيه الأبواب للزيارة بعد طول الجفاء والهجران، وتجتمع فيه الأرحام بعد التفرق والانقطاع.

[1] رواه البخاري (3/ 47).

إن رمضان قد جمع المسلمين في وقت إمساكهم وإفطارهم، وضيق مجاري الشيطان في عروقهم، فصار للصائمين فيه إقبال على الخير والإحسان، ومشاهد ذلك ظاهرة للعيان في موائد الإفطار، وكثرة البر والصدقات، ومساعدة الناس، فلماذا لا يمتد هذا الإحسان إلى مواطن النزاع، ومواضع الخلاف، فتزال أسبابها، ويستعلي على حظوظ النفس أصحابها، فيستبقون إلى من قطعوا وهجروا بالمصافحة والاعتذار استباقهم إلى سائر أنواع البر والإحسان، ورمضان هو الفرصة المواتية لذلك، وقد جاء عن النبي ﷺ أن الصيام سبب لإزالة ما في القلوب من الإحن والغش والدغل، فتكون النفوس أقرب ما تكون إلى الصفح والعفو والمسامحة، قال النبي ﷺ: "من سره أن يذهب كثير من وحر صدره فليصم شهر الصبر أو ثلاثة أيام من كل شهر."[1]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر، ويذهب مغلة الصدر قال: قلت: وما مغلة الصدر؟ قال: رجس الشيطان."[2]

قال الخطابي: "مغل الصدر ما يجده الواجد في صدره من الغل والفساد."[3]

أن الصيام جنة يستجن بها العبد، ومن جملة ما يستجن منه العبد بالصيام الأحقاد والشحناء والبغضاء، حتى يكون قلبه سليماً على إخوانه المسلمين.

ألا فاتقوا الله سبحانه وتعالى ربكم، وأصلحوا ذات بينكم، وطيبوا قلوبكم على إخوانكم، وصلوا ما قطعتم من أرحامكم، وأزيلوا أسباب الخلاف والنزاع بينكم، وخذوا بوصية

---

[1] مسند أحمد (34/ 340).
[2] مسند أحمد (35/ 292).
[3] غريب الحديث للخطابي (3/ 508).

نبيكم ﷺ التي وأصكم بها فقال ﷺ: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال."[1]

إن المسلم الصادق يعيش سليم القلب مبرءاً من وساوس الحقد والضغينة والكره والبغضاء متى رأى نعمة تساق إلى غيره فرح ورضي بها وأحس بفضل الله ﷻ فيها.

إن المسلم الحق هو الذي تمتد مشاعر حبه فتغمر ما حوله وتفيض على الآخرين سلاماً وأمنا، والمجتمع المسلم حقاً هو الذي يكون بين أفراده عواطف حب مشترك وعلاقات ود متبادلة يتعاونون ويتراحمون ويدعو بعضهم لبعض كما أخبر الله ﷻ عن الرعيل الأول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ الحشر: ١٠

كم قضت الأحقاد على علاقات؟ وكم خربت من بيوت؟ وكم تمكنت من صدور فحولتها إلى خصومة مع الآخرين ضيعت لذة الإيمان وأوهنت عرى التقوى وهنا لا يكون للعبادة لذة بل تؤدى وكأنها عادة وهنا يعمى أصحابها عن الفضائل ويضخمون الرذائل ويتعدون إلى الكذب والافتراء على الآخرين فتشتعل القلوب بنار العداوة والبغضاء والشيطان يستمتع بذلك ويغذيه ويحرص على أن يسلك به كل طريق ليحرق حاضر الناس ويقضي على مستقبلهم وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش

[1] رواه البخاري (8/ 19)، رواه مسلم (4/ 1983).

بينهم[1]" [2]؛ لأن الشر إذا تمكن من القلوب تنافر ودها وتحولت إلى حال من القسوة والعناد وقد قطع الإسلام كل طريق يؤدي إلى الاختلاف والخصومة، إن سلامة الصدر فضيلة عظيمة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياة ومشاعره مع الناس فربما لم يحالفه الحظ في الحياة وهنا لا يحقد على غيره ولا يتربص به الشر بل لكلٍ ما قسم الله ﷻ له، وأما هدي إبليس فهو الحقد والحسد؛ لأنه لما رأى آدم أكثر منه حظاً حلف ألا يترك أحداً من بنيه يستمتع، قال ﷻ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ الأعراف: ١٦ - ١٧

إن المسلم حينما يرتفع إلى المستوى الأعلى ويقتدي بالرسول ﷺ، ويرتقي إلى مدارج الكمال ينظر إلى من دونه نظرة عطف وحنان ويمد يده محاولاً أن ينهض به فإن أعياه ذلك لم ينطوِ قلبهُ على الغش ولا الحقد عليه.

رمضان فرصة لتصفية القلوب والتحلل من الأوزار والذنوب؛ لأن أقرب القلوب إلى الله ﷻ أصفاها وأتقاها وأنقاها، **قال ابن تيمية** رحمه الله: "فالقلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر، وكمال ذلك بأن يعرف الخير والشر، فأما من لا يعرف الشر فذاك نقص فيه لا يمدح به."[3]

---

[1] ولكن في التحريش بينهم: أي ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها.
[2] رواه مسلم (4/ 2166).
[3] مجموع الفتاوي لابن تيمية (10/ 302)، الفتاوي الكبرى لابن تيمية (5/ 264).

فكونوا من أصحاب الصدور السليمة والقلوب الطاهرة في هذا الشهر الكريم، وكونوا من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس دائماً في رمضان وفي غير رمضان، واجعلوه خير محطة تتزودوا منه، فمدرسة سلامة الصدر مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

مدرسة الجهاد

إن الجهاد في سبيل الله ﷻ جزء لا يتجزأ من هذا الدين، فقد أمر الله ﷻ به لأهداف كثيرة، منها القضاء على الكفر والشرك ليعبد الله ﷻ وحده في الأرض، قال ﷻ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ البقرة: ١٩٣، وعن أبي أمامة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: "عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم."[1]، **وقال ابن القيم** ﷺ: "وأما تأثير الجهاد في دفع الهم والغم فأمر معلوم بالوجدان، فإن النفس متى تركت صائل الباطل وصولته واستيلاءه اشتد همها وغمها وكربها وخوفها، فإذا جاهدته لله ﷻ أبدل الله ﷻ ذلك الهم والحزن فرحاً ونشاطاً وقوةً كما قال ﷻ: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ التوبة: ١٤ – ١٥، فلا شيء أذهب لجوى القلب وغمه وهمه وحزنه من الجهاد والله المستعان."[2]

والجهاد في سبيل الله ﷻ من أعظم الحسنات فلذلك فهو من أعظم ما يكفر الله ﷻ به الذنوب، **قال ابن تيمية** ﷺ: "ومن كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد، فإن الله ﷻ يغفر ذنوبه كما أخبر الله ﷻ في كتابه بقوله ﷻ: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ الصف: ١٢، ومن أراد التخلص من الحرام والتوبة ولا يمكن رده إلى أصحابه فلينفقه

[1] مسند أحمد (37/ 392)، السنن الكبرى للبيهقي (9/ 35).
[2] زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم (4/ 193).

في سبيل الله ﷻ عن أصحابه فإن ذلك طريق حسنة إلى خلاصه مع ما يحصل له من أجر الجهاد، وكذلك من أراد أن يكفر الله ﷻ عنه سيئاته في دعوى الجاهلية وحميتها فعليه بالجهاد."[1]

فالجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة لا يبطله شيء ولا ينقضه، إلا أن القيام به في وقت ما أو ظرف معين يتوقف على مدى تحقيقه للمصلحة المرجوة منه.

إن الجهاد في سبيل الله ﷻ من أفضل ما تقرب به المتقربون، وتنافس فيه المتنافسون، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من إعلاء كلمة الله ﷻ، ونصر دينه، ونصر عباده المؤمنين، وقمع الظالمين والمنافقين الذين يصدون الناس عن سبيله، ويقفون في طريقه، ولما يترتب عليه أيضًا من إخراج العباد من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.. وغير ذلك من المصالح التي تخص المؤمنين، وتعم الخلائق أجمعين.

قال ابن القيم رحمه الله: "والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع، قال ﷻ: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ التوبة: ٤١[2]

وقال ابن تيمية رحمه الله: "والجهاد منه ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب، والدعوة والحجة واللسان والرأي والتدبير والصناعة، فيجب بغاية ما يمكن."[3]

---

[1] مجموع الفتاوى لابن تيمية (28/ 421)

[2] زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم (3/ 64).

[3] الفتاوي الكبرى لابن تيمية (5/ 538).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: أن النبي ﷺ قال: " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"[1]

الجهاد في سبيل الله ﷻ عبادة من العبادات العظيمة التي يتعبد لله ﷻ بها، وهو يعد من لوازم القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغ التوحيد للناس وإزالة ما يضاده من الشرك.

فما أعظمه وأشرفه من عبادة؛ حيث لا ينحصر نفعها على القائم بها ولكنها تتعداه إلى الناس بهدايتهم إلى الخير والسعادة في الدنيا والآخرة وإنقاذهم بإذنه ﷻ من الشر والشقاء في الدنيا والآخرة.

فالجهاد ذروة سنام الإسلام، يقول ﷺ: "رأس هذا الأمر الإسلام، ومن أسلم سلم، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد."[2]

فالجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ﷻ، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: "إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور."[3]

قلما شهد شهرٌ من معارك الجهاد في سبيل الله ﷻ وتحقيق الفتوحات والانتصارات الإسلامية الكبرى، مثلما شهد شهر رمضان، فهل كان ذلك أمرًا مقدرًا ليضيف إلى فضل رمضان وتشريفه فضائل أخرى جديدة غير كونه شهر القرآن الذي بدأ فيه نزولُ الوحي على النبي ﷺ لينشئ أمة تسود الدنيا علمًا ونورًا وحضارة.

---

[1] مسند أحمد (21/ 232)، سنن الدارمي (3/ 1577)، سنن النسائي (6/ 7)، المستدرك للحاكم (2/ 91)

[2] المعجم الكبير للطبراني (20/ 55).

[3] رواه البخاري (1/ 14).

وكان شهر رمضان الذي شهد بداية تكوين الأمة الإسلامية، أراد الله ﷻ أن تعلى فيه راية الجهاد لحماية تلك الأمة التي ترفع راية الإسلام التي هي راية التوحيد، التي هي لا إله إلا الله، والتي تلخص تاريخ الدعوات السماوية كلها منذ آدم عليه السلام أبي البشر إلى محمد ﷺ سيد البشر، وخاتم الرسل بدينه الذي هو خاتم الرسالات، والذي لا دين بعده، ولذا اؤتمن أتباعه المسلمون على حمايته ونشره وإعلاء كلمته، بالجهاد في سبيل الله ﷻ الذي لا يعدله عمل آخر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: لا أجده، قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطع ذلك؟! قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن فرس المجاهد ليستن في طوله، فيكتب له حسنات."[1]

وللضرورة الجهاد في الأمة الإسلامية لجعل كلمة الله ﷻ هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فإن الجهاد كان فرض كفاية إن قام به بعض المسلمين سقط عن الآخرين إلا أن يدخل العدو بلدًا مسلمًا فيتعين على كل أهلها حتى النساء أن يدخلوا في الجهاد لدفع العدو.

وقد جعل الإسلام الجهاد شرفًا لا يطاوله شرف آخر، ومن لم ينل هذا الشرف، فعليه على الأقل أن يكون قد تمنى نيله، وإلا مات على شعبة من النفاق، كما قال ﷺ: "من مات ولم يغزُ ولم يحدثْ نفسَه بالغزو مات على شعبة من النفاق."[2]

[1] رواه البخاري (4/ 15)، السنن الكبرى للنسائي (4/ 280).
[2] رواه مسلم (3/ 1517).

وارتباط الجهاد عمومًا بشهر رمضان هو ارتباط بين رفيقين ارتباط تآلف وموافقة لا ارتباط تنافر أو مصادمة، فرمضان صومه لا رياء فيه، وكذلك الجهاد لا رياء فيه، ورمضان صيامه صبر على تحمل المشقة، وكذلك الجهاد صبر على تحمل المشقة، ومن أجل هذا كان الصوم تدريبًا على الجهاد، بل إنه أحد العوامل الحاسمة في اختيار الرسول ﷺ لقادة جيوشه، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة، فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وتؤمنا، فأوثق لهم فأسلموا، قال: فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب، ولا نكون مائة، وأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة إلى جنب جهينة، فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً، فلجأنا إلى جهينة فمنعونا، وقالوا: لم تقاتلون في الشهر الحرام، فقلنا: إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام، فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقال بعضنا: نأتي نبي الله ﷺ فنخبره، وقال قوم: لا بل نقيم هاهنا، وقلت أنا في أناس معي: لا بل نأتي عير قريش فنقتطعها، فانطلقنا إلى العير وكان الفيء إذ ذاك: من أخذ شيئاً فهو له، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر، فقام غضباناً محمر الوجه فقال: "أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة، لأبعثن عليكم رجلاً ليس بخيركم، أصبركم على الجوع والعطش، فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير أمر في الإسلام."[1]

فالصوم والجهاد رفيقان، فلا عجب أن يحفل رمضان بمثل هذه الانتصارات والفتوحات والمعارك التي حولت مجرى التاريخ.

[1] مسند أحمد (3/ 118).

أول رمضان السنة الأولى للهجرة تكونت أول سرية في الإسلام بقيادة النبي ﷺ، ونزل فيهم قوله ﷻ: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ البقرة: ١٩٠

وفي شهر رمضان أيضًا حدث فتحان من أعظم الفتوح الإسلامية هما فتح مكة الذي تحطم فيه آخر صنم من الجاهلية، ليدخل الناس في دين الله ﷻ أفواجًا، وجاء الحق وزهق الباطل، والفتح الثاني هو فتح الأندلس الذي نقل الإسلام إلى أوربا، وشع عليها نور الحضارة الإسلامية مما مهد لأوربا أن تضع أقدامها على عتبة عصر النهضة.

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وبه تنال العزة في الدنيا والآخرة، وهو من أفضل الأعمال وأجلِّ القربات، وما ذلَّ المسلمون إلا عندما تركوا الجهاد، وركنوا إلى الدنيا، فتكالب عليهم الأعداء، وتداعت عليهم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، والتذكير بالجهاد في هذا الشهر المبارك، تذكير بماض مشرق، نحن أحوج ما نكون إلى الاسترشاد به، لنخرج من أزمة طال أمدها، وبعد زمنها، حتى صرنا في مؤخرة الأمم، وأصبحنا مع كثرتنا غثاءً كغثاء السيل، فنزع الله ﷻ المهابة من قلوب أعدائنا لنا، وقذف في قلوبنا الوهن حب الدنيا وكراهية الموت، فالتذكير بالماضي ينبغي أن يساق للعبرة، وللإفادة منه في صنع حاضرنا، ورسم صورة مشرقة لمستقبلنا.

أمر الله ﷻ بالجهاد وحث عليه، ورغب فيه حتى وصف من يبذل نفسه في سبيله بمن يبيع نفسه لله ﷻ، ونعم البيع ذلك البيع، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ التوبة: ١١١، وسمى ﷻ الجهاد تجارة، ولكنها تجارة مع الله ﷻ، وليس المثمن دراهم ودنانير، ولكنه النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ الصف: ١٠ - ١٢، وقال ﷺ: "لغدوة[1] في سبيل الله أو روحة[2] خير من الدنيا وما فيها."[3]، وقال ﷺ: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض."[4]

وليست الغاية من الجهاد في الإسلام إزهاق النفوس وتدمير الممتلكات، وترميل النساء، ولكن الغاية هي نشر دين الله ﷻ في الأرض، وإزاحة المعوقات والعقبات التي تحول بين الناس وبين وصول دعوة الله ﷻ إليهم، حتى يُقْبِلوا على الإسلام، لا يعوقهم عنه جور جائر، ولا تسلط باغٍ.

---

[1] الغدوة: السير أول النهار إلى الزوال.
[2] الروحة: السير من الزوال إلى آخر النهار.
[3] رواه البخاري (4/ 16)، رواه مسلم (3/ 1499).
[4] رواه البخاري (4/ 16).

وشهر رمضان المبارك هو شهر الجهاد، وفيه وقعت أعظم معركتين في حياة الرسول ﷺ، الأولى: معركة بدر الكبرى التي كانت فرقاناً فرق الله ﷻ به بين الحق والباطل، وأصبح للمسلمين بعدها العزة والمنعة.

والثانية: فتح مكة، وبها زالت غربة الإسلام الأولى، وسقطت رايات الوثنية في البلد الحرام، وأصبح الإسلام عزيزاً في أرجاء الجزيرة العربية.

وكذلك كان هذا الشهر عند سلف الأمة، فكثير من الأحداث والفتوحات التي كان لها أعظم الأثر في حياة المسلمين وقعت في هذا الشهر الكريم.

ومما يؤسف له أن هذا المفهوم قد انقلب في نفوس كثير من المسلمين اليوم، فبعد أن كان رمضان شهر الجهاد والعمل والتضحية، أصبح شهراً للكسل والبطالة وفضول النوم والطعام، وهو انتكاس خطير في المفاهيم، يجب تصحيحه، حتى تعيش الأمة رمضان كما عاشه نبينا ﷺ وسلف الأمة من بعده جهاداً وعبادة وعملاً وتضحية، وصدق نبينا ﷺ حين قال: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم."[1]

ومن فوائد الجهاد أنه من كمال الدين وحسن الإسلام، ودليل على حسن الظن بالله ﷻ وقوة اليقين، وهو إعلاء كلمة الله ﷻ فيه عز الإسلام والمسلمين وقمع الشرك وأعوانه، فيه تمحيص للقلوب واختبار للنفوس، من أسباب التمكين في الأرض، فيه إرضاء لله ﷻ وإذلال ودحر للشيطان وأعوانه، من أفضل كسب المؤمن غنائم الجهاد، فيه شفاء لصدور المؤمنين وإهاب لغيظ قلوبهم، ينال العبد أعلى

[1] السنن الكبرى للبيهقي (5/ 516).

الجنان ويقرب من عرش الرب الرحمن ﷻ، وهو إعلان العبودية لله ﷻ ودحض ما سواها.[1]

فكونوا من المجاهدين والمرابطين في هذا الشهر الكريم، واجعلوه خير محطة تتزودوا منه، فمدرسة الجهاد في سبيل الله ﷻ مدرسة عظيمة وخيرها كثير، وأجرها كبير، فتخرج من هذه المدرسة بالتفوق والنجاح وبمرتبة ممتاز حتى تفوز بجنة الرحمن ﷻ.

[1] نظرة النعيم (4/ 1505).

نصيحة ابن القيم ﷺ

قال ابن القيم ﷺ: "هلم إلى الدخول على الله ﷻ ومجاورته في دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها، وذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل، فالذي مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق، إنما هو عمل قلب، وتمتنع فيما يستقبل الذنوب، وامتناعك ترك وراحة ليس عملاً بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك، فما مضى تصلحه بالتوبة وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس للجوارح في هذين نصب ولا تعب، ولكن الشأن في عمرك وهو وقتك الذي بين الوقتين، فإن أضعته أضعت سعادتك ونجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم، وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وبعده، فإن حفظه أن تلزم نفسه بما هو أولى وأنفع لها وأعظم تحصيلاً لسعادتها، وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت، فهي والله أيامك الخالية التي تجمع فيها الزاد لمعادك، إما إلى الجنة وإما إلى النار، فإن اتخذت إليها سبيلاً إلى ربك ﷻ بلغت السعادة العظمى والفوز الأكبر في هذه المدة اليسيرة التي لا نسبة لها إلى الأبد، وإن آثرت الشهوات والراحات واللهو واللعب انقضت عنك بسرعة وأعقبتك الألم العظيم الدائم، الذي مقاساته ومعاناته أشق وأصعب وأدوم من معاناة الصبر عن محارم الله ﷻ والصبر على طاعته ومخالفته الهوى لأجله."[1]

[1] الفوائد لابن القيم ص 116.

وصيـــة رمـضـان قـبـل الـوداع

أحبائي وأعزائي...

يا من كنتم بالأمس تستقبلوني واليوم... ودعتموني..

يا من كنتم تخشون وتبكون في أيامي فبعد انقضائي لا تنسوني..

يا من كنتم تتلون آيات ربكم ليلاً نهاراً فلا تهجرونه سراً وجهاراً..

يا من كنتم تقيمون ليلي وتصومون نهاري فهلا استمريتم وكنتم كراراً؟

أحبائي...

وصيتي لكم ألا تنسوني ولا تنسوا فضلي وفضل أيامي فليس من إكرام الضيف أن ينسوا جميله أو يرفضوا هديته أو يمزقوا عطيته. فلكم تعبتم ولكم عطشتم ولكم اجتهدتم ولكم قرأتم وختمت فهل من الفضل أن تضيعوا ذلك كله بعد انقضائي

وصيتي لكم ألا تنقضوا عهدكم فلكم صامت جوارحكم وقلوبكم ولكن ... ولكن في ليالي سمر مع الأحباب والأصحاب تنسون وتنقضون عهدكم ووعدكم حينما كنتم تدعون بكاء على ألا تعودوا لما كنتم عليه فلا تخلفوا وعدكم وعهدكم مع ربكم ﷻ، فلقد منَّ الله ﷻ عليكم بي ليبني من بنى ويهدم من هدم.

فليبني العبد نفسه من جديد ويبدأ التغيير فأنا فرصة فلا تضييعها بعد اقتناصها فقد خاب وخسر من ضيعني من البداية ولكنها ليست النهاية ففي الست من شوال بعدي الخير كل الخير والغنائم كثيرة لمن أراد الخير. فربك ﷻ حي قيوم لا يختفي ولا يزول باب توبته مفتوح في أي وقت لأي قلب مكلوم يدعوه بالقبول.

وصيتي لكم ...

ألا تنافقوا تلقوني بوجه غير الذي ذهبتم به فها هو العيد والاحتفال بكل جديد والالتقاء بكل حبيب وبعيد فتنسون رمضان وما كان في رمضان فإن رب رمضان هو رب كل الشهور فسألوا الله ﷻ الثبات قبل رمضان وبعده فلا تدري نفس بأي أرض وفي أي وقت تموت.

وصيتي لكم ...

ألا تبخلوا بعدي فلقد كنت بذرة فارعوها وتابعوها حتى تؤتي أكلها كل حين. فالإنفاق فيَ خير مضاعف فهلا تابعتم الإنفاق .... فهلا تابعتم البذل .... فهلا تابعتم الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله ﷻ والإحساس بالشفقة والرحمة بإخوانكم المستضعفين ... المكلومين ... المحرومين أليسوا بإخوانكم؟ أليسوا على دينكم؟ أم إنكم تدعون الأخوة!!!؟

وصيتي لكم ...

لا تتفرقوا بعد أن جمعتكم في كل الأرجاء ومن كل الأجناس كلمة "الله أكبر" من آذان الفجر لتنقطعوا عن الحلال من الأكل والشراب وملاذ الدنيا وتجمعكم عليه أيضاً في وقت المغرب ليحل لكم ما حرم عليكم. هيهات... هيهات... لو اجتمعت كلمتكم هكذا وتوحدت صفوفكم وقبلها قلوبكم... وقتها ما كان عليكم من سلطان إلا سلطان الله ﷻ الحكم العدل.

وصيتي لكم ...

لا تبذروا فأنا لم أكن حرمان ليأتي من بعدي الطوفان بل حرمان ليأتي من بعده الاعتدال فأنت مسئول عن هذا الترف وذاك النعيم، فقال ﷻ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ التكاثر: ٨، فبما تجيبون ربكم ﷻ يوم لا ينفع مال ولا بنون ؟

كما أنك لا ترضى لنفسك الدونية بعد أن كنت من عباد الرحمن تكن من إخوان الشيطان، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الإسراء: ٢٧، وذاك من فرط إسرافهم على أنفسهم بالظلم فترديه المهالك وهو لا يدري.

وصيتي لكم ...

ألا تهجروا القرآن، فالقرآن كلام الله ﷻ فكيف بمؤمن أن يهجر كلام حبيبه خالقه المنعم عليه والمتفضل. فأن كنت تدعي محبة ربك ﷻ فالزم كتابه قولاً وعملاً، فكيف تعمل به وأنت تهجر قراءته؟ فكيف تتدبره وأنت تهجر حروفه؟ فكيف تحبه وأنت تهمل كلامه؟

وصيتي لكم ...

لا تغفلوا عن الدعاء، فالله ﷻ وهو غني عنا ينزل إلى السماء الدنيا ينادي هل من مستغفر فاغفر له، هل من تائب لأتوب عليه، أين أنت أيها الحبيب؟ أين أنت أيها العزيز؟ أين أنت أيها الغالي؟ من هذا النداء من رب السماوات والأرض، فهل

انقضت حاجتك إلى ربك ﷻ؟ هل انتهت متاعبك؟ هل انتهت آلامك؟ فمتاعب إخوانك لم تنتهي فأين أنت منها؟ ومن لها؟ فهل أنت راضي عن نفسك؟ هل فعلت كل ما أمرك به ربك ﷻ؟ هل انتهيت عن كل ما نهاك عنه خالقك ﷻ ؟

وصيتي لكم ...

ألا تجحدوا نعمة الله ﷻ عليكم بعدم الشكر والاعتراف بالنعيم وطيب الجميل فلقد منحكم الكثير ومنه الصيام والقيام والثبات على الطاعة وغيركم حرم منها لعدم الهداية أو لمرض أقعده أو ..... غيرها.

فلقد ذقتم الحرمان في فاحمدوا الله ﷻ على ما وهبكم واشكروه حتى يزدكم فقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧،

فاطعموا الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً واشكروه بجوارحكم وقلوبكم قبل ألسنتكم.

وأخيراً وقد أطلت عليكم الوصية ...

ما أنا إلا حروف ولكن تحمل في طياتها الكثير...

ما أنا إلا أيام وليالي ولكن يومي بدهر وليلي فيه ليلة القدر...

فودعني مودع محب مشتاق واستقبلني استقبال ملهوف محتاج...

فهل ذلك شعورك أم أنك كنت في سجن الجوارح وانطلقت كالطير الجارح الجانح؟ هذا ليس ظني بك ... بل أنك طير كسير... عند الله ﷻ ذليل ومع الشيطان أسد كبير تهجر المعاصي وتلزم طريق الخير وأهله .... عسى الله ﷻ أن يجمعني بكم قادم عامكم!!!!

حبيبي رمضان

أخي وحبيبي وصديقي: شهر رمضان...

من معتكَفي في مسجدي بعد صلاة فجر جمعتك الأخيرة أكتب إليك هذه الكلمات أملأها بحبي لك وامتناني لله ﷻ أن بلّغني إياك.

أخي الحبيب وصديقي العزيز رمضان الكريم ...

زرتنا ففرحنا بك واستبشرنا بمقدمك وأقمت عندنا فأنِسنا بك واستمتعنا بصحبتك، كنت لنا نعم الصديق ونعم الجار ونعم المعين.

وها أنت ترحل عنّا.. وكلّي يقين بأن أرواحنا بعدك لن تكون كأرواحنا فيك وأنفسنا بعدك لن تكون كأنفسنا فيك وأجسامنا بعدك لن تكون كأجسامنا فيك هكذا هي الحياة.

نودّعك أخي الحبيب شهر الرحمة...

بقلوب وجلة وعيون دامعة وأيادٍ إلى الله ﷻ ضارعة أن يكون الله ﷻ قد تقبلنا فيك وعفا عنّا وتاب علينا وأعتق رقابنا من النار.

أخي وحبيبي ...

سلام عليك أيها الذاهب.. سلام عليك ما أحييت قلوبنا.. سلام عليك ما أخذت بأيدينا إلى الله ﷻ .. سلام عليك ما جمعتنا على الطاعة.. سلام عليك ما أحييت إيماننا.. سلام عليك ما أيقظتنا من غفلتنا.. سلام عليك ما أتيت بنا إلى المسجد.. سلام عليك ما جمعتنا في القيام وعلى مأدبة القرآن.. سلام عليك ما أجريت ألسنتنا بالدعاء.. سلام عليك ما وهبتنا من خشوع وخضوع.. سلام

عليك ما أسلت مدامعنا.. سلام عليك ما ملأت قلوبنا بحب الله ﷻ العظيم وحب نبيه ﷺ الكريم وحب كتابه المبين وحب عباده المؤمنين.. سلام عليك ما أطلقت أيدينا بالصدقات.. سلام عليك ما أعتقتنا من إسار الشهوات.. سلام عليك ما حررت قلوبنا من الأهواء.. سلام عليك ما شفيت أمراض قلوبنا.. سلام عليك ما يسرت لنا فعل الخيرات.. سلام عليك ما يسرت لنا ترك المنكرات.. سلام عليك.. سلام عليك.. سلام عليك.

أخي الحبيب..

إن أنت ترحل بعد قليل فكلنا يرحل.. إن أنت تمضي بعد قليل فكلنا يمضي.. إن أنت تفارقنا بعد قليل فقد أخبر الحبيب ﷺ: "واحبب من شئت فإنك مفارقه".. سنة الله ﷻ ولن تجد لسنة الله ﷻ تبديلاً .. ولن تجد لسنة الله ﷻ تحويلاً.

أخي الحبيب شهر القرآن...

حين تقدم على ربك ﷻ .. اذكرنا عند ربك ﷻ وأقرئه منا السلام وأخبره أننا نحبه ﷻ ونشهدك على ذلك وأخبره أننا نحمده ونشكره ونثني عليه الخير كله أن أرسلك إلينا وهدانا فيك إلى الطاعات وعمل الصالحات.

اذكرنا عند ربك ﷻ وقل له إن عبادك يرجون رحمتك ويخافون عذابك.. ضعفاء يحتاجون إلى قوّتك فقوّهم وقوِّ إيمانهم.. فقراء يحتاجون إلى غناك فاكفهم بحلالك عن حرامك وأغنهم بفضلك عمّن سواك.. مساكين يحتاجون إلى رحمتك فارحمهم في الدنيا والآخرة.

اذكرنا عند ربك ﷻ .. وقل له إن أمة حبيبك ﷺ مغلوبة فانتصر.. إن أمة حبيبك ﷺ محزونة فأذهب حزنها.. مهمومة ففرّج همّها.. مسها الضّرّ فاكشف ما بها من ضر.. مضطرة فاستجب دعاء الصالحين فيها واكشف عنها السوء.

أخي وحبيبي..

زرتنا ضيفاً فكنت كريماً غاية الكرم.. ونحن؟! هل أكرمناك؟! هل أدينا حقّك؟! هل قمنا بواجب الضيافة؟! ربّما!!!

اجتهدنا ما استطعنا وقدّمنا ما ملكنا.. فإن كان من تقصير فاعف وتسامح فالعفو من شيم الكرام.. واشفع لنا عند ربك ﷻ .. أرجوك غاية الرجاء.

أخي وحبيبي..

من نفحاتك وبركاتك أننا كنا نقرأ صباح اليوم في "فوائد ابن القيم" وإذا فيها:

"لو عرفت قدر نفسك عندنا ما أهنتها بالمعاصي، إنما أبعدنا إبليس إذ لم يسجد لك وأنت في صلب أبيك آدم فواعجباً كيف صالحته وتركتنا؟!"[1]

وأنا أشهدك يا رمضان على صلحٍ مع الله ﷻ وتركٍ للشيطان ودعاءٍ لله ﷻ بالثبات حتى الممات.

أخي وحبيبي شهر المغفرة...

إن قدّر الله ﷻ أن نلتقي مرةً أخرى فذاك غاية المنى ومنتهى الأمل وإن كانت الأخرى فالموعد الجنة بإذن الله ﷻ حين ندخل برحمة الله ﷻ من باب "الريّان" وحينها تكون شفيعاً لنا أنت والقرآن وما ذلك على الله بعزيز.

[1] الفوائد لابن القيم ص 77.

أخي وحبيبي..

أعدك وأعاهدك أن أكون وفيّاً لك.. حريصاً على الخير ما استطعت.. بعيداً عن الشر ما استطعت.. آمراً بالمعروف ما استطعت.. ناهياً عن المنكر ما استطعت.. أتدارك نفسي والموقف وأشكر الله ﷻ على حلمه وكرمه وستره وتوفيقه وهدايته وكفايته، قال ﷻ: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ النحل: ٩١

أخي وحبيبي..

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإني على فراقك يا رمضان لمحزون جِدُّ محزون ولا أقول إلا ما يرضي الرب، إنا لله وإنا إليه راجعون.

أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه

وإلى لقاء في هذه الدار أو تلك الدار

وداع رمضان

إن المؤمن لَيحزن على انقضاء شهر كريم جلّ كرمه، عاش نوره وفرحته، وذاق طعمه وحلاوته، شهر فاض بالرحمات والبركات وحظي بالحسنات والمسرّات، ما أحلى تلاوة القرآن فيه، وما أجلّ الصدقة في أيامه، يبكي الصالحون لفراقه، ويأسَى القانتون لانقضائه، ويحزن المستغفرون لرحيله.

إن تلكم الأيام المعدودات من نفائس أيام المؤمنين، جرَت فيها أحاسيس حيّة ومشاعر صادقة، أثمرتها معالي الهمم ومسابقة النفوس الدائبة، فلا عجب أن تستهل العبرات وتشتد الحسرات، أسفاً على فوات خير عظيم وسعادة صافية راضية، ما أجمل نهاره المنير بالذكر والتلاوة والمعروف، وما أطيب لياليه العامرة بالقيام وحداء الصالحين وأنين التائبين.

حقاً إنها أيام غالية مباركة، طابت لها النفوس وانشرحَت لها الصدور والأرواح، فكيف لا يكون بعد فراقها أسف وحزن وتوجع؟!.

ها هي الساعات تمر، والأيام تجري وراءها، وعزم شهر رمضان على الرحيل، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، وقُبل فيه من قُبل، وطُرد فيه من طُرد، فالمسلم الصادق التقي يكون اهتمامه بقبول العمل أشد من اهتمامه بالعمل، فهو بعد العمل تجده خائفاً من عدم القبول، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) ﴿المائدة: ٢٧.

إن شهر رمضان عزم وقرر الرحيل إلى الله ﷻ، ولم يبقَ منه إلا القليل، فمن منكم أحسن فيه فعليه التمام والنجاة، ومن كان فرط فليختمه بالحسنى والأعمال

بالخواتيم، فاستمتعوا منه فيما بقي من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعوه عملاً صالحاً يشهدُ لكم به عند الله ﷻ، وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.

سلام عليك شهر الصيام، وسلام عليك شهر القيام، سلام عليك شهر القرآن، سلام عليك شهر الغفران، سلام عليك شهر الرضوان، فكم من أكف ضارعة رفعت، ودموع ساخنة ذرفت، وعبرات حراء سكبت، وحق لها ذلك في موسم الرحمة والمغفرة والعتق من النيران.

إن قلوب المتقين إلى شهر رمضان تحن، ومن ألم فراقه تئن، كيف لا يجري للمؤمن على فراقه دموع، وهو لا يدري هل بقي له في عمره إليه رجوع.

إذا كان هذا جزع من ربح فيه، فكيف حال من خسر في أيامه ولياليه؟!

أنّ يومكم هذا يوم الوداع لشهركم الذي شرفه الله ﷻ وعظمه، ورفع قدره وكرمه بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، ونزول الرحمة والرضوان، شهر جعله الله ﷻ مصباح العام، وواسطة النظام، شهر أنزل الله ﷻ فيه كتابه، وفتح فيه للتائبين أبوابه، فلا دعاء فيه إلا مسموع، ولا خير إلا مجموع، ولا ضرّ إلا مدفوع، ولا عمل إلا مرفوع، الظافر الميمون من اغتنم أوقاته، والخاسر المغبون من أهمله ففاته، شهر جعله الله ﷻ لذنوبكم تطهيراً، ولسيئاتكم تكفيراً، ولمن أحسن منكم صحبته ذخيرةً ونوراً.

يمضي رمضان وقد نال فيه أقوام العتق من النيران، وفازوا بمغفرة الملك الديان، **قال الحسن البصري** رحمه الله: "إن الله ﷻ جعل رمضان مضماراً لخلقه، يتسابقون فيه بطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجيب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر المبطلون."[1]

[1] العقد الفريد (3/ 150)، البيان والتبين (3/ 93)، زهر الآداب وثمر الألباب (2/ 617).

هنيئاً لمن خرج في ختام رمضان بصفحة بيضاء نقية!!

هنيئاً لمن أسبل الدمع على خدِّه من خشية الله ﷻ، وتلذذ في شهره بمناجاة مولاه ﷻ!!

هنيئاً لمن روّض نفسه وزكاها بالطاعات، وسما بها في مقامات الفضائل والقربات!!

هنيئاً لمن لم يفوّت الليالي والأيام والساعات واللحظات!!

هنيئاً لمن خرج مع ربّه ﷻ ونفسه بعهد جديد، وعزم أكيد!!

وداعاً يا شهر رمضان، وداعاً يا شهر الصيام، وداعاً يا شهر القيام، وداعاً يا شهر القرآن، وداعاً يا شهر الإحسان، وداعاً يا شهر الرضوان، وداعاً يا شهر العتق من النيران، وداعاً يا شهر الغفران، وداعاً يا شهر رمضان ترفق دموع المحبين تدفق قلوبهم من ألم الفراق تشقق.

نبكي الدموع الغوالي على وداعك يا رمضان، وتتعصر القلوب ألماً على فراقك، فأنت من تمتعنا فيك بالصيام والقيام وتلاوة القرآن.

فوداعاً وداعاً وداعاً ... فلا تنسانا واذكرنا عند مولاكا.

الخاتمة

شهر رمضان، شهر أنزل الله ﷻ فيه القرآن الكريم، واختصه وميزه عن غيره من الشهور بأنه شهر كامل تنصرف فيه عبادات عظيمة إلى الله ﷻ، فهو مخصوص بفريضة الصيام، وهو شهر تربى فيه الأمة على الأخلاق الفاضلة، وعلى التعلق بالله ﷻ تعلقاً عظيماً.

لا شك أن المسلم مطالب بأن يكون حسن الخلق في كل وقت وحين، وهذا أمر معلوم ولا شك، لكننا في رمضان مدعوون إلى مزيد من تهذيب النفس إلى جوار الأعمال الفاضلة الأخرى.. فإذا كان الشخص مقصراً في قيام الليل، فإن رمضان يعلمه القيام حين يكون الأمر مع عامة المسلمين، والشياطين مصفدة لينطلق بعد رمضان وقد اعتاد تلك العبادة الفاضلة، وهكذا هو الأمر مع الصيام الذي قد يثقل على النفوس الصبر على مشقته، لكن حين يكون الأمر فريضة فإن النفوس تلبي أمر الله ﷻ في الصيام، وعلى مدى شهر كامل، وهي كفيلة بتعويدهم عليه ليصوموا بعده، وهكذا الأمر أيضاً بالنسبة للأخلاق الفاضلة.. فمن كان عنده قصور من جانب فيها فدونه رمضان، شهر صفدت فيه الشياطين، وأقبلت فيه النفوس على البارئ ﷻ، فكن واحداً من أصحاب الأخلاق الفاضلة ولو بأَطْر نفسك عليها في رمضان من باب حفظ الصيام، حتى تعتاد عليها، ثم أكمل المسيرة بعد رمضان.

الأخلاق الفاضلة:

أولاً: حسن الخلق مع الله ﷻ:

أول الأدب وأحق ما ينبغي أن يكون عليه الأمر عند كل عبد أن يحسن التأدب مع ربه ﷻ، والتأدب مع الله ﷻ في الصيام يكون بترك الشهوات والطعام من أجل الله ﷻ، وابتغاء وجهه.. وهذه هي حقيقة الصيام، والتي يترتب عليها الأجر العظيم الذي لا يعلمه أحد سوى الله ﷻ، والفرحة الأولى في الدنيا، ثم الفرحة الثانية عند لقاء الله ﷻ، فيجازيك الله ﷻ جزاءً عظيماً، حين يكون تركك من أجله ﷻ، وهنا لفتة مهمة في جانب الإخلاص في الصيام، فإن البطن ليس مكشوفاً للناس، ومتيسر للإنسان – إذا غاب عنه الرقيب من نفسه وتذكره لاطلاع الله ﷻ عليه – أن يتخفى عن الناس فيأكل ما شاء، لكن إذا كان الصيام لله ﷻ، منع الإنسان نفسه مما حرم الله ﷻ عليه، وهذا هو عين التأدب مع الله ﷻ: إخلاص العمل لله ﷻ يقول النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ: "أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ، مَن عمِل عملًا أشرك فيه معِي غيرِي، تركتُه وشركه."[1]

ولعل من حسن الأدب مع الله ﷻ أن لا يتذمر الإنسان من الجوع والعطش في أدائه لهذه العبادة العظيمة، وليؤدها طيبة بها نفسه، فرحاً بما يصيبه من تعب ونصب في سبيل إرضاء ربه ﷻ، وليتذكر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ الزمر: ١٠، وما الصيام إلا نوع من أنواع الصبر، ولذلك كان أيضاً حساب الصائمين بغير حساب، "إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به."[2]

---

[1] رواه مسلم (4/ 2289).

[2] رواه البخاري (7/ 164)، رواه مسلم (2/ 807)، سنن ابن ماجه (1/ 525)، المعجم الكبير للطبراني (9/ 58).

تأمل آيات الصيام تجد فيها الحكمة السامية في الصيام: التقوى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣، والتقوى ينضوي تحتها كل معاني العبادة بمعنى فعل الأوامر وترك النواهي.. فحقق التقوى في نفسك، وإن لم تكن محققاً لها قبل رمضان، فليكن رمضانك هذا نقطة الانطلاقة من خلال صون سمعك وبصرك وفؤادك عن الحرام.. وإقبالك على ربك ﷻ: بصيام طيب، وصلاة حسنة في وقتها من غير تأخير، وهكذا.

وحين تتمعن في آيات الصيام تجد في ثناياها آية عظيمة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة: ١٨٦.. ألا يلفت انتباهك وجود هذه الآية مع آيات الصيام؟!

إن من التأدب مع الله ﷻ: دعاءَه، ورفع الحاجات إليه وسؤاله، وهذا من تعلق القلب به ﷻ، ومن تمام الإيمان به وأن الأمر كله بيده ﷻ، ومن التأدب مع الله ﷻ: أن يستجيب له المؤمن ويؤمن به حتى يستجيب الله ﷻ دعاءه، وإن لم يتحقق له ما أراد، فعليه أن يعلم أحوال الدعاء الثلاثة المشتهرة، وألا ينقطع رجاؤه بربه ﷻ فييأس من رحمة الله ﷻ، فإنه لا ييأس من روح الله ﷻ إلا القوم الكافرون.

ومن ذلك أيضاً:

شكر الله ﷻ على نعمه، فإن في رمضان نعماً كثيرة، منها تصفيد الشياطين، واجتماع الناس على الذكر والعبادة، ومنها بلوغ الإنسان لهذا الشهر، وقد حرم ذلك الخير غيره من الناس ممن توفاهم الله ﷻ قبل بلوغه، ومن النعم: توفيقه للصيام والذكر وقراءة القرآن، وقد حُرم غيره هذه النعمة بمرض أو حرمان وعدم توفيق لسبب من الأسباب، ومن النعم كذلك: شبعه بعد جوع، وريه بعد ظمأ، وتوفيقه لاتباع السنة في السحور والفطور وقيام الليل وغير ذلك..

ولا يستطيع العبد عد نعم الله ﷻ: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ النحل: ١٨.. لكننا نذكر ببعضها، فلا بد من الشكر على هذا، وهذا الشكر يكون مستمراً في كل لحظة من لحظات رمضان، ويكون بعد رمضان وبعد تمام العدة: ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥

ثانياً: من حسن الخلق: بذل الخير للغير:

وهذا ما كان عليه النبي ﷺ، فكان أجود الناس، ولكنه يزداد جوداً وكرماً في شهر رمضان، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبيُّ ﷺ أجْوَدَ الناسِ، وكان أجْوَدُ ما يكونُ في رَمَضانَ، حين يَلْقاهُ جِبريلُ، وكان جِبريلُ عليه السلام يَلْقاهُ في كُلِّ ليلةٍ مِن رمضانَ فيُدارِسُه القُرآنَ، فلَرسولُ اللهِ ﷺ أجْوَدُ بالخيْرِ مِن الرِّيحِ المرسَلَةِ."[1]

[1] رواه البخاري (1/ 8)، السنن الكبرى للنسائي (7/ 248).

ومن صور بذل الخير للغير:

إطعام الطعام في رمضان وتفطير الصائمين، وقد ورد عن بعض السلف أنهم كانوا يتركون العلم ويقبلون على القرآن ويقولون عن رمضان: إنما هو قراءة قرآن وإطعام طعام.. وهذا من أولى ما ينبغي في رمضان لمن تأمله: فإن المسلم في رمضان يجوع ويعطش، فأولى ما ينبغي عليه أن يتذكره: الفقراء الذين بالكاد يجدون لقمة العيش، ومن ذلك المسلمون في أقطار الأرض الذين أصابتهم المجاعات والحروب، فهم من أولى الناس ببذل الخير لهم، ومن أولى من ينبغي أن يتذكرهم المسلم حين ينهكه الجوع والعطش حال صيامه.

وتفطير الصائمين فيه فضل عظيم، قال ﷺ: "من فطر صائماً كان له مثل أجرهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً."[1]

ثالثاً: حسن الخلق: في عدم الإساءة للآخرين، وفي مقابلة إساءتهم بكظم الغيظ:

على أن الإسلام يشرع للإنسان أن يأخذ حقه ممن ظلمه، ويجعل ذلك الأمر حقاً له لا يثرب عليه فيه، إلا أنه يحث على العفو والصفح والمسامحة، وعلى كظم الغيظ، وقد تكررت الآيات في ذلك كما في قول الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ

[1] سنن ابن ماجه (1/ 555).

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ الشورى: ٣٩ - ٤٣

وهكذا جاء الأمر كذلك في الصيام.. بأن لا يقابل المسلم جهل الجاهلين بمثله، قال ﷺ: "فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم."[1].. وسواء كان هذا القول تلفظاً صريحاً، أو كان تذكيراً داخلياً لنفسه بأنه صائم، فكلاهما فيه: تذكير النفس بحفظ الصيام من اللغو الذي قد يفسده، وفيه نوع من أنواع الصبر الكثيرة التي تجتمع في الصيام.

فإن الصيام فيه صبر على الجوع والعطش، وفيه صبر عن جماع الأهل امتثالاً لأمر الله ﷻ، ويضاف إليها كذلك الصبر على ما يجده المسلم من أذى وجهل غيره.

وفي المقابل فإن الابتداء بهذا الأمر أمر مذموم ومحذر منه، وينقص من أجر الصيام حتى يفسده كما أخبر النبي ﷺ حيث قال: "من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه."[2]، وهنا تنبيه على أن الصيام فيه امتناع عن مباحات أحلها الله ﷻ، لكنها تصبح في وقت الصيام محرمة، فكيف بمحرمات في الأساس: لعل تحريمها ومنعها خلال الصيام من باب أولى.. إذن هو صيام شامل لا يقتصر على الطعام والشراب فحسب.

فيا من ينطلق لسانه بالغيبة والنميمة.. يا صاحب النكات الفاحشة، والطرائف المكذوبة.. يا صاحب التحريش بين المسلمين.. يا من اعتاد أذية إخوانه.. توقف وامتنع في رمضان.. واجعل منه انطلاقة إلى التوقف عن كل هذا فيما بعد رمضان. من أجل حفظ صيامك في رمضان، ومن أجل حفظ بقية أعمالك الصالحة أن

[1] رواه البخاري (3/ 26)، رواه مسلم (2/ 807).
[2] رواه البخاري (8/ 17)، السنن الكبرى للنسائي (3/ 347).

تحبط وأنت لا تشعر.. ومن أجل ألا تتكاثر ذنوبك فتهلكك.. اترك لأجل ربك ﷻ، والله ﷻ يعين من جاهد فيه.

ويا من تعرض الناس له بالظلم والجهل والأذية، اعف واصفح واصبر لأجل الله ﷻ.. فإن ذلك من عزم الأمور.

لقد جعل الله ﷻ مواسم الطاعات ومنها شهر رمضان المبارك محطاتٌ لتربية النفوس وتهذيبها بالصفات الجميلة والأخلاق الحسنة وهو بحق مدرسة تربوية وأخلاقية عظيمة، ينبغي للمسلم أن يتعلم منها وأن يتربى على فضائلها حتى تكون هذه الأخلاق سمة أصيلة في شخصيته وصفة راسخة في سلوكه يعيش بها في المجتمع ويتعامل بها مع من حوله ويتعبد الله ﷻ ويتقرب إليه بالاتصاف بها والتخلق بها في حياته.

فالعبد الذي لا يربي نفسه ويزكيها بالأخلاق الفاضلة كما يزكيها بالعبادات والطاعات والمناجاة وقراءة القرآن يكون قد خسر خسراناً مبيناً ذلك أن الأخلاق لها أهمية عظيمة في الإسلام فقد حصر رسول الله ﷺ مهمة بعثته، وغاية دعوته، بكلمة عظيمة جامعة، فقال: "إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق."[1]

بل إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً، قال ﷺ: "أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا."[2]

بل يقول ﷺ: "إنّ من أحبِّكم إليّ وأقربِكم منّي مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا."[3]

---

[1] السنن الكبرى للبيهقي (10/ 323).
[2] سنن الدارمي (3/ 1840)، سنن الترمذي (3/ 458)، السنن الكبرى للنسائي (8/ 256).
[3] سنن الترمذي (4/ 370).

ينبغي أن نربي أنفسنا على الأخلاق الفاضلة ونجعلها سلوك نتعامل بها في واقع الحياة قبل أن يأتي يوم لا ينتفع الصائم بصومه ولا المصلي بصلاته ولا المزكي بزكاته، فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وسب هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دماء هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار."[1]

فرمضان شهرٌ للمراجعة والتغيير والتربية والتهذيب للنفوس وهو مدرسة الأخلاق، يقول ﷺ: "والصيام جُنّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم."[2]

وليس هذا على سبيل الجبن والضعف والخور بل إنها العظمة والسمو والرفعة التي يربي عليها الإسلام أتباعه وإن من أعظم القيم والأخلاق التي يتربى عليها المسلم في هذا الشهر وفي هذه المدرسة الربانية خلق الصبر الذي تدور حوله جميع الأخلاق وهو خلقٌ كريم ووصف عظيم، وصف الله ﷻ به الأنبياء والمرسلين والصالحين، فقال ﷻ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٣٥

[1] رواه مسلم (4/ 1997)، سنن الترمذي (4/ 613).
[2] رواه البخاري (3/ 26)، رواه مسلم (2/ 807).

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو: تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك."[1]

ولقد أثنى الله ﷻ على الصبر وأهله فقال: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧، وأوجب ﷻ للصابرين محبته، فقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦، وقال ﷺ: "وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر."[2]

وأعظم أنواع الصبر: الصبر على الطاعة، قال ﷻ: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ البقرة: ٤٥، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط."[3]، فإن الصبر على الطاعة يجلب للعبد الراحة والطمأنينة والسعادة ويكتب له القبول عند الله ﷻ.

خرج الإمام أحمد بن حنبل ﷺ في سفر فآواه المبيت إلى قرية من القرى فذهب إلى المسجد فصلى ثم أراد أن ينام حتى الصباح لكن قيم المسجد رفض ذلك وهو لا يعرفه، فذهب الإمام لينام على باب المسجد عند عتباته لكن قيم المسجد رفض ذلك ودفعه دفعاً شديداً حتى أوقعه على قارعة الطريق، فرآه خباز من دكانه بجانب

[1] رواه مسلم (1/ 203).
[2] رواه البخاري (2/ 122).
[3] سنن النسائي (1/ 89).

الطريق فذهب إليه وقال له: يا شيخ لما لا تتفضل عندي وتنام في دكاني وأطعمك من طعامي.

ذهب الإمام أحمد ﷺ معه وفي الليل رأى ذلك الخباز يعجن الطحين ولا يرفع عجينة أو يقلبها إلا قال استغفر الله.

فاندهش الإمام أحمد ﷺ من تقوى الرجل وصبره وطاعته لربه ﷻ طوال الليل فقال: يا هذا منذ متى وأنت تذكر الله ﷻ هكذا؟

قال: منذ زمن طويل. قال الإمام: هل وجدت لاستغفارك هذا ثمرة؟! قال الرجل: نعم. والله ما دعوت الله ﷻ بدعاءٍ إلا استجاب الله ﷻ لي إلا دعاءاً واحداً. قال: وما هو؟

قال: دعوت ربي أن يريني الإمام أحمد بن حنبل ﷺ.

قال: يا هذا أنا أحمد بن حنبل ﷺ قد جرني الله ﷻ إليك جراً.

لقد فهم الصحابة ﷺ حقيقة هذا الدين وصبروا وصابروا على الطاعة في رمضان وغيره، قال على ابن أبي طالب ﷺ: "لقد رأيت أصحاب النبي ﷺ فما رأيت شيئاً يشبههم، كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً.. بين أعينهم كأمثال ركب المعز من كثرة السجود قد باتوا لله ﷻ سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا طلع الفجر ذكروا الله ﷻ،كانوا إذا سمعوا آية من كتاب الله ﷻ مادوا كما يميد الشجر في يوم ريح عاصف، وهطلت أعينهم بالدموع، والله لكأنّ القوم باتوا غافلين."[1]،

[1] المجالسة وجواهر العلم (4/ 310)، كنز العمال (16/ 200)، مختصر تاريخ دمشق (18/ 66).

قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢

لم يكتفوا بقيام الليل وصيام النهار، والعفة عن النظر إلى المحرمات، والاشتغال بالطاعات، بل نظروا إلى أعز ما يملكون، إلى أنفسهم التي بها قوام حياتهم، ثم قدموها في سبيل الله ﷻ..

ففي معركة بدر في شهر رمضان اشتدّ البلاء على المسلمين، إذ قد خرج المسلمون لا لأجل القتال وإنما خرجوا لأخذ قافلة لقريش كانت قادمة من الشام، ففوجئوا بأن القافلة قد فاتتهم وأن قريشاً قد جاءت بجيش من مكة كثيرِ العدد والعدة لحربهم، فلما رأى الرسول ﷺ ضعف أصحابه ﷺ وقلة عددهم وضعف عتادهم.. استغاث بربه ﷻ، وأنزل به ضره ومسكنته، ثم خرج إلى أصحابه فإذا هم قد لبسوا للحرب لأمتها، واصطفوا للموت كأنما هم في صلاة، تركوا في المدينة أولادهم، وهجروا بيوتهم وأموالهم، شعثاً رؤوسهم، غبراً أقدامهم، ضعيفة عدتهم وعتادهم، فلما رأى النبي ﷺ ذلك، صاح بهم وقال: "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة."[1]، فقاموا وقدموا للدين أغلاء ما يملكون فأعزهم الله ﷻ ونصرهم ومكن لهم في الأرض.

[1] سيرة ابن هشام (1/ 627).

إذاً رمضان يعلمنا الصبر على الطاعة حتى نلقى الله ﷻ، فرمضان مدرسة تربوية كاملة متكاملة لتهذيب النفس، وتربيتها على العبادات والطاعات، وكسب الحسنات وعمل الخيرات.

في الختام نؤكد على أن رمضان مدرسة كاملة متكاملة من الأخلاق الفاضلة، التي يجب أن نتزود منها حتى نتخرج من هذه المدرسة العظيمة وقد شحنت نفوسنا بالأخلاق العظيمة الفاضلة، وتهذبت تهذيباً كاملاً.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ

وآله وصحبه أجمعين

دعـاء

اللهم بك تفرد المتفردون في الخلوات، ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك اصطفت الأمواج المتلاطمات، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار، والفلك الدوار، والبحر الزخار، والقمر النوار، وكل شيء عندك بمقدار!!

طوبى لقلوب ملأتها خشيتك، واستولت عليها محبتك، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك، والاجتهاد في خدمتك، وخشيتك قاطعة لها عن كل معصية، خوفاً لحلول سخطك!!

ابكوا على خوف فوات الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة

إلهي:

كم لك سواي، وما لي سواك، عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك، فبفقري إليك وغناك عني، وبقوتك وضعفي، وبعزك وذلي، إلا رحمتني وعفوت عني، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عينه، وذل لك قلبه، الله لا تعذب نفساً قد عذبها الخوف منك، ولا تخرس لساناً كل ما يرويه عنك، ولا تعمي بصراً طالما بكى من مخافتك، ولا تخيب رجاء هو معلق بك، ولا تحرق بالنار وجهاً سجد لعظمتك، ولا تعذب بناناً كتب في طاعتك ولا لساناً دل الناس على شريعتك!! يا أرحم الراحمين!! يا الله.

يا ربنا يا سيدي وأملنا ومؤملي ومن تم به عملي، أعوذ بك من بدن لا ينصب بين يديك، وأعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك، وأعوذ بك من دعاء لا يصل إليك، وأعوذ بك من عين لا تبكي من خشيتك.

آمين.. آمين.. آمين

الـفـهـرس

العنوان	الصفحة
الإهداء	2
آية قرآنية	3
خاطرة	4
شعارك الرمضاني	5
إهداء من رمضان	6
المقدمة	8
خاطرة	11
مدرسة التقوى	12
مدرسة الإخلاص	20
مدرسة التوبة	28
مدرسة القرآن	41
مدرسة القيام	59
مدرسة الدعاء	74
مدرسة الذكر	80
مدرسة الصدقة	87
مدرسة الصبر	95
مدرسة الشكر	109
مدرسة الجود والكرم	119
مدرسة المحاسبة	134
مدرسة المجاهدة	147

مدرسة المراقبة	157
مدرسة حفظ الجوارح	165
مدرسة صلة الأرحام	179
مدرسة الصدق	185
مدرسة الوقت	198
مدرسة العفو والتسامح	207
مدرسة سلامة الصدر	216
مدرسة الجهاد	232
نصيحة ابن القيم	241
وصية رمضان قبل الوداع	242
حبيبي رمضان	246
وداع رمضان	250
الخاتمة	253
دعاء	265
الفهرس	267